



نصوص آبائية
-١٩٣-

رؤيا إشعياء



للقديس
يوحنا زهبي لفم

نصوص آبائية ١٩٣

رؤيا إشعياء

للقديس يوحنا زهبي لفم



” في الأعالي يُسبحُ جنودُ الملائكة، وعلى الأرض البشرُ في الكنائسِ في جوقاتٍ يشبهون أولئك الذين في الأعالي (يُسبحون) بنفسِ التمجيد؛ في الأعالي السُرايفم يرتلون تسبحة الثلاثة تقديسات، وعلى الأرض جمعُ البشرِ يُصعدون نفسَ التسبحة، يُشكلون نفسَ الاحتفال المشترك بين السمايين والأرضيين، إفخارستيا واحدة، مَسَرَّة واحدة وليتورجيا واحدة مفرحة. وهذه الألفة والمودة حَقَّقَهَا السيدُ بتنازله غير الموصوف، والروح القدس ألفَ هذا التناعم، ونظَّم هذا التوافق بين الأصوات برضى ومَسَرَّة الآب. فَمِنْ الأعالي يأتي توافقُ أنغامها، بواسطة الثالوث، وهذه الجوقة تتحركُ كمِثْل ريشة العازف، فتُسبِّبُ البهجة والألحان المُفَرِّحة، والنشيد الملائكي والتوافق غير المُنْقَطع.“

يُطلب هذا الكتاب من:

• المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ت: ٢٣٠١٤٠٢٢٤٠٢٢٤

Website: www.patristiccairo.com

E-mail: opecc2007@yahoo.com

سعر النسخة
٢٠ جنيهًا

• ومن المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم.

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية
نصوص آبائية - ١٩٣ -

رُؤْيَا إِشْعِيَاءَ

عِظَاتٍ عَمَهُ عُزْرِيَّا الْمَلَكِ
(شرح إش ٦: ١-٦)

للقديس
يوحنا زهبي لفم

ترجمة عن اليونانية مع مقدمة وتعليقات
د. جورج فريج

مراجعة الترجمة على النص اليوناني
د. جورج فريج

ترجم عن النص اليوناني المحقق في مجموعة : المصادر
المسيحية SC N°277 : Sources chrétiennes

اسم الكتاب : رؤيا إشعياء - عظات عن غزّيّا الملك

اسم المؤلف : القديس يوحنا ذهبي الفم

اسم المترجم : د. جورج فرج إسحق فرج

اسم المراجع : د. جورج عوض إبراهيم

الطبعة الأولى : يونيو ٢٠١٦

اسم الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس - المركز الأرثوذكسي
للدراسات الآبائية بالقاهرة : ٨ (ب) ش إسماعيل
الفاكي متفرع من ش أباطة - محطة المحكمة مصر
الجديدة ت: ٢٢٤١٤٠٢٣

E-mail : opcc2007@yahoo.com

Website: www.patristiccairo.com

السلسلة : نصوص أبائية رقم ١٩٣

اسم المطبعة : مطابع النوبار - العبور

رقم الإيداع : ٢٠١٦ / ١١٦٣٣

الترقيم الدولي : 978-977-487-033-5

كل حقوق الطبع والنشر بجميع أنواعها محفوظة



القدّيس

بوسخند في صبي الفجر
فايز



قِدِّسُ الرَّبِّ أَبَا بُولَاڤُوسَ رِسْرَسَاڤِي
 بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تقديم الناشر

يسرُّ المركزُ الأرثوذكسيُّ للدراساتِ الأبائية، أن يقدمَ ثانيَ عملٍ تفسيريٍّ للقديسِ يوحنا ذهبي الفم للعهد القديم، هو عِظَاتُ عن رؤيا إشعياء الواردة في (أش ٦ : ١-٦)، وهذا النصُّ لم يسبقُ ترجمته من قبلُ للغة العربية سواءً ترجمةً حديثةً أو قديمةً، ويَشْمُلُ ستَ عِظَاتٍ عن رؤيا إشعياء والملكِ عُزِّيَّا.

ويعتبرُ هذا العملُ هو ثاني نصٍ ينشره المركزُ للقديسِ يوحنا ذهبي الفم في تفسيره للعهد القديم حيثُ نشرَ من قبلُ تفسيره لسفرِ التكوين (المجموعةُ الصغيرةُ من العِظَاتِ).

وفي هذه العِظَاتِ يتعرَّضُ ذهبيُّ الفم لعدةِ موضوعاتٍ أهمُّها رؤيا إشعياء والمشهدُ الإلهيُّ والحديثُ عن طبيعةِ السَّرَافِيم وخشوعها أمامَ الله، مقارنةً بسلوكِ بعضِ المؤمنين المستهترين وقتَ الصلاة، كما يتعرَّضُ القديسُ يوحنا ذهبيُّ الفم لسيرةِ الملكِ عُزِّيَّا ومحاولتهِ إغتصابِ الكهنوتِ وتصدي عُزَّرِيَّا رئيسِ الكهنةِ له.

ومما هو جديرٌ بالملاحظةِ والانتباهِ هو كيفَ أنَّ تعاليمَ ذهبي

الفم تَتَطَابَقُ تمامًا مع سلوكه الشخصي، فعلى الرُّغم من أنَّ هذه العظمت قد ألقاها منذ زمنٍ بعيدٍ قبلَ إعتلائه كرسي القسطنطينية وقبل نشوب خلافه مع الإمبراطورة أفدوكسيا، وهي فترة لا تقلُّ عن ١٢ عامًا، إلا أننا نلاحظُ أنَّ القديسَ يوحنا ذهبي الفم قد دافَعَ عن مبادئه المؤيدةِ لمُثول الكاهن بكلِّ شجاعةٍ أمامَ السلطانِ عندما يتعلقُ الأمرُ بمقدسات الكنيسة، فصدام عزريا الكاهن مع عُزِّيَّا كان أشبه بما قد حَدَثَ مع القديس يوحنا ذهبي الفم نفسه مع الإمبراطورة أفدوكسيا. ففي هذه العظمت يتحدثُ عن منع زكريا رئيس الكهنة من دخول الملك عُزِّيَّا قدس الهيكل وكأنَّه يقصُّ قصته مع الإمبراطورة فنجدُه يدافعُ عن زكريا مادحًا شجاعته وعدم خوفه من مواجهة عُزِّيَّا الملك ومنعه من اغتصاب الكهنوت.

ونتوسلُ إلى الله أن يبارك هذا العملَ بشفاعَةِ القديسة العذراء مريمَ والدةِ الإله، ومصافِ الملائكة والقديسين، وصلوات صاحب القداسة البابا تواضروس الثاني والآباء المطارنة والأساقفة وكل الكهنة والخدام، ولإلهنا المحب الآب والابن والروح القدس، له المجدُ الدائمُ إلى الأبد آمين.

المحتويات

٧	تقديم الناشر
١٩	المراجع والاختصارات
٢١	المقدمة
٢١	التسمية والمحتوى
٢٣	تفسيرُ ذهبي الفم لسفرِ اشعياء
٢٤	تاريخُ نصِّ العظامِ
٢٥	محتوى العظامِ
٢٦	العظمُ الأولُ
٢٧	العظمُ الثانيُّ
٢٧	العظمُ الثالثُ
٢٧	العظمُ الخامسُ
٢٨	العظمُ السادسُ
٢٩	العظمُ الرابعُ
٣٠	تاريخُ إلقاءِ العظامِ

٣٦	أصالة العظة الرابعة
٣٩	عزّيّا الملك
٣٩	التسمية
٤٠	قوة وعزة ملكه
٤٢	خطيئة عزّيّا في إغتصاب الكهنوت
٤٣	نهاية عزّيّا
٤٤	التعاليم اللاهوتية لهذه العظات
٤٤	رؤيا إشعياء دليل على تنازل الله
٤٤	الطبيعة الإلهية غير موصوفة أو مفهومة
٤٤	كرامة الكهنوت
٤٥	هيئة السرافيم وطبيعتهم الروحية
٤٦	الإفخارستيا
٤٦	العبادة بخشوع
٤٧	كرامة الزواج
٤٧	أهمية ذكر الكتاب للتواريخ
٤٨	العقوبة
٤٨	النهاية الحسنة للإنسان أفضل من بداية سيرته
٤٨	الكبرياء سبب سقوط الشيطان
٤٩	الخطية جرح
٤٩	الخطايا ليست سيّئة

المحتويات

٤٩	المناظرُ الخليعةُ والشريرةُ
٥٠	التفسيرُ التاريخيُّ والتفسيرُ الرمزي
٥١	التعليمُ عَنِ الكنيسةِ
٥٢	التشبيهاَتُ والصُّورُ
٥٨	هذه الترجمة
٦١	العظةُ الأولى
	مقدمةٌ عما بيديه الحُضورُ من حماسٍ عَنَدَ
٦١	الإنصاتِ للعظاتِ
٦٣	مديحُ حضورِ تسبيحةِ الملائكةِ
٦٧	السلوكُ المُشين للبعضِ أثناءَ الصلاةِ
٧٠	معنى أن نَتَعَبَّدَ لله بِمَخَافَةٍ
٧٠	تَمَازُجُ الفَرَحِ مَعَ الرِّعدةِ في العبادةِ
٧١	السَّرافيمُ يسبحون بفرحٍ ورعدةٍ
	تفسيرُ آيةٍ : "رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ
٧٢	عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ"
٧٣	السَّرافيمُ ذَوُو الأَجْنِحَةِ حَوْلَ العَرْشِ الإلهي

- لماذا يُعطي السَّرَافِيمُ وجوهَهُم وأرجلَهُم؟ ٧٤
- ضُرورُهُ خُشُوعِ الجَسَدِ فِي العِبَادَةِ ٧٧
- مَخَاطِرُ التَّطَلُّعِ إِلَى المَشَاهِدِ النَّجِسَةِ ٧٨
- الأَحَادِيثُ الجَانِبِيَّةُ وَقَتَ الصَّلَاةِ فِي الكَنِيسَةِ ٨١
- سُوءُ الأَحْوَالِ لَا يَعُودُ إِلَى بِلَادَةِ الحُكَّامِ بَلْ فِي
خطايانا ٨٢
- مُوسَى النَّبِيُّ لَمْ يَفْلَحْ مَعَ شَعْبٍ خَاطِيٍّ ٨٤
- تَدْرِيبٌ عَلَى حُسْنِ العِبَادَةِ بِخُشُوعِ الجَسَدِ
وَإِنْخِفَاضِ الصَّوْتِ وَمَنْعِ الأَحَادِيثِ الجَانِبِيَّةِ ٩٤
- العِظَةُ الثَّانِيَّةُ ٩٧
- مُقَدِّمَةٌ عَنْ عَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَى الوَعْظِ! ٩٧
- الحُضُورُ بِالجَسَدِ والحُضُورُ بِالذِّهْنِ ٩٩
- الرُّؤْيَا الجَسَدِيَّةُ والبَصِيرَةُ الرُّوحِيَّةُ ١٠١
- الدُّخُولُ لِلحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ ١٠٢
- مَشْهَدُ الرُّوْيَا وَجَلَالُ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ ١٠٤

١٠٨.....	أهمية تأريخ الزمن في الكتاب المقدس
١١٤.....	وعْد بالحديث عن عزّيّا، واستراحة قصيرة ليندا
١١٧.....	المعلم فلافيان عطته
١١٧.....	العظة الثالثة
١١٧.....	مديح للشهداء
١١٨.....	تمهيد حول الحديث عن عزّيّا
١١٩.....	سيرة عزّيّا
١٢٠.....	خطبة الكبرياء
١٢٢.....	خطبة عزّيّا في اغتصاب الكهنوت
١٢٤.....	خطورة التغافل في الحياة الروحية
١٢٦.....	أهمية الحرص في الحياة الروحية حتى النهاية
١٢٧.....	الفراسنة لا يهاجمون سوى السفن الممتلئة
١٢٧.....	بالبضائع!
١٢٩.....	دعوة للتوبة وتحذير من السقوط في اليأس
١٣٠.....	الخطايا أنواع وليسَتْ سواء

- الزنا والزواج ١٣١
- شكوك واضطراب الزواج الخائن ١٣٢
- الزواج حسن ولكنه أقل من البتولية ١٣٤
- خطيئة عزياً هي الكبرياء ١٣٥
- عزاء الشيطان في هلاك الإنسان ١٣٧
- الكتاب يشرح أسباب الخطيئة ومتبعتها ١٣٨
- الجمال ليس خطيئة بل النظرة الشريرة ١٣٩
- لا ينبغي أن نحسد من هم في السلطة ١٤٢
- خاتمة عبارة عن ملخص لمحتوى العظة ١٤٤
- العظة الخامسة ١٤٧
- مقدمة عن موضوع العظة ١٤٧
- خطية عزياً أنه لم يستطع كبح أهوائه ١٤٩
- الكاهن يحتل مكانة أعلى من الملك ١٥٠
- جسارة الكاهن في الحق ١٥٣
- اللطف مطلوب عند التوبيخ ١٥٤

١٥٧.....	عُزْرِيَا الْكَاهِنُ يَسْتَعْمِلُ اللَّطْفَ مَعَ التَّوْبِيخِ.
١٥٨.....	قِصَّةُ قُورَحَ وَدَاثَانِ وَأَبِيرَامَ.
١٦٢.....	عُقُوبَةُ اللَّهِ رَحِيمَةٌ.
١٦٤.....	الْحِكْمَةُ مَنْ طَرَدَ الْأَبْرَصَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ.
١٦٧.....	خَاتِمَةٌ.
١٦٩.....	العِظَةُ السَّادِسَةُ.
١٦٩.....	مُقَدِّمَةٌ.
١٧٠.....	مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي لَا يَرْتَدِي ثِيَابَ الْعَرَسِ.
١٧٣.....	الزَّوْاجُ لَيْسَ عَائِقًا لِلتَّقَدُّمِ فِي الْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ.
١٧٣.....	طَبِيعَةُ اللَّهِ فَائِقَةٌ عَنِ الْوَصْفِ.
١٧٤.....	عُودَةٌ لِلْحَدِيثِ عَنِ السَّرَافِيمِ.
	عَظْمَةُ السَّرَافِيمِ لَيْسَتْ فِي طَبِيعَتِهِمْ بَلْ فِي
١٧٥.....	وُجُودِهِمْ بِجِوَارِ الْعَرْشِ.
	الْإِنْسَانُ يُمَكِّنُ أَنْ يَنَالَ مَا لِلسَّرَافِيمِ مِنْ عَظْمَةٍ
١٧٧.....	وَبَهَاءٍ.

أَجْنَحَةُ السَّرَافِيم .	١٧٨
مُعَايِنَةُ الْمَجْدِ الإِلَهِيِّ .	١٨٠
تَسْبِيحَةُ السَّرَافِيم .	١٨٢
الإِفْخَارِسْتِيَا تُمَيِّزُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْمَلَائِكَةِ .	١٨٣
إِقْتِرَانُ الْإِفْخَارِسْتِيَا بِالصَّوْمِ لِتَطْهِيرِ النَّفْسِ .	١٨٤
وُجُوبُ الْإِسْتِعْدَادِ لِلْإِفْخَارِسْتِيَا .	١٨٥
مَثَلُ الْفَرِيسِيِّ وَالْعَشَّارِ .	١٨٦
التَّوْبَةُ تَحْتَاجُ دَافِعًا بَسِيطًا مِنَّا .	١٨٧
رِقَّةٌ أَخَذَتْ لَعْنَةً يَعْقُوبَ بِالْكَلَامِ أَمَّا الْمَسِيحُ فَأَخَذَ	
لَعْنَتَنَا بِالْفِعْلِ .	١٨٨
تَحْذِيرٌ مَنِ التَّنَاولِ بِدُونِ تَوْبَةٍ .	١٨٩
مُلَخَّصُ الْعِظَةِ .	١٩٠
العِظَةُ الرَّابِعَةُ .	١٩٣
مُقَدِّمَةٌ عَنِ مَدِيحِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا .	١٩٣
حَدِيثٌ عَنِ الْكَنِيسَةِ وَصُمُودِهَا أَمَامَ الطُّعَاةِ .	١٩٩

٢٠١.....	الْكَنِيسَةُ أَعْظَمُ مِنَ السَّمَاءِ
٢٠٢.....	مَائِدَةُ الْكَلِمَةِ الْفَاخِرَةِ!
٢٠٢.....	كرامة الزواج
٢٠٥.....	الْمَرْأَةُ الْمَكَابِيَةُ نَمُودَجٌ لِلزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ
٢٠٧.....	الْقِدِّيسُ بَطْرُسُ كَانَ رَجُلًا مُتَزَوِّجًا
٢٠٨.....	السيد المسيح كَرَّمَ الزَّوْاجَ فِي عُرْسِ قَانَا الْجَلِيلِ
٢٠٨.....	نَمَادِجُ لِنِسَاءٍ صَالِحَاتٍ وَطَالِحَاتٍ
٢١٠.....	عَلَّةُ تَارِيخِ رُؤْيَا إِشْعِيَاءَ بِوَفَاةِ الْمَلِكِ عُزِّيَّا
٢١٢.....	كِبْرِيَاءُ عُزِّيَّا
٢١٣.....	مَثَلُ الْفَرِيسِيِّ وَالْعَشَّارِ
٢١٤.....	الشَّيَاطِينُ لَا يَهَاجِمُونَ الْخُطَاةَ بَلِ الْأَبْرَارَ
٢١٦.....	كِبْرِيَاءُ عُزِّيَّا قَادَهُ إِلَى إِغْتِصَابِ الْكَهَنُوتِ
٢١٨.....	لَا يَنْبَغِي الْإِسَاءَةُ لِلْكَهَنُوتِ بِسَبَبِ نَفَرٍ مِنَ الْكَهَنَةِ
٢٢٠.....	الْكَهَنَةُ يُقَاوِمُونَ عُزِّيَّا بِشَجَاعَةٍ

مُحَاوَلَةٌ دَاتَانِ وَفُورَحَ وَأَبِيرَامَ إِغْتِصَابِ

٢٢١	الْكَهَنُوتِ
٢٢٢	اللَّهُ يَضْرِبُ عُزِّيًّا بِالْبَرَصِ
٢٢٣	عِقَابُ اللَّهِ التَّارِبِي
٢٢٤	اللَّهُ يُعَاقِبُ الْجَسَدَ عِنْدَمَا تُخْطِئُ النَّفْسُ
٢٢٧	امْتِنَاعُ النَّبَوَّةِ بِسَبَبِ تَسَاهُلِ الشَّعْبِ مَعَ عُزِّيَّا
٢٢٩	عَوْدَةُ النَّبَوَّةِ بِوَفَاةِ عُزِّيَّا

المراجع والاختصارات

أولاً:- النص اليوناني

١- النص اليوناني المحقق - وسوف نرسم له ب SC

- Jean Chrysostome, Homélie sur Ozias (In illud : Vidi Dominum), Sources chrétiennes N° 277, Introduction, texte critique, traduction et notes par Jean DOMINUM, Paris, 1981.

٢- النص اليوناني التقليدي - وسوف نرسم له ب PG

- J.-P. Migne, Patrologiae cursus completus (series Graeca) 56, Paris: Migne, col. 97-142.

ثانياً:- ترجمات النص

١- الترجمات الفرنسية القديمة - بخلاف الترجمة الفرنسية SC

-Œuvres complètes de Saint Chrysostome. Traduction pour la première fois sur la direction de M. JEANNIN, Arras, 1856. Volume VI. " Commentaire sur Ozias- Homelies sur Ozias ou Touchant les Séraphins " p. 402-435.

-Œuvres complètes de S. Jean Chrysostome, Traduction Nouvelle par M. Abbé J. BAREILLE, Tome V, Paris, 1868." Homélie sur Ozias "p. 465-

501.

٢- الترجمة اليونانية الحديثة ونرمز لها بـ ΕΠΕ

- Ιωάννου Χρυσοστόμου, τα πάντα έργα, τόμος 8, ΕΛΛΗΝΙΚΕΣ ΠΑΤΕΡΕΣ ΤΗΣ ΕΚΚΛΗΣΙΑΣ (65), Θεσσαλονίκη, 1983, "ΕΙΣ ΤΟ «ΕΙΔΟΝ ΤΟΝ ΚΥΡΙΟΝ ΚΑΘΗΜΕΝΟΝ" σ. 320-441.

٣- الترجمة الإنجليزية

- St. John Chrysostom, Old Testament Homilies, Volume Two, Homilies on Isaiah and Jeremiah, Translated by Robert C. HILL, Holy Cross Orthodox Press, 2004. "Chrysostom's Six Homilies on Isaiah 6", p. 41-113.

ثالثاً: - دراسات عن النص

- HILL, Robert C., "St. John Chrysostom's teaching on inspiration in 'Six Homilies on Isaiah'," Vigiliae Christianae, Co 22 (1968) p.19-37. North-Holland Pub. Amsterdam.

- DOMINUM Jean, «Une homélie chrysostomienne suspecte», Mélanges de Sciences religieuses, XXX^e année, n° 4, 1973, p. 185-191.

هذا بخلاف ما ذكرناه في الهوامش من مراجع ونصوص آباءية أخرى.

المقدمة

التسمية والمحتوى

تحملُ هذه المجموعة من العظاتِ عدَّةَ تسمياتٍ وهي (رَأَيْتُ
السَّيِّدَ الرَّبَّ جَالِسًا) كما في الأصل اليوناني، وفي اللاتيني : In
illud : Vidi Dominum كما تُعرَفُ أيضًا باسم In Oziam
أي "عن عُزِّيَّا" وهكذا وردت في الترجمة الفرنسية فقد سُميت
(عظاتٍ عن عُزِّيَّا - Homélie sur Ozias)، وتُسمَّى أيضًا
(عن السَّرَافِيم)، ويرجعُ السببُ في ذلك هو أنَّ هذه العظاتِ قد
ألقاها القديسُ يوحنا ذهبي الفم بغرضِ شرحِ رؤيا إشعياء
المدوَّنة بالاصحاح السادس من سفرِ إشعياء وتحديدًا على الآية
الأولي : " رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ
تَمَلَأُ الْهَيْكَلَ."¹، غيرُ أنَّ ذهبي الفم قد تطرَّقَ لعدَّةِ موضوعاتٍ
ومنها حديثُهُ عن نهايةِ عُزِّيَّا الملكِ والسببُ في ذلك يرجعُ إلى
أنَّ إشعياء النبي يؤرِّخُ هذه الحادثةَ في أيامِ وفاةِ عُزِّيَّا النبي، مما
جعلَ واعظَ الكنيسةِ الأشهرَ يتوقفُ عندَ ذكرِ الملكِ عُزِّيَّا وعلةِ

¹ أش ٦ : ١

تأريخ حَدَثِ الرؤيا بوفاة هذا الملك، موضحاً أنه في المعتاد تأريخ الأحداث في حياة الملوك وليست بوفاتهم، فيشرحُ ذهبيُ الفم أن سبب ذلك يرجع إلى خطيئة هذا الملك، التي أدت إلى توقف النبوة في حياته، إذ أن كلمة الرب كانت عزيزة وامتنع الله عن أن يوحى للأنبياء، فلم يوحِ الله لإشعياء بروياه إلا بعد موت هذا الملك.

يتحدثُ القديسُ يوحنا عن خطية الملك التي قد ارتكبها في نهاية حياته، وهي رغبته في اغتصاب الكهنوت بتقديم البخور في الهيكل وكيف حاول زكريا الكاهن بشجاعة أن يمنعه، فلما رفض ضربه الله بالبرص في جبهته، فخرج للتو. ويوضحُ ذهبيُ الفم خطيئة الشعب الذي تقاعس عن تطبيق الشريعة بإخراج الملك خارج المدينة، لكونه أبرص كما تنصُ الشريعة، وأن هذا التخاذل قد جلب عليهم غضب الله.

يتعرضُ ذهبيُ الفم إلى رؤية إشعياء للقوات السماوية السرافيم والشاروبيم موضحاً كيف أن تمجيد الله بمخافة تجعلهم يرتعدون من هيبته الموقف ويغطون وجوههم بسبب ذلك. ويقارنُ القديسُ ذلك بالسلوك المستهتر وغير المنضبط لبعض

تفسيرُ ذهبي الفم لسفرِ اشعيا

بخلافِ هذه العظائِ، قَدَّمَ القديسُ يوحنا عِظائِ عَنْ كُلِّ سفرِ
إشعيا وَصَلْنَا مُعَظَّمُهُ فَقَطُّ فِي تَرْجَمَةِ أَرْمِينِيَّةٍ قَدِيمَةٍ^٢. أَمَّا نَصُّهُ
الأصليُّ بِاللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ فَلَمْ يَصَلْنَا مِنْهُ سِوَى الْإِصْحَاحَاتِ
الأولى: (أش ١: ١-٨: ١٠)^٣، وَيَرَى الْعُلَمَاءُ أَنَّ النِّصَّ الْيُونَانِيَّ
المَحْفُوظَ مَخْتَزَلٌ حَيْثُ قَامَ أَحَدُ تَلَامِيذِ الْقَدِيسِ يُوْحَنَّا بِحَذْفِ
المَقَاطِعِ الْوَعْظِيَّةِ مِنَ النِّصِّ الْأَصْلِيِّ الْمَحْفُوظِ بِشَكْلِ كَامِلٍ
وَأَصِيلٍ فِي التَّرْجَمَةِ الْأَرْمِينِيَّةِ^٤.

كَمَا يُوْجَدُ لِلْقَدِيسِ يُوْحَنَّا ذَهَبِي الْفَمِ أَيْضًا عِظَةٌ وَاحِدَةٌ مُسْتَقْلَلَةٌ
عِبَارَةً عَنْ تَفْسِيرٍ لِآيَةِ إِشْعِيَاءَ (٤٥: ٦-٧) "أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ".

² Mekitharistae, Versio armenica in Is. 8-64, Venetiis 1880; Dieu, L. «Le commentaire armenien de S. Jean Chrysostome sur Isaie» Revue d'histoire ecclésiastique, 16 (1921) p. 7-30; Dumortier, J. "La version armenienne du commentaire sur Isaie de Jean Chrysostome." Studia Patristica, vol. 17, p. 1158-1162. Oxford, 1982.

³ PG 56, 11-94, Jean, Commentaire sur Isaie, SC 304, Paris, traduction, par DUMORTIER, Paris 1983.

⁴ Johannes QUASTEN, Patrology III, p. 436; Παναγ. ΧΡΗΣΤΟΣ, 'Ελληνική Πατρολογία, τόμος δ' Θεσσαλονίκη 1989, σελ. 281.

مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ، صَانِعِ السَّلَامِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. "°.

تاريخ نص العظات

وصلت لنا هذه العظات في مجموعة كبيرة من المخطوطات، حوالي ٣٥ مخطوطة^٦، ويرجع تاريخ نسخ تلك المخطوطات إلى العصر البيزنطي ما بين القرن التاسع و القرن السادس عشر، حيث إنَّ أقدم مخطوط يعود إلى القرن التاسع. كما أنه يوجد تقليدًا رمني لتلك العظات يعود إلى القرن الخامس الميلادي.

أول مَنْ قام بنشر النص اليوناني لهذه العظات كان Henry Savile الذي قام بنشر الأعمال الكاملة للقديس يوحنا ذهبي الفم باليونانية وذلك في عام ١٦١٢م، وفي عام ١٦١٤م قام

⁵ PG 56, 141-142, St. John Chrysostom, Old Testament Homilies, Volume Two, Homilies on Isaiah and Jeremiah, Trans. Robert C. HILL, Holy Cross Orthodox Press, 2004. "HOMILY ON ISAIAH 45.6-7" p. 20-40.

^٦ العظات (١٥ و ٥) محفوظة في ٣٥ مخطوطة والعظة (٢) محفوظة في ٣١ مخطوطة، والعظة (٤) محفوظة في ٢٩ مخطوطة، لدراسة هذه المخطوطات بشكل تفصيلي، أنظر الدراسة التي قام بها الباحث Jean Dumortier:

Fronton du Duc بنشر النص اليوناني للعضات مع ترجمة لاتينية، ثم بعد ذلك قام Bernard de Montfaucon بنشر النص اليوناني لهذه العضات مع ترجمة لاتينية أخرى وذلك في عام ١٧٢٤م، وهذا النص تم ضمه فيما بعد لمجموعة البترولوجيا اليونانية لميني^٧. وفي جميع هذه الإصدارات نلاحظ أن كانت تُنشر تحت عنوان مستقل هو: "عن السرافيم εἰς - In Seraphim τὰ Σεραφίμ"، بينما العضات الخمس الأولى كانت تعين ب: (عن عزّيّا) أو (عن عزّيّا وعن السرافيم).

Εἰς Ὁζίαν ἢ εἰς τὰ Σεραφίμ

De verbis Esaiæ : Vidi Dominum

In Oziam seu De Seraphim

محتوى العضات

تُمثّل العضات (٢، ٣، ٥، ٦) مجموعة واحدة، قد ألقاها القديس يوحنا ذهبي الفم في أنطاكية وهي تحوي تعليقات عليّ شرح (أش ٦: ١-٦) وقد أُلقيت في فترة تالية على شرحه

⁷ PG 56, 97-142

المطوّل لسفرِ إشعياء، بينما ألقى العظة الأولى في زمنٍ لاحقٍ، أما العظة الرابعة فينظرُ لها العلماء على أنها ليست من وضع القديس يوحنا، ولكنها عظة تمّ تجميعها من مجموعة عظات القديس الأخرى، لذلك نجد أنّ الأفكار الواردة بها مكررة ولهذا فقد قُمنّا بوضع هذه العظة في نهاية المجموعة.

العظة الأولى

فيّ العظة الأولى يتحدّث عن المحافظة على وقارِ العبادة في الكنيسة، وعن السلوكيات الخاطئة لبعض المؤمنين في أوقات العبادة بالكنيسة. ثمّ يتحدّث عن معنى التّعبد لله بمخافة، فيشرح كيف أنّ السّرافيم تُسبّح الله برعدة، مؤكّداً على تمازج حالة الفرح بالردة والخوف! ثمّ يبدأ حديثه عن السّرافيم مُبتدأً بتفسير الآية "رايتُ السيّد الربّ جالساً..." ويشرح سبب تغطية السرافيم لوجوههم وأرجلهم بأجنحتهم، و يتطرّق للحديث عن أنّه لا ينبغي أن ننسب سوء الأحوال للحكام لأنّها غالباً ما تكون بسببنا نحن. ويتطرّق لقصة خيانة عازن بن كرمي وكيف أنّ خطيئة فرد جلبت غضب الله على الجماعة ثم يعاود الحديث عن وجوب أن نعبد الله في خشوع.

العظة الثانية

فِي هَذِهِ الْعِظَةِ يَتَحَدَّثُ ذَهَبِي الْفَمُ عَنِ الرُّوْيَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْبَصِيرَةِ
الرُّوحِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ لِمُشَاهَدَةِ الْمَجْدِ الْإِلَهِيِّ وَالْخُورِ فِي حَضْرَةِ
الْإِلَهِيَّةِ ثُمَّ يَتَحَدَّثُ عَنْ زَمَنِ تَارِيخِ إِسْعِيَاءَ لِنُبُوَّتِهِ وَ أَهْمِيَّةِ تَارِيخِ
الزَّمَنِ عِنْدَ ذِكْرِ النُّبُوءَاتِ.

العظة الثالثة

يَبْدَأُ الْقُدَيْسُ حَدِيثَهُ بِمَدِيحٍ لِلشَّهَدَاءِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ لِلْحَدِيثِ عَنْ حَيَاةِ
عُزِّيَا، مُوضِحًا أَنَّهُ كَانَ مُلَكًا صَالِحًا، ثُمَّ يَتَحَدَّثُ عَنْ أَنَّ سَقُوطَهُ
كَانَ بِسَبَبِ الْكِبْرِيَاءِ، نَتِيجَةً لِلتَّغَافُلِ، مُوضِحًا أَنَّ حَيَاةَ الْفَضِيلَةِ
هِيَ سَبَبُ حَرْبِ الشَّيْطَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ بِالْكَبْرِيَاءِ. كَمَا يَتَطَرَّقُ
ذَهَبِي الْفَمُ إِلَى مَوْضُوعِ الزَّوْجِ وَالزَّانَا وَيُوكِّدُ عَلَى تَنَوُّعِ الْخَطَايَا
وَتَفَاوُتِ عَقُوبَتِهَا.

العظة الخامسة

فِي هَذِهِ الْعِظَةِ يَوْضِحُ ذَهَبِي الْفَمُ أَنَّ عُزِّيَا لَمْ يَسْتَطِعْ كِبَحَ
أَهْوَايِهِ فَاشْتَهَى الْكَهْنُوتَ. ثُمَّ يَقَارَنُ ذَهَبِي الْفَمُ بَيْنَ مَجْدِ الْكَهْنُوتِ
وَسُلْطَانِ الْمَلِكِ، مُؤَكِّدًا عَلَى أَنَّ الْكَاهِنَ أَعْظَمُ مِنَ الْمَلِكِ، مُشَدِّدًا
عَلَى جَسَارَةِ الْكَاهِنِ أَمَامَ الْمَلِكِ فِي الْحَقِّ، وَكَذَلِكَ يَشَدِّدُ عَلَى

ضرورة اللطف عند التوبيخ. كما يتطرق لقصة قورح ودانائ وأبيرام كأول محاولة لإغتصاب الكهنوت، ويؤكد أن الله استعمل الرحمة في عقوبته لعزياً، وكيف أن الشعب تساهل مع الملك الأبرص ولم يخرجهُ من المدينة حسب الشريعة، مما سبّب غضب الله وتوقف النبوة، وأخيراً يوضح القديس حكمة الله في طرد الأبرص خارج المدينة.

العضة السادسة

يبدأ القديس حديثه في هذه العضة عن رؤيا السرافيم والدخول للحضرة الإلهية ووجوب الإستعداد لذلك يتحدث عن مثل الرجل الذي لم يرد ثياب العرس، ثم يستطرّد عن طبيعة الله الفارقة الوصف، وعن طبيعة السرافيم والحكمة من وجود أجنحتها التي تغطي بها جسدها ويشرح أن عظمة هذه القوات السماوية لا تكمن في طبيعتها الخاصة بل في كونها وقوفاً بجوار المجد الإلهي ويقارن القديس ذلك بتناولنا من الإفخارستيا مؤكداً على أن الإنسان مدعو لنفس الرفة التي للسرافيم عن طريق تناول باستحقاق، ويستطرّد في الحديث عن الإفخارستيا ووجوب اقترائها بالتوبة والصوم.

العظة الرابعة

نلاحظ أنَّ العظة الرابعة هي مزيجٌ من بعض موضوعات العظة ٣ و ٥ بالإضافة لعملٍ آخرٍ للقديس ذهبي الفم عن الصوم^٨، لذلك فإنَّ أصالة ونسب هذه العظة محلُّ تساؤلٍ كما سوف نشرح. ونحبُّ أن ننوه إلى أنَّ هذه العظة، وإنَّ كان إخراجُها النهائي وبعضُ تعبيراتها ليست من وضع القديس يوحنا، ولكنَّها في النهاية تعبرُ عن أفكار القديس يوحنا ذهبي الفم. وعلى الرغم من أنَّ كُلَّ طبعاتٍ وترجماتٍ هذه العظات قد وضعت هذه العظة في ترتيبها في وسط العظات، إلَّا أنَّنا فضَّلنا وضعها في نهاية العظات حيثُ رأينا أنَّ بها تجميعاً لأفكار العظات الخمس الأخرى فاستحسننا وضعها في هذا الترتيب حتى لا يشعر القارئ بالملل من تكرار الأفكار.

وموضوعات هذه العظة هي:-

- مديح للمدينة وسكانها.
- حديث عن الكنيسة وصمودها أمام الطغاة.

⁸ Comparatio regis et monachi. PG 47, 387-392.

- كرامة الزواج مع أمثلةٍ لقديسين وقديساتٍ متزوجين.
- علّة تأريخ نبوة إشعياء بوفاة عزّيّا الملك.
- مَثَلُ العشارِ والفريسي.
- كبرياءُ عزّيّا وإصابته بالبرص.
- شجاعةُ الكهنة في مقاومة عزّيّا.
- محاولة قورح ودathan وأبيرام اغتصاب الكهنوت.
- الشعبُ يتساهلُ مع عزّيّا ولا يخرجُه من المدينة حسب الشريعة.
- عودة النبوة بعد وفاة عزّيّا.

تاريخُ إلقاءِ العظات

ألقى القديسُ يوحنا ذهبيُّ الفم هذه العظات في أنطاكية قبلَ سيامته بطريركًا على القُسطنطينية، وقبلَ فترةِ الصوم الكبيرِ وذلك في عام ٣٨٧م، وأيضًا قبلَ عظاته المطولة عن سفرِ إشعياء^٩ وفي أعقابِ عظّيته عن غموضِ نبوات العهد القديم^{١٠}.
على الرغم من أنّه لا يوجدُ أيُّ معلوماتٍ خارجية تدلُّنا على

⁹ PG 56, 11-94.

¹⁰ Rebert HILL, *Chrysostom's Six Homilies On Isaiah* 6, p. 41.

تاريخ إلقاء هذه العظات إلا أن المحتوى الداخلي للعظات يوضح
الآتي :-

قد أُلقيت هذه العظات (٢، ٣، ٥، ٦) في أنطاكية، حيث يرى
العالم^{١١} Le Nain de Tillemont أن إشارة القديس يوحنا
في العظة الأولى عن تدمير الناس على الحكام تشير إلى سوء
الأحوال الاقتصادية للامبراطورية وربما مرورها بحالة حرب،
وبالتالي فلا يمكن أن تكون في عهد الامبراطور ثيودسيوس
حيث ساد الهدوء والاستقرار في عصره، ومن ثم يضمن
الباحثون أن تاريخ هذه العظة يعود إلى نهاية عام ٣٩٥، أو ما
بين عامي ٣٩٥ و ٣٩٨.

أما العظتان الثانية والثالثة فقد كُتبتا في فترة زمنية مبكرة
عن العظة الأولى حيث لا يجمعهما مع الأولى موضوع واحد،
فبداية العظة الثانية توضح أن ذهبي الفم كان في بداية عهده

^{١١} هو من علماء البترولوجي القدامي أصدر موسوعة فرنسية من ١٦ جزءاً، عن آباء
الكنيسة وكتاباتهم في نهاية القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر:

Mémoires pour servir à l'histoire ecclésiastique des six premiers
siècles, Paris 1712, t. XI.

يقومُ بالوعظِ والخطابة، لأنَّه يصفُ تعاليمَه بالخميرِ الحديثةِ الصنعِ على عكسِ تعاليمِ معلِّمِه وهو الاسقفُ فلافيانُ الذي يشيرُ إليه بتعبيرِ "المعلم"^{١٢}، فيقولُ في خاتمةِ العظةِ الثانيةِ:

"فيجبُ أن يوجَدَ وقتٌ للصمتِ حتَّى يجدَ فيَّهِ المعلمُ وقتًا للحديثِ، لأنَّ ما يَخُصُّنا يشبُه الخمرَ التي تُجَلِّبُ حديثًا من أوعيةِ المعصرةِ بينما ما يَخُصُّ المعلمَ يشبُه الخمرَ القديمةَ والمعتقةَ، التي تُوفِّرُ فائدةً أكبرَ وقوَّةً لمن يحتاجُ إليها"^{١٣}

وأيضاً في خاتمةِ الثالثةِ يقولُ

"فلنرحلْ من هنا ونحن محتفظون بما قيل،

^{١٢} وهو الاسقفُ فلافيانُ هو معلِّمُ يوحنا ذهبي الفم وبطريركِ أنطاكية، وكثيراً ما يشيرُ إليه القديسُ ذهبي الفم بلقبِ "المعلم" في العديد من أعماله، وقد كان واعظاً مقتدراً، وكان القديسُ يوحنا يتابع عظاته، وعندما صار ذهبي الفم كاهناً كان هذا الاسقفُ فلافيانُ شيخاً مسناً، وأصبح القديسُ يوحنا خليفته في الوعظ، وكان هذا الأب الاسقفُ متابعاً لعظاته، وأحياناً كان يطلب القديسُ يوحنا بركته قبل الوعظ، وأحياناً أخرى كان يكمل الاسقفُ فلافيان الوعظ. وقد كان القديسُ يوحنا يمدح هذا الأب الاسقفَ وخاصةً لأنه قام بتوزيع أمواله على الفقراء.

^{١٣} خاتمةِ العظةِ الثانيةِ.

وأفضل حفظ لهذا هو أن نقبل بشكل تام نصائح المعلم الصالح، لأن ما يخصني، على الرغم من أنه يحمل أمثال الشباب (الحداثة) بينما ما يخص المعلم تعاليم مزيّنة بعناية الشيوخ، وما يخصني يشبه الغدير الذي يأتي من الجذور، بينما ما يخصه يشبه النبع الذي يتدفق من الأنهار بهدوء شديد، التي تحاكي سريان الزيت أكثر من المياه.^{١٤}

ومن هذا يتضح أن عظة القديس يوحنا كانت كلمة قصيرة تمهيدية لكلمة "المعلم" أي القديس فلافيان أسقفه، وهذا يدل على حداثة عهد القديس يوحنا بالكنوت والوعظ.

يقترح Tillemont أن تكون هاتان العظتان قد أُلقيتا في بداية عام ٣٨٦، بينما يعتقد Dumortier (وهو الاستاذ الذي قام بتحقيق النص اليوناني للعظات ونشرها مع ترجمة فرنسية جديدة في مجموعة SC) أنهما قد أُلقيتا في الشهور الأخيرة من ذاك العام، وذلك لأن Tillemont يُقدم أدلة على أن قد أُلقيت

^{١٤} خاتمة العظة الثالثة.

قَبْلَ الصَّوْمِ الأَرْبَعِينَ لِهَذَا العامِ، وَلَا يُمْكِنُ لِلْعَظَتَيْنِ أَنْ تَكُونَا مَفْصُولَتَيْنِ عَنِ الْعَظَتَيْنِ الْخَامِسَةِ وَالسَّادِسَةِ، بِفَتْرَةٍ زَمْنِيَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَذَلِكَ لَتَتَابِعِ الْأَحْدَاثِ الْخَاصَةِ بِقِصَّةِ عُرِّيَّا كَمَا يَرُويهَا خَطِيبُ الْكَنِيسَةِ الْأَشْهُرُ. وَيَنْتَهِي Dumortier إِلَى أَنَّ الْعِظَاتِ (٢ - ٣ - ٥ - ٦) قَدْ أُلْقِيَتْ فِي نِهَآيَةِ عَامِ ٣٨٦ وَبَدَآيَةِ عَامِ ٣٨٧، إِذْ أَنَّهَا تَمَثِّلُ مَجْمُوعَةً وَاحِدَةً.

بَيَّذَ أَنَّ Montfaucon يَقْتَرِخُ زَمَنًا مُتَأَخِّرًا لِإِلْقَاءِ هَذِهِ الْعِظَاتِ حَوَالِي عَامِ ٣٨٨ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَدِيسَ يُوْحَنَّا يُوْعِدُ مُسْتَمْعِيهِ بِالْقَاءِ عِظَاتٍ عَنْ عِلَّةِ تَغْيِيرِ أَسْمَاءِ الْقَدِيسِينَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ،^{١٥} وَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَنَّ تِلْكَ الْعِظَاتِ قَدْ أُلْقِيَتْ عَامَ ٣٨٨، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعِظَاتِ عَنْ عُرِّيَّا - مَحَلِّ دِرَاسَتِنَا - كَانَتْ سَابِقَةً مُبَآشِرَةً لِلْعِظَاتِ عَنْ تَغْيِيرِ أَسْمَاءِ الْقَدِيسِينَ، فَمِنْ الْمَعْتَادِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا فَارَقٌ زَمْنِيٌّ.

يَرِي Montfaucon أَنَّ الْعِظَةَ الرَّابِعَةَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا تَتَحَدَّثُ أَيْضًا عَنْ عُرِّيَّا إِلَّا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ قَدْ أُلْقِيَتْ

^{١٥} انظر العظة الثانية فقرة ٣

في نفس الزمان أو نفس المدينة، فكل الشواهدُ تحمّلنا على الظنِ
أنّها قد أُلقيت في مدينة القسطنطينية وليس أنطاكية وفي فترة
زمنية متأخرة، فعلى الرغم من أنّ عنوان العظة يذكر أنّها مديح
لمدينة أنطاكية، إلا أنّ اسم المدينة لا يُذكر في صلب النص، بل
أنّ مواصفات هذه المدينة تجعلنا نؤيد بقوة أنّها القسطنطينية،
حيث يصفها بالجمال والغنى وبكثرة القناصله ويقارنها بمدينة
روما، وينعتها بأنّها المدينة العظيمة وعاصمة المسكونة:

"Μεγάλη πόλις καὶ μητρόπολις τῆς οἰκουμένης"

وهي مواصفات لا تنطبق إلا على القسطنطينية عاصمة
الإمبراطورية البيزنطية.

أما Tillemont فيرى أن العظة الرابعة قد أُلقيت في
أنطاكية، لكنّه يجزم بأنّها مستقلة عن باقي العظات، لأنّها لا
تتبع في تسلسلها إلا العظة الثالثة أو الخامسة بل أنّه من السهل
استنتاج أنّ العظة الخامسة تبدأ من حيث تنتهي العظة الثالثة في
الحديث عن خطية عزّياً.

والخلاصة أنّ هناك أربع عظات هي (٢، ٣، ٥، ٦) تمثّل
مجموعة واحدة ألقاها القديس يوحنا في أنطاكية وفي بداية عهده

بالكهنوتِ والوعظِ وغالبًا أنَّ تاريخَ إلقائها يقعُ ما بينَ عامي ٣٧٦، ٣٧٧ وهي عَنْ رُؤيا إِسعياءَ حيثُ تَطَرَّقَ فيها بِإِسهابٍ شديدٍ إلى قصةِ عَزِّيَّا وخطيئتهُ، وقد قامَ النَّسَّاحُ بِإضافةِ عظتينِ أخريينِ كانتا قد أُلقيتا في فترةٍ متأخرةٍ عن تلكِ المجموعةِ، الأولى هي عظةٌ مستقلةٌ، موضوعُها الرئيسيُّ عَنْ آدابِ الحضورِ والصلاةِ في الكنيسةِ وقد يرجعُ تاريخُها إلى ما قَبْلَ عامِ ٣٩٥، أما الأخرى فهي العظةُ الرابعةُ وهي تلخيصٌ لقصةِ عَزِّيَّا وهي بلا شكٍ أحدثُ جميعِ هذهِ العظاتِ، غيرَ أنَّه من الصعبِ التَّكهنَ بتاريخِ إلقائها كما أنَّ مسألةَ أصالةِ هذهِ الرسالةِ ونسبِها للقديسِ يوحنا ذهبي الفمِ موضعُ تساؤلٍ كما سنرى.

أصالةُ العظةِ الرابعةِ

هذهِ العظةُ ساقطةٌ مِنْ بعضِ قوائمِ المخطوطاتِ الخاصةِ بمجموعةِ العظاتِ. كما أنَّ الدِّراسةَ الداخليَّةَ لنصِّ العظةِ لا تُدَعِّمُ أصالتها، ففي دراسةٍ للباحثِ Dumortier انتهى إلى أنَّها مستعارةٌ مِنْ بعضِ فقراتِ العظةِ الخامسةِ، وقد قامَ بصياغَتِها مَجْهولٌ ونسبَها للقديسِ يوحنا ذهبي الفمِ.

ويعتقدُ Tillemont أنَّ القديسَ يوحنا هوَ الذي ألقى هذهِ

العظة في أنطاكية، لكن Dumortier يرى أن حديث القديس يوحنا عن وجود قنصل لهذه المدينة ومجلس للشيوخ، ويشير إلى مجلس من نوع خاص لا يوجد في المدن الأخرى، التي يوجد بها مجالس بالتأكيد، فيرى أن هذا المجلس هو مجلس خاص بعاصمة الإمبراطورية التي يقارنها بمدينة روما العظيمة، ومن ثمّ ينتهي إلى أن المدينة المقصودة هي مدينة القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، حيث إن الكلمة التي يستخدمها ذهبي الفم للتعبير عن مجلس الشيوخ ليست βουλή أو συνέδριον بل σύγκλητος التي يرى أنها تعبر عن مجلس متميز وكانت تُستخدم للإشارة إلى مجلس القسطنطينية ولم تُستخدم للإشارة لمجلس مدينة أنطاكية.

كما أن دراسة نص الرسالة تُظهر فيه أساليب لا يستخدمها القديس يوحنا وبالأخص في مديحه عن القديس بطرس الرسول والمرأة المكابية. ويرى Dumortier أن الكاتب في بعض المقاطع يستخدم أسلوباً ركيكاً لغوياً لا يتناسب مع خطيب الكنيسة الأشهر¹⁶، ويؤكد أن هذه العظة مجمعة من العظات

¹⁶ Dumortier, SC 277, p. 16, 17, 231.

الأخرى بواسطة كاتب مجهول لا يملك بلاغة القديس يوحنا. ويقترح البعض أن يكون هذا الكاتب نيكوفور بطيريك القسطنطينية. (٧٨٥-٨٢٨ م.).

أما من جهتنا نحن، فقد لَقَّت انتباهنا في هذه العظة استخدام تعبير "أساس الكنيسة" ليصف به القديس بطرس الرسول والتعبير باليونانية هو ἡ Κρητις τῆς Ἐκκλησίας، وهو تعبير بكل تأكيد لا يُنسب للقديس يوحنا ذهبي الفم ولا لأي أب آخر من الآباء الكبار، فقد قمنا بعمل بحث عن هذا التعبير تحديداً في نصوص الآباء اليونان، فلم نجده نهائياً عند أي أب، ما خلا موضعين: أولهما في هذه العظة المنسوبة للقديس يوحنا، والموضع الثاني قد ورد في عظة أخرى عن الميلاد منسوبة بالخطأ أيضاً للقديس يوحنا ذهبي الفم^{١٧}، مما يرجح أن محرر العظتين هو نفس الشخص الذي أقحم هذا التعبير.

¹⁷ Joannes Chrysostomus, De eleemosyna [Sp.] PG 60,709, line 10

عُزِّيَّا الْمَلِكُ^{١٨}

التسمية

"عُزِّيَّا" هو اسمٌ عبريٌّ معناه عِزِّي أي قَوْتِي، ويسمى أيضاً عَزْرِيَّا^{١٩} الذي معناه : "الربُّ قد أعانَ" . ويبدو أنَّ "عُزِّيَّا" كان اسمَه الملكيَّ^{٢٠}

وعُزِّيَّا وهو ابنُ الملكِ أمصيا بنِ الملكِ يوشَ . واسمُ أمِه يكلِيا مِنْ أورشليمَ ، وقد خَلَفَ أباهَ أمصيا على عرشِ يهوذا، وهو في السادسة عشرة من عمره، وملكَ اثنتَين وخمسين سنةً في أورشليمَ (حوالي ٧٩٢ - ٧٤٠ ق . م .)، وفي ذلك الحين ثارَ شعبُ يهوذا على أبيه أمصيا، فهربَ إلى لخيشَ، فطارَدُوهُ وقتَلُوهُ هناك، إلا أنَّهم جميعاً أخذوا عُزِّيَّا وملْغُوهُ عَوْضًا عن أبيه^{٢١}.

^{١٨} مقتبس من دائرة المعارف الكتابية تحت اسم : عُزِّيَّا الْمَلِكِ. (يتصرف).

^{١٩} ٢١ مل ١٤ : ٢١ ; ١٥ : ١ ، ٦ - ٨ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٢٧

^{٢٠} ٢ مل ١٥ : ١٣ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ؛ ٢ أخ ٢٦ : ١ - ٢٧ : ٢٠ ، مت ١ : ٨ ، ٩ .

^{٢١} ٢ مل ١٤ : ١٩ - ٢١

قوة وعزة ملكه

على ما يبدو أن عُزِّيَّا كان اسماً على مُسمًى، حسبما شهدت مملكتا يهوذا وإسرائيل في عهده عزة وبأساً في القرن الثامن قبل الميلاد. وفي أيام عُزِّيَّا ملك يهوذا، ويربعام الثاني ملك إسرائيل (حوالي ٧٩٣ - ٧٥٣ ق . م .) بلغت المملكتان أوج قوتيهما وازدهارهما، وهو ما لم تَبْلُغاه منذ وفاة الملك سليمان. وقد أثبتت الاكتشافات الأثرية في السامرة وغيرها من المواقع صدق وأصالة الصورة المرسومة في الكتاب المقدس لما بلغته الدولتان من قوة ورخاء في هذه الفترة، وقد ساعدهما على ذلك الوضع السياسي العالمي، إذ كان هدد نيراري الثالث ملك آشور (حوالي ٨١١ - ٧٨٣ ق . م .) قد قضى على قوة دمشق (أرام) وفرض جزية على ملكها بنهدد الثالث. وهكذا خلا الجو من أرام كقوة مناهضة لإسرائيل ويهوذا. كما أن آشور نفسها لم تعد عدواً خطيراً لأن خلفاء هدد نيراري الثلاثة (حتى ٧٤٥ ق . م .) لم يكونوا من القوة بالدرجة التي تُمكنهم من إحكام قبضتهم على البلاد الواقعة غربي الفرات.

وشرع عُزِّيَّا في بداية حكمه - وهو في السادسة عشرة من

عمره - يرممُ حصونَ أورشليم، ثم طفقَ يعيدُ تنظيمَ الجيشِ وتسليحَه، فأقامَ في أورشليم "منجنيقاتٍ لتكونَ على الأبراجِ والزوايا لثَرَمي بها السهامُ والحجارةُ العظيمةُ"^{٢٢}.

كما استطاع أن يدعمَ سيطرته على أدوم، وأن يتحكَّم في طرقِ التجارة، فحاربَ الفلسطينيين وهدمَ أسوارَجتاً وبينه وأشدودَ، وبني مدناً حصينةً، كما حاربَ القبائلَ في الشمالِ الغربي من شبه الجزيرة العربية^{٢٣}، وأعادَ فتحَ ميناء "عصيون جابر" (إيلات)^{٢٤}. وكشفتِ الحفرياتُ الأثريةُ عن حصونٍ قويةٍ ترجعُ إلى هذه الفترة في "عراذ" وما حولها "قادش برنيع"، مما يدلُّ على أنه كانَ يسيطرُ على النقبِ والصحراءِ الجنوبية، كما كانَ يحكمُ قبضتهُ على الأجزاءِ الشمالية والشرقية من سهلِ فلسطين، فاستولى على جبّ وبينه وأشدودَ كما سبقَ القولُ^{٢٥}.

^{٢٢} ٢ أخ ٢٦: ١١ - ١٥

^{٢٣} ٢ أخ ٢٦: ٦ - ٨

^{٢٤} ٢ مل ١٤: ٢٢

^{٢٥} ٢ أخ ٢٦: ٦

خطية عَزْرِيَا فِي إِغْتَصَابِ الْكهنوتِ

ما كَادَ يَبْلُغُ هذه الدرجة من القوة والعظمة حتى دخله كبرياءٌ،
عندئذٍ دَخَلَ هَيْكَلَ الرَّبِّ لِيُوقِدَ عَلَى مَذْبَحِ الْبُخُورِ. وَدَخَلَ وَرَاءَهُ
عَزْرِيَا الْكَاهِنُ وَمَعَهُ ثَمَانُونَ مِنْ كَهَنَةِ الرَّبِّ بَنِي الْبَاسِ. وَقَاوَمُوا
عَزْرِيَا الْمَلِكَ وَقَالُوا لَهُ: «لَيْسَ مَنُوطاً بِكَ يَا عَزْرِيَا أَنْ تُوقِدَ لِلرَّبِّ،
بَلْ فَهَذَا يَخْصُ الْكَهَنَةُ بَنِي هَارُونَ الْمُقَدَّسِينَ لِلْإِيقَادِ. اخْرُجْ مِنَ
الْمُقَدَّسِ لِأَنَّكَ خُنْتَ' لِأَنَّكَ لَمْ تَحْظَ كَرَامَةَ الْكهنوتِ مِنْ عِنْدِ
الرَّبِّ إِلَهِ». فَحَقَّقَ عَزْرِيَا عَلَى الْكَهَنَةِ وَفِي يَدِهِ مَجْمَرَةٌ لِلْإِيقَادِ.
فَإِذَا بَبْرَصٍ يَغْشَى جَبْهَتَهُ أَمَامَ الْكَهَنَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ بِجَانِبِ
مَذْبَحِ الْبُخُورِ. فَالْتَفَتَتْ نَحْوَهُ عَزْرِيَا هُوَ الْكَاهِنُ الرَّأْسُ وَكُلُّ الْكَهَنَةِ
وَإِذَا هُوَ أَبْرَصٌ فِي جَبْهَتِهِ، فَطَرَدُوهُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى إِنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ
بَادَرَ إِلَى الْخُرُوجِ لِأَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَهُ. وَكَانَ عَزْرِيَا الْمَلِكُ أَبْرَصَ
إِلَى يَوْمٍ وَفَاتِهِ، وَأَقَامَ فِي بَيْتِ الْمَرَضِ أَبْرَصَ لِأَنَّهُ قُطِعَ مِنْ بَيْتِ
الرَّبِّ، وَكَانَ يُوثَّمُ ابْنُهُ عَلَى بَيْتِ الْمَلِكِ يَحْكُمُ عَلَى شَعْبِ
الْأَرْضِ. ٢٦

نهاية عُزِّيَا

أقام عُزِّيَا "فِي بَيْتِ الْمَرَضِ" مُعْزِلاً عَنِ النَّاسِ كَمَا تَقْضِي الشَّرِيعَةُ^{٢٧}، وَيَرَى بَعْضُ الْبَاحِثِينَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي بَيْتٍ خَاصٍّ بُنِيَ لَهُ خَارِجَ أُورُشَلِيمَ، بِيَدِ أَنَّ الْقَدِيسَ يُوحَنَّا ذَهَبِي الْفَمِ فِي عِظَاتِهِ يَرَى أَنَّ الشَّعْبَ قَدْ تَسَاهَلَ مَعَهُ فَتَرَكَهُ فِي دَاخِلِ الْمَدِينَةِ الْمَخَالَفَةَ لِأَوَامِرِ الشَّرِيعَةِ مِمَّا تَسَبَّبَ فِي غَضَبِ اللَّهِ فَتَوَقَّعَتِ النَّبُوَّةُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى وَفَاتَهُ، لَكِنَّهُ لَا يَوْجَدُ إِجْمَاعٌ عَلَى أَنَّهُ ظَلَّ مُحْتَفِظاً بِعَرْشِهِ إِلَى يَوْمِ وَفَاتِهِ. وَلَمَّا مَاتَ دَفَنُوهُ "فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ"^{٢٨} "فِي حَقْلِ الْمَقْبَرَةِ ... لِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّهُ أُبْرَصُ"^{٢٩}. وَقَدْ اكْتُشِفَ شَاهِدٌ قَبْرِ مَنْقُوشٍ عَلَيْهِ بِالْأَرَامِيَّةِ، يَرْجِعُ إِلَى الْقَرْنِ الْأَوَّلِ قَبْلَ الْمِيلَادِ، يُؤَيِّدُ أَنَّ عُزِّيَا لَمْ يَدْفَنَ مَعَ الْمُلُوكِ، بَلْ فِي قَبْرِ مُنْفَرِدٍ. وَغَالِبًا قَدْ مَاتَ عُزِّيَا فِي ٧٤٢ ق. م. قَبْلَ أَنْ يُوَاجِهَ الزَّحَفَ الْأَشُورِيِّ.

^{٢٧} ٢ أخ ٢٦: ٢١؛ ٢ مل ١٥: ٥

^{٢٨} ٢ مل ١٥: ٧

^{٢٩} ٢ أخ ٢٦: ٢٣

التعاليم اللاهوتية لهذه العظات

رؤيا إشعياء دليل على تنازل الله.

يفسرُ القديسُ يوحنا ذهبي الفم رؤيا إشعياء ومشهد وقوفه أمامَ العرشِ الإلهي ومنظرَ القواتِ السماويةِ ومهابتها العرشَ الإلهيَ وسماحَ الله لإشعياء كإنسانٍ أن يراه بتنازلٍ من قبلِ الله συγκατάβασις بسببِ الضعفِ البشري.

الطبيعةُ الإلهيةُ غيرُ موصوفةٍ أو مفهومةٍ.

يشدّد ذهبي الفم على أن الطبيعةَ الإلهيةَ غيرُ موصوفةٍ، وهو يأخذُ قولَ إشعياء النبي "أنّه رأى الربَّ "جالساً" على كرسي عالٍ ومرتفعٍ" حيث يرى أن الجلوسَ هنا بشكل معنوي ولا يأخذ بالمعنى الحرفي للكلمة.

كرامةُ الكهنوت

يقارنُ ذهبي الفم بينَ الكهنوتِ والمُلكِ مُنزلاً كرامةَ الكهنوتِ مَنْزَلةً أرفعَ من المُلكِ لأنَّ الكاهنَ يباركُ الملكَ خافِضاً رأسه أمامه لنوالِ البركة، فَيَنْوّه إلى رِفعةِ الكاهنِ كامنّةٍ في تَمسِكِهِ بالحقِّ، غَيْرَ مبالٍ ببطشِ الحاكمِ المتعدي على الشريعة، وهو

نفسُ الموقفِ الذي اتبعهُ القديسُ يوحنا ذهبى الفمِ عملياً فيما بعدُ مع الامبراطورة أفدوكسيا، عندما لم يترددْ من منعها من دخولِ الكنيسةِ، لإستيلائها على حقلِ امرأةٍ ظلمًا، بعد إخفاقِ نَصائِحِه في إثابتها إلى الحقِ برِدِ الحقلِ.

كما يوضحُ خطيبُ الكنيسةِ الأشهرُ، أن وجودَ أفرادٍ منحرفين في مصافِ الإكليروسِ لا يعيبُ الكهنوتَ، فلا يحطُّ من شأنِ مهنةٍ بذاتها أن ارتادها مُنحرفون فوجودُ أطباءٍ جهلاءٍ لا يُهينُ مهنةَ الطبِّ في ذاتِها.

هكذا يَحْجُو القديسُ ذهبى الفمِ الكاهنَ شفيعًا عن الشعبِ بصلواتِهِ التي يرفعُها إلى الله فيصْرِفُ غَضَبَهُ.

هيئة السِّرافيم وطبيعتهم الروحية

يوقنُ ذهبى الفمِ بأن طبيعةَ السِّرافيمِ روحيةٌ لا جسديةٌ كطبيعةِ البشرِ وأنَّ عَظَمَتَهُم لا تكمنُ في طبيعتِهِم بل في وقْفِهِم أمامَ الحضرةِ الإلهيةِ، ثم يَعْرِضُ إلى خشوعِهِم في عبادتِهِم لله، مُرجِعاً سببَ تَغطيةِ وُجْهِهِم إلى عدمِ قَدرتِهِم على الشَّخْوصِ إلى المجدِ الإلهي، ومعتبراً تَغطيةَ أرجلِهِم ضَرْباً من الخشوعِ والمخافةِ أمامَ الله، وعَجْزاً عنِ احْتِمَالِ قوَّةِ اللِّمعانِ المُنبِّئِ من

العرش الإلهي ، لذا يقومون بتغطية كل جزء من أجسادهم السَّمَانِيَّة.

الإفخارستيا

يُقَارَنُ ذهبُ الفمِ بينِ عِظَمَةِ السَّرَافِيمِ في اقْتِرَابِهِمِ مِنَ الْعَرْشِ الإلهي وبين النعمة الفائقة التي ينالها الإنسان بالتناول من الإفخارستيا، حيث يرى أنَّ هذا الطَّعامَ يُتَمَيِّزُ به الإنسان عن الملائكة، ولكنه يؤكد تأكيدًا على وجوب التوبة والاستعداد لتَقَرُّبٍ من المائدة المقدسة.

العبادة بخُشوعٍ

يُلْزَمُ خَطِيبُ الْكَنِيسَةِ الْأَشْهُرُ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى وَقَارِ الْعِبَادَةِ، هكذا استوفى الحديث عن السَّرَافِيمِ وَالشَّارُوبِيمِ وَتَسْبِيحِهِمِ لِلَّهِ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ، وفَرَطِ خُشُوعٍ وَهُمْ يَظْطَوْنَ أَجْسَادَهُمُ الرُّوحَانِيَّةَ بِأَجْنَحَتِهِمْ، حَتَّى طَفِقَ يَقَابِلُ خُشُوعَ تِلْكَ الْقَوَاتِ السَّمَانِيَّةِ، بِسُلُوكِيَّاتٍ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ الْمُنْضَبِطَةِ أَثْنَاءَ الْعِبَادَةِ، فَيَلُومُ عَلَى الَّذِينَ يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ أَثْنَاءَ الصَّلَاةِ بِلا هَدَفٍ وَبشكْلِ عِثْيٍ، مَتَخَلِّينَ بِذَلِكَ عَنِ وَقَارِ الْجَسَدِ وَخُشُوعِهِ، وَيُرْجِعُ تِلْكَ التَّصَرُّفَاتِ إِلَى تَعَوِّدِهِمُ التَّرَدَّدَ عَلَى أَمَاكِنِ اللّهِوِّ وَالْإِنْحِلَالِ كَالْمَسَارِحِ

الْخَلِيعَةُ أَوْسَبَاقَاتِ الْخَيْلِ وَغَيْرِهَا مِنْ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَكُونُ مَرْتَعًا لِلْخَطِيئَةِ. حَيْثُ الْمَشَاهِدُ الذَّاعِرَةُ الْخ.

كَرَامَةُ الزَّوْاجِ

يُقَوِّضُ ذَهَبِيُّ الْفَمِ الْعَقِيدَةَ الْمَعْتَبَرَةَ الزَّوْاجِ عَائِقًا لِلارْتِقَاءِ الرُّوحِيِّ وَتَقْدِمِ الْإِنْسَانِ فِي مَسِيرَتِهِ نَحْوَ اللَّهِ، مُسْتَشْهِدًا بِنَمَازِجِ لِرِجَالِ قِدِّيسِينَ كَانُوا مَتَزَوِّجِينَ مَثَلِ إِبْرَاهِيمَ أَبِي الْأَبَاءِ وَالْقَدِّيسِ بُطْرُسَ الرَّسُولِ وَمُثْبِتًا أَنَّ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ لَهُ الْمَجْدُ قَدْ بَارَكَ الزَّوْاجَ بِحُضُورِهِ عُرْسَ قَانَا الْجَلِيلِ، مَعْتَبِرًا أَنَّ مُعْجَزَةَ السَّيِّدِ لَهُ الْمَجْدُ تَحْوِيلَ الْمَاءِ إِلَى خَمْرٍ كَانَتْ بِمَثَابَةِ هَدِيَةِ الْعُرْسِ الَّتِي تَشْرَفَ بِحُضُورِهِ.

أَهْمِيَّةُ ذِكْرِ الْكِتَابِ لِلتَّوَارِيخِ

يُدَافِعُ ذَهَبِيُّ الْفَمِ عَنْ أَهْمِيَّةِ ذِكْرِ التَّوَارِيخِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَيُنَدِّدُ بِاعْتِرَاضِ الْبَعْضِ عَلَى إِسْهَابِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ فِي ذِكْرِهَا، وَهُوَ يَرَى أَنَّ ذِكْرَ التَّوَارِيخِ أَمْرٌ لَا يَخْصُ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ وَحْدَهُ بَلْ هُوَ بَيِّنٌ عَنْ شَأْنِ أَيِّ وَثِيقَةٍ رَسْمِيَّةٍ، حَيْثُ تَسْتَمُدُّ أَهْمِيَّتَهَا وَقِيمَتَهَا حَيْثُمَا يَتَصَدَّرُهَا تَارِيخٌ تَدْوِينُهَا.

العُقُوبَةُ

تطرقُ القديسُ يوحنا في أعماله إلى مبدأ أخلاقيٍّ مُهمٍّ، يأخذُ به الله في العقاب وهو مبدأُ الرافةِ في إنزاله، لأنه محب للبشر *φιλάνθρωπος*، فقد عاقبَ الله عُرْيَا الملكَ لأنه تَجَاسَرَ وتعدَّى على الكهنوتِ الذي لم يُمنَحْ له بل لزكريا الكاهنِ، فضربَهُ الله بالبرصِ في جَبْهَتِهِ، وهنا ينوه ذهبى الفمِ إلى قدرةِ الله على جلبِ الخرابِ علي المدينةِ بأكملها، قصاصاً من الشعبِ لأنه لم يُخرجِ الملكَ الأبرصَ خارجَ المدينةِ كحكمِ الشريعةِ، بل أنَّ الله من رحمتهِ اكتفى بهذه العُقُوبَةِ الهَيَّةِ.

النهايةُ الحسنَةُ للإنسانِ أفضلُ من بدايةِ سيرتهِ

يذهبُ القديسُ يوحنا إلى القولِ بأنَّ نهايةَ سيرةِ الإنسانِ الحسنَةُ أفضلُ من بدايتها.

الكبرياءُ سببُ سقوطِ الشيطانِ

يَستندُ القديسُ يوحنا إلى سفرِ إشعياءَ لكي يُثبِتَ أن سببَ سقوطِ الشيطانِ هو الكبرياءُ، لذا الشيطانُ يَزْغُبُ في إسقاطِ الإنسانِ بنفسِ الداءِ. ويُشَبِّهُ القديسُ يوحنا الإنسانَ المتكبرَ بالإنسانِ الأعمى الذي فقد نورَ عَيْنِيهِ.

الخطية جرح

كثيراً ما يُشَبَّه القديسُ يوحنا ذهبي الفمِ الخَطِيئَةُ بِالْجُرْحِ
 πληγή أو الإصابَةُ τραῦμα، ويُشَبَّهُ الْخَلَّاصُ مِنْهَا بِالْعِلَاجِ
 أو الدَّوَاءِ φάρμακον والصورةُ عن القديسِ يوحنا ذهبي الفمِ
 مُمتدَّةٌ فهو يَتَحَدَّثُ عَنْ جِرَاحَاتٍ وَيُظْهِرُ اللهُ طَبِيباً مُدَاوِياً تِلْكَ
 الجِرَاحَاتِ بِدَافِعِ صِلَاحِهِ ἀγαθότης ومحبَّتِهِ للبشرِ
 . φιλανθρωπία

الخطايا ليست سِوَاءَ

يُمَيِّزُ الْقَدِيسُ يوحنا بين الخطايا الصغيرة والكبيرة (عِظَةُ
 ٣). وهو يُقَارِنُ بَيْنَ مَنْ يَسْرِقُ لِأَكْلٍ وَمَنْ يَزْنِي بَحْثًا عَنْ لَذَّةٍ
 زَانِفَةٍ، بَيْنَ مَنْ يَزْنِي وهو مُحَصَّنٌ بِالزَّوْاجِ، فَيَعْتَبِرُ الزَّنا أَشْرَ
 مِنَ السَّرِقَةِ لَكِنَّ كِلَيْهِمَا بِالتَّأَكِيدِ شَرٌّ، ثُمَّ يَسْتَطِرِدُّ إِلَى أَثَرِ الْخَطِيئَةِ
 فِي وَقُوعِ الْإِنْسَانِ فِي اضْطِرَابٍ وَشُكُوكٍ.

المناظرُ الخَلِيعَةُ وَالشَّرِيرَةُ

يَنُوهُ ذَهَبِيُّ الْفَمِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ بِالذِّكْرِ إِلَى خَطُورَةِ
 التَّطَلُّعِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَنَاطِرِ الْخَلِيعَةِ سِوَاءَ بِالذَّهَابِ لِأَمَاكِنِ
 الْخَطِيئَةِ كَالْمَسَارِحِ الْفَاجِرَةِ، ثُمَّ الذَّهَابِ إِلَى الْكَنِيسَةِ، لَكِنَّهُ فِي

موضعٍ آخرَ لايعزُّو إلى الجمالِ غلةَ الخطيةِ بل إلى النظرةِ الشريرةِ، التي يرى أنها تُصيبُ النفسَ التي تنظرُ بشرٍ، فيبقى أثرُ هذه النظرةِ في تلكِ النفسِ مثلَ أثرِ السهمِ الذي يخترقُ جسدَ الفريسةِ.

التفسيرُ التاريخي والتفسيرُ الرمزي

يَعْمَدُ القديسُ ذهبيُّ الفمِ إلى طريقةِ التفسيرِ التاريخي والحرفي لمدرسة أنطاكية، لكنَّه في حالةٍ وحيدةٍ يَعْمَدُ إلى التفسيرِ النماذجي، حيثُ يرى أن يَشُوعَ كان نموذجًا وصورةً لشخصِ السيدِ المسيح، فيقولُ:

"ويَشُوعُ ذلك الذي وَقَعَ عليه الاختيارُ كي يكونَ خليفةَ موسى بتعيين من الله، وهو يمثلُ صورةً ونموذجاً لمخلصنا الحقيقي يَسُوعَ المسيح، لأنَّه كما أن ذاك قد عَبَرَ بالشعبِ مِنَ البريةِ عَبَرَ الأردنِ إلى أرضِ الميعادِ، هكذا أيضًا مخلصنا (عَبَرَ بنا) مِنْ بَرِيَةِ الْجَهْلِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، عَبَرَ (بواسطة) المَعْمُودِيَةِ المَقْدَسَةِ والمُخْلِصَةِ، قَدْ نَقَلْنَا إلَيَّ مَلَكُوتِ

السموات، إلي أم الأبرار، التي فيها قد أُعدت
أماكن الراحة الحقيقية، حيث المعيشة السلامية
وغير المُضنية"^{٣٠}

يَؤسَلُ هنا القديسُ يوحنا تعبيرَ "εἰκόνα" "أيقونة" و τύπος
"نموذج" لتعبيرٍ عَنْ يَشُوعَ كَرَمَزٍ للسيد المسيح.

وفي موضعٍ آخرَ يَتَحَدَّثُ عَنْ سَبَبِ سِقُوطِ الشَّيْطَانِ بِخَطِيئَةِ
الكبرياءِ مستشهداً بنصِ إشعياءَ "أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ.
أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ"^{٣١} كما يشير بشكلٍ عابرٍ إلى رفض البعض
لتفسير الرمزي إذ يقول: "إِنَّ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ بِسُرُورٍ
التفسيرَ الرمزيَّةَ، يشجبون شهادتي"^{٣٢}

التَّعْلِيمُ عَنِ الْكَنِيسَةِ

يَصِفُ القديسُ يوحنا الكَنِيسَةَ بِعِدَّةِ أَلْقَابٍ جَمِيلَةٍ وَهِيَ "أُمُّنَا
كُلُّنَا" و "أُمُّ الْأَبْرَارِ". وفي العِظَةِ الرَّابِعَةِ يَصِفُ الكَنِيسَةَ بِأَنَّهَا
أَعْظَمُ مِنَ السَّمَاءِ. وَأَنَّ السَّمَاءَ قَدْ جُعِلَتْ لِأَجْلِ الْكَنِيسَةِ وَلَيْسَ

^{٣٠} العظة الأولى فقرة ٥

^{٣١} أش ١٤ : ١٤

^{٣٢} العظة الثالثة فقرة ٣

العكس، لأنَّ السَّمَاءَ هي لأجلِ الإنسانِ وليس الإنسانُ قد خُلِقَ لأجلِ السماءِ.

التشبيهاتُ والصُّورُ

تَحْفَلُ عِظَاتُ القديسِ يوحنا بكثيرٍ جدًا مِنَ الصُّورِ والتَّشْبِيهاتِ والأَمْثَلَةِ التي لا يَمَكُنُ حَصْرُهَا، فَمَثَلًا في إِحْدِ التَّشْبِيهاتِ نَجِدُ هذا السَّيْلَ الجَارِفِ مِنَ الصُّورِ وهو يَتَحَدَّثُ عَنِ زُوجَةِ أَيُوبَ:

"فماذا فعلت؟ هل هزيتِ البُرجَ؟ هل أطاحتِ بالمَّاسِ عَلَى الأَرْضِ؟ هل هزمتِ الصَّخْرَةَ؟ هل جرحتِ الجندي؟ هل ثَقَبْتَ السَّفِينَةَ؟ هل قَلَعْتَ الشَّجَرَةَ؟ لَمْ يَحْدِثْ أَيُّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا، فَتِلْكَ قَدْ تَحَطَّمَتْ وَلَكِنَّ البُرجَ صَارَ أَكْثَرَ ثَبَاتًا، حَقًّا هَاجَتِ الأمْوَاجُ وَلَكِنَّ السَّفِينَةَ لَمْ تَغْرُقْ، بَلْ أَبْحَرَتْ مَعَ الرِّيحِ الهَادِئَةِ، فَقَدْ قُطِفَتِ الثَّمَرَةُ وَالشَّجَرَةُ لَمْ تَنْزَحْزَحْ، سَقَطَتْ أَوْرَاقُهَا، لَكِنَّ جُذُورَهَا بَقِيَ ثَابِتَةً، وَهَذَا أَقْوَلُهُ حَتَّى لَا يَتَذَرَعَ أَحَدٌ بِشُرُورِ زَوْجَتِهِ"

من تلكِ الفقرة نُلَاحِظُ قُدْرَاتِ القديسِ يوحنا الخطابيةِ

والبلاغية، وقد حاولنا تجميع أهم الأمثلة التشبيهية التي استخدمها خطيب الكنيسة الأشهر في هذه العظات، حتي يلقي القارئ نظرة عليها.

في العظة الأولى

- (١) تشبيه نسيان الفلاح لتعبه عند الحصاد بالواعظ الذي ينسي تعبته فرحًا بحماسة الحضور لسماع الكلمة.
- (٢) تشبيه تناغم التسبيح بريشة العازف.
- (٣) تشبيه نصيحة الآباء للابناء المطيعين بإرشادات الواعظ لجمهور المستمعين.
- (٤) تشبيه استعداد التاجر لرحلة طويلة وقبول مخاطر العواصف.

في العظة الثانية

- (٥) تشبيه الأم المرضعة التي جف لبن ثديها، بفقر الواعظ في تقديم ما يرضي جمهور المستمعين.
- (٦) تشبيه حراس القصر الملكي وراغبي مشاهدة بهائه، بمُشاهدة البهاء الإلهي.
- (٧) تشبيه استخراج الذهب من تراب الأرض، لتمييز الغث

مِنَ الثَّمِينِ.

(٨) تشبيه راحة البحارة والمسافرين أثناء رحلتهم، باحتياج المستمعين للعظة لبعض الوقت للراحة.

(٩) تشبيه الخمر العتيقة والحديثة، بحديث المعلم فلافيان الشيخ مقابل حديث القديس يوحنا الواعظ الشاب.

في العظة الثالثة

(١٠) تشبيه اختلاف مائدة الأثرياء عن مائدة الفقراء باختلاف نوعية العظة.

(١١) تشبيه انطفاء المصباح عند تغذيته بكمية زائدة من الزيت كمثال إطناب الواعظ في الكلام.

(١٢) تشبيه مسابقة الخيل وانتظار الفرسان لتقدير الملك لهم لا جمهور المشاهدين، كمثال المؤمن الذي ينتظر مكافأة الله لا الناس.

(١٣) تشبيه غفلة الماشي على الحبل في السيرك، بمن يغفل في طريق حياته الروحية نحو السماء، مؤكداً أنه كلما ارتفع الحبل زادت الخطورة، كذلك كلما ارتفع الإنسان في الفضيلة وجب عليه الإحتراس.

- (١٤) تشبيهه مهاجمة القراصنة للسفن المُحمَلة وتترك السفن الخاوية، بالشيطان الذي يُحارب النفوس الخاوية لكل أنواع الفضائل ويترك النفوس الخاوية من أي فضيلة.
- (١٥) تشبيه النظرة الشريرة بالسهم الذي يُصيب الغزال.
- (١٦) تشبيه الأم التي تضع الحلوي لأطفالهم في جيوب مُعلّقة على صدورهم بطريقة مُحكمة الربط، حتى لا يقع شيء منها، بالواعظ الذي يقوم بتلخيص محتوى العظة للمستمعين حتى لا ينسوا شيئاً منها.

في العظة الخامسة

- (١٧) تشبيه دخول الممّثل المسرح بدون رأس، ببداية الواعظ للعظة بدون تمهيد.
- (١٨) تشبيه النفس بالجواد الجامح.
- (١٩) تشبيه التأديبات الإلهية بالجراحات الطبية الضرورية.
- (٢٠) تشبيه الجراح وسرعة إجراء الجراحة، بذكرى الكاهن الذي صدّ تطاول الملك عُزّيًا بسرعة وجسم.
- (٢١) يصف ذهبى الفم سقّطات القديسين بأنها "بهية" لأنه بسببها تظهر لنا روعة توبّتهم، فيشبه هذه السقّطات

بالأجساد الجميلة عند مَرَضِهَا تَظْهَرُ أَثَارُ حُسْنِهَا.
(٢٢) مَثَلُ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ الْعَاتِيَةِ وَذَوْبَانِهَا فِي النِّهَايَةِ وَتَحَوُّلِهَا
إِلَى رَغْوَةٍ، بِثَوْرَةِ الْمَلِكِ عَزِيًّا الَّتِي آلَتْ إِلَى لَا شَيْءٍ.

في العظة السادسة

(٢٣) مَثَلُ الرِّبَانِ الْمَاهِرِ الَّذِي يُسَافِرُ مَعَ قَوْمٍ بِهَدَفِ زِيَارَةٍ
أكْبَرَ عَدَدٍ مِنَ الْمَدَنِ، بِالْوَاعِظِ الَّذِي يُقَدِّمُ كَلِمَةً غَنِيَّةً
بِالْمَعْنَى الرُّوحِيَّةِ.

(٢٤) تَشْبِيهِ الْكِتَابِ بِالثَّوْبِ الْمَنسُوجِ مِنْ ذَهَبٍ.
(٢٥) تَشْبِيهِ الْحُرَّاسِ الَّذِينَ يَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنْ مَشَاهِدَةِ مُوَكَّبٍ
مُلُوكِيٍّ، فِي مَقَابِلِ تَمَتُّعٍ مُسْتَمْعِيٍّ ذَهَبِيٍّ الْقِمِّ بِمَوَاصِلَةٍ
تَأْمُلُهُمْ فِي الْمَشْهَدِ الْإِلَهِيِّ لِرُؤْيَا إِشْعِيَاءَ.

(٢٦) تَشْبِيهُ الْأَيْقُونَةِ الْمَلِكِيَّةِ، الَّتِي يَزُولُ إِعْجَبُنَا بِبَرِّيْقِهَا بَعْدَ
التَّعَوُّدِ عَلَى رُؤْيَيْهَا، عَلَى عَكْسِ مَشَاهِدَةِ الْمَجْدِ الْإِلَهِيِّ.

في العظة الرابعة

(٢٧) تَشْبِيهُ الْوَاعِظِ بِالْفَلَّاحِ الَّذِي يَلْقِي الْبِذَارَ وَيَجْنِي الْحَصَادَ.
(٢٨) تَشْبِيهُ مَنْ يَمْدُحُ الْمَدِينَةَ وَكُنَيْسَتَهَا بِسَبَبِ غَنَاهَا وَعَظَمَةِ
مَبَانِيهَا وَلَيْسَ لَتَقْوَى شَعْبِهَا بِمَنْ يَقْطِفُ الشَّجَرَةَ مِنْ

أوراقها وليس من ثمارها.

(٢٩) تشبيه بدء العظة بالإبحار

(٣٠) تشبيه العظة بالمائدة الفاخرة والممتلئة بالأطعمة.

(٣١) تشبيه مشقة رجل الغطس للحصول على الحجارة

الكريمة، بتحمل المستمع مشقة الحر والعرق في سبيل الإنصات للعظة.

(٣٢) تشبيه العشار والفريسي بسفينتين غرقت إحداهما عند الميناء والأخرى مرث بسلام.

(٣٣) مثل مهاجمة القراصنة السفن المحملة فقط وليست الفارغة، بالشيطان الذي لا يهاجم الخاطئ بل البار.

(٣٤) تشبيه الأخطاء الفردية القاتلة للأطباء أو البحارة بأخطاء بعض الكهنة.

(٣٥) تشبيه برص عزياً في جنبهته بالمرسوم الملكي.

(٣٦) تشبيه امتناع النبوة بقطيعة الأحياء بسبب حماقة ما.

ويَضِيقُ المَقَامُ هنا في شرح مغزى كل تشبيه ومثل يقدمهما

ذهبي الفم فيمكن للقارئ الحبيب أن يُطالع النص للوقوف على

قصد القديس يوحنا من كل مثل.

هذه الترجمة

قمنا بالاستناد إلى النص اليوناني المُحقّق في مجموعة SC وقد استعنا بالترجمة اليونانية الحديثة للنص في مجموعة EITE كما قمنا بمراجعة بعض الفقرات الصعبة على الترجمة الفرنسية الحديثة في مجموعة SC وأيضاً على الترجمة الإنجليزية الصادرة حديثاً، كما استعنا بالترجمات الفرنسية القديمة الأخرى غير أنّ النص الذي نقدّمه في النهاية لا يتبع أياً من هذه الترجمات بالضرورة سوى النص اليوناني الأصلي. وقد بذل الدكتور جورج عوض إبراهيم مجهوداً كبيراً في تدقيق الترجمة وتصحيحها بالكامل على النص اليوناني.

هذا وقد أضفنا من عندنا العناوين الجانبية للنص لتسهيل تقسيم الموضوعات. أما العناوين الرئيسية للعظات فمن الواضح أنها من وضع النساخ، وهي تختلف في بعض المخطوطات وقد إلّزمنا بالنص المحقّق في SC ووضعنا في الهامش النص التقليدي في PG. وقد وضعنا بين قوسين (...) في صلب النص ما رأينا إضافته على النص الأصلي لتوضيح المعنى. وقد استحسنّا استخدام النصوص الكتابية بحسب الترجمة العربية الشائعة (فاندايك) بدلاً من عمل ترجمة خاصة لها، ما خلا بعض

المقدمة

نصوص العهد القديم التي رأينا أنه لا بد من وضع النص
بحسب الترجمة السبعينية، وقد أشرنا لذلك في الهامش.

العظة الأولى

مَدِيحٌ لِمَنْ يَحْضُرُونَ إِلَى الْكَنِيسَةِ، وَعَنْ
النَّظَامِ أَثْنَاءَ صَلَاةِ التَّعَاجِيدِ، وَعَنْ قَوْلِ الْكِتَابِ "
رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ،
وَأَذْيَالُهُ تَمْلَأُ الْهَيْكَلَ. " ٣٣

مقدمة عما يبيده الحضور من حماس عند الإنصات للعظات
١- أرى أنكم تُظهرون حماسًا شديدًا في أن
تجعلوا ما قلناه في المرة السابقة في موضع
التنفيذ ٣٤، ولذلك فإنني أزرعُ بذارَ التعاليمِ غيرَ عابئٍ
بأي تعبٍ، وأنا مفعمٌ بآمالٍ صالحةٍ ٣٥، لأنَّ الفلاحَ
أيضًا حينَ يَبْذُرُ باجتهادٍ البذارَ، ويرى بعدَ ذلك

٣٣ أش ٦: ١

٣٤ هذا دليل على أن هذه العظة ليست الأولى في ترتيبها بين هذه المجموعة من
العظات كما يرى الباحثون.

٣٥ حرفياً : متغنياً بالآمال الصالحة. χρησταῖς ἐντεῦθεν ταῖς ἐλπίσι

τρεφόμενος

الأرض مزدهرة والحصاد وفيرًا^{٣٦}، فإنَّه ينسى
تعبه السابق، وهذا يدفعه إلى المحافظة على
استمرارية العمل لأجل المكسب الذي ينتظره، فكَم
هى غنية هذه الفلاحة! لأنها تعمل على توفير
الثمار المادية التي تؤمِّن الطعام للأجساد، بينما
الفلاحة الأخرى، حيث نزرع تعليم الأقوال ونُنمي
مواهب الروح، فنضمِّن غنى النفس بالطعام الذي
لا ينضب ولا يتدنس، وكذلك لا يفنى ولا يفسد مع
الزمن، ولكنه يُحفظ بعناية لا توصف، (مقدمًا)
الشبع الروحي^{٣٧}، وهذه هي الفائدة من أتعابي^{٣٨}،
هذا هو الغنى الذي أُحصل عليه من محبتكم،
متطلعًا فيه أن يزداد فأفرح على الدوام، لأنني لا
ألقي بذاري بلا جدوى، حتى لا أصبر على الأتعاب
هباءً، إذ أنني أبذرُ في أرض خصبة وغنية،

^{٣٦} واحدة من تشبيهات القديس يوحنا الشهيرة هو تشبيه فائدة الكلمة بحصاد الفلاح.

^{٣٧} حرفيًا : متعة ذهنية νοητὴν τὴν ἀπόλαυσιν

^{٣٨} الفائدة : الاصطلاح اليوناني η ἐπικαρπία يعني ايراد أو ريع الأرض، وقد

استخدمه أفلاطون.

وصالحة للإثمار.

مديح حضور تسبيحة الملائكة

فَمِنْ أَيْنَ أَتَوَقَّعُ الْفَائِدَةَ؟ مِنْ أَيْنَ أَرَى كَلِمَاتِي
تَتَحَوَّلُ إِلَى أَفْعَالٍ؟ بِالطَّبَعِ مِنْ هُنَا، مِنْ هَذَا التَّجْمَعِ،
وَذَلِكَ بِمِلَانِكُمْ بِكُلِّ هِمَّةِ الْكَنِيسَةِ، أَمَّا كُلُّنَا^{٢٩}،
وبانتصَابِكُم الدائم هنا طوال المساء، بِتَقْدِيرِكُمْ
التَّعْجِيدَ غَيْرَ الْمُنْقَطِعِ إِلَى الْخَالِقِ، مُشَابِهِينَ فِي هَذَا
الْجَوْقَاتِ الْمَلَائِكَةِ. إِذْ أَنَّ عَطَايَا الْمَسِيحِ؛ مُسْتَحَقَّةٌ
مِنَّا كُلِّ إِعْجَابٍ وَتَقْدِيرٍ! فَفِي الْأَعَالِي يُسَبِّحُ جُنُودُ
الْمَلَائِكَةِ، وَعَلَى الْأَرْضِ الْبَشَرُ فِي الْكَنَائِسِ فِي
جَوْقَاتٍ يُشَبِّهُونَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ فِي الْأَعَالِي (يُسَبِّحُونَ)
بِنَفْسِ التَّعْجِيدِ؛ فِي الْأَعَالِي السَّرَافِيم يَرْتَلُونَ تَسْبِيحَةَ
الْثَلَاثَةِ تَقْدِيسَاتٍ، وَعَلَى الْأَرْضِ جَمْعُ الْبَشَرِ
يُصْعِدُونَ نَفْسَ التَّسْبِيحَةِ، يُشْكِلُونَ نَفْسَ الْإِحْتِفَالِ
الْمَشْتَرِكِ بَيْنَ السَّمَائِيِّينَ وَالْأَرْضِيِّينَ، إِفْخَارِ سُبُتِيَا
وَاحِدَةً، مَسْرَّةً وَاحِدَةً وَلِيْتُورْجِيَا وَاحِدَةً مَفْرُوحَةً.

^{٢٩} التعبير باليونانية: ἐκ τοῦ τὴν μητέρα πάντων τὴν ἐκκλησίαν.

وهذه الألفة والمودة حقَّها السيّد بتنازله غير الموصوف^{٤٠}، والروح القدس أَلَفَ هذا التناغم، ونظَّم هذا التوافق بين الأصوات برضى ومُسرة الأب. فمن الأعالي يأتي توافق أنغامها، بواسطة الثالوث^{٤١}، وهذه الجوقة تتحرك كمثلي ريشة العازف، فتُسببُ البهجة والألحان المُفرحة، والنشيد الملائكي والتوافق غير المُنقطع. وهذا يحدث كنتيجة لما تبذلون من جدية في الحضور هنا، هذه هي ثمرة اجتماعنا معاً. لذلك أفرح عندما أنظر الفرح الروحي والبهجة الإلهية في نفوسكم. لأنَّه ما من شيء يجعل حياتنا مُبهجة أكثر من فرح الكنيسة، ففي الكنيسة يُحفظ فرح الفرحين وأيضاً في الكنيسة تفرح نفس أولئك المتضايقين، في الكنيسة تُسمع استغاثة المنزعجين، وفي الكنيسة أيضاً راحة المتعبين، لأنه يقول: "تعالوا إلَيَّ يا

^{٤٠} كناية عن تجسد السيد المسيح الذي حقق ألفة السمانيين مع الأرضيين.

^{٤١} التعبير اليوناني: ὑπὸ τῆς Τριάδος

جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيكُمْ. ٤٢
هل يمكن أن توجد كلمات محبة أعظم من هذه؟
فأية مسرة أعظم من هذه الدعوة؟ فعندما يدعوك
السيد للكنيسة فهو يدعوك إلى التمتع الروحي! فإنه
يدفعك إلى الراحة بدلاً من الأتعاب التي تعاني
منها. وهو يقودك إلى التحرر من أحزانك، ويرفع
عنك حمل خطاياك، فالمتعة الروحية تعالج الضيقة
والفرح يعالج الحزن، فيالها من عناية فائقة! ويالها
من دعوة سماوية!.

فلنسرع يا أحبائي، في إظهار هذه الرغبة
العارمة وننفذها وفق ترتيب ونظام يتناسب مع
الهدف اللائق بها. لأنني أرغب اليوم أن أبدأ
الحديث بهذا الموضوع والذي يبدو بالتأكيد أنه
مرهق، ولكنه في حقيقة الأمر غير متعب بل
ومفيد. وهذا ما يفعله الآباء المحبون مع أولادهم
سواء الذين يفرحون قلوبهم ولو قليلاً أو الأولاد

الذين يتسبّبون في حَزَنِهِمْ، كما أنَّهم لا يَنْصَحُونَ فقط الأولاد الذين يتجاوبون مع إرْشَادِهِمْ، بل أيضا يَنْصَحُونَ الأولاد الذين يُظْهِرُونَ استياءَهُمْ مِنْ تلك النَّصائحِ، ولكنَّ عِنْدَمَا يُتِمُّونَهَا يَنْجُونَ، فَيَتَعَلَّمُونَ أَنْ يَسْعُوا فِي حِفْظِ هَذِهِ النَّصائحِ بِعنايةٍ شَدِيدَةٍ. وهذه هي الحالُ بالنسبة لَنَا، فلهذا السَّبَبُ نُوجِّهُ حَدِيثَنَا لَكُمْ، كي لا نُكَابِدَ هَذَا التَّعَبَ بِلا جِدْوَى، ولكي لا نَضْطَرَّ إِلَى أَنْ نَصْبِرَ عَلَى السَّهْرِ بِلا طَائِلٍ^{٢٢}، لكي لا يَتَبَدَّدَ صَوْتُنَا فِي الْهَوَاءِ وَيَعُودَ بِالْخَسَارَةِ الْفَائِدَةِ، وَلَا نَكُونُ كَمَثَلِ تَاجِرٍ يَسْتَعِدُّ لِرِحْلَةٍ تِجَارِيَةٍ طَوِيلَةٍ، وَيَتَلَقَّى مَخَاطِرَ الْعَوَاصِفِ الْعَاتِيَةِ بِسَبَبِ الْهُجُومِ الشَّرِسِ لِلرِّيحِ، وَتَهْدِيدِ ارْتِفَاعِ الْأَمْوَاجِ، فَيُعَانِي مِنَ الصَّعُوبَاتِ وَالتَّعَبِ بِلا طَائِلٍ، لِأَنَّهُ فِي سَبِيلِ أَنْ يَنْمِيَ تِجَارَتَهُ يَعْبُرُ الْبَحَارَ وَالْأَخْطَارَ الْعَالِيَةَ، وَيَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ

^{٢٢} حرفياً: نلَاحِمْ بِلا جِدْوَى πικτεύωμεν άνονήτως تقابلُ تَعْبِيرُ "نصارُغ طواحينِ الْهَوَاءِ"، يُلْمَحُ ذَهَبِي الْفَمِ عَلَى الْوَقْتِ الَّذِي يَمْضِيهِ فِي إِعْدَادِ عِظَاتِهِ وَإِرْشَادِهِ.

وَيَمْضِي اللَّيَالِي بِلا نَوْمٍ. وَلَكِنَّ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْإِزْدِهَارَ لَنْ يُخْذِثَ هَذَا النِّمْوَ بَلْ بَدَلًا مِنَ الْمَكْسَبِ يَفْقَدُ كُلَّ أَمْوَالِهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَقْبَلَ وَلَا حَتَّى أَنْ يَشْرَعَ فِي تِلْكَ الرِّحْلَةِ وَلَا أَنْ يَعَانِيَ مِنَ الْمَخَاطِرِ الْمُتَعَدِّدَةِ.

السلوكُ المُشِينُ للبعضِ أثناء الصلاة

٢- وَنَحْنُ نَعْلَمُ هَذَا، لِيَتَنَا نَأْتِيَ إِلَى هُنَا بِالْخُشُوعِ الْوَاجِبِ حَتَّى لَا نَعُودَ إِلَى الْبَيْتِ وَقَدْ زَادَتْ خَطَايَانَا بِالْفِعْلِ بَدَلًا مِنْ أَنْ تُعْفَرَ. إِذَنْ فَمَا هُوَ الْمَطْلُوبُ مِنَّا؟ أَقُولُ أَنَّه يَجِبُ أَنْ تُقَدَّمَ تَسْبِيحُنَا بِمَخَافَةٍ وَنَحْنُ مُزَيَّنُونَ بِكُلِّ تَقْوَى. غَيْرَ أَنَّه يُوجَدُ آخَرُونَ هُنَا، الَّذِينَ أَظُنُّ أَنَّ مُحِبَّتَكُمْ لَا تَتَجَاهَلُهُمْ، الَّذِينَ يَحْتَقِرُونَ اللَّهَ وَيَعْتَبِرُونَ كَلَامَ الرُّوحِ كَأَنَّهُ بِلَا قِيَمَةٍ وَأَمْرٌ مُعْتَادٌ لِلْجَمِيعِ، فَيَصْدُرُونَ أَصَوَاتًا فَوْضَوِيَّةً، وَيَسَالُكُونَ كَالْمَجَازِيْبِ فَيَسْتَدِيرُونَ بِكُلِّ جَسَدِهِمْ وَيَتَجَوَّلُونَ وَيُقَدِّمُونَ عَادَاتٍ غَرِيبَةً عَمَّا تَتَطَلَّبُهُ رُوحَانِيَّةُ اللَّحْظَةِ الرَّاهِنَةِ. أَيُّهَا الْبَائِسُ التَّعَسُّ بَيْنَمَا يَجِبُ أَنْ تُقَدَّمَ التَّسْبِيحُ الْمَلَائِكِي الْمَمْتَلَى خَوْفًا

وَرَعْدَةً، وَتَعْتَرِفُ لِلخَالِقِ بِكُلِّ مَخَافَةٍ وَرَعْدَةٍ مُتَوَسِّلاً
 مِنْ أَجْلِ مَغْفِرَةِ خَطَايَاكَ، وَلَكِنَّكَ - للأسفِ - تَفْعَلُ
 هُنَا مَا يَفْعَلُهُ الْمُقْلِدُونَ (على المَسْرَحِ) وَالرَاقِصُونَ،
 فَتَرْقُعُ يَدَاكَ بِشَكْلِ عَشَوَانِي وَتَرْكُلُ بِقَدَمَيْكَ وَتُسْتَدِيرُ
 بِجَسَدِكَ ذَهَاباً وَإِيَاباً، وَكَيْفَ لَا تَخَافُ وَلَا تَرْتَعِدُ
 مُتَحَدِّثاً حَدِيثَنَا هَذَا؟ أَفَلَا تَفَكِّرُ أَنَّ السَّيِّدَ الرَّبَّ غَيْرَ
 الْمَرْنِيِّ حَاضِرٌ هُنَا، يُسَجِّلُ حَرَكَةَ كُلِّ وَاحِدٍ
 وَيَفْحَصُ الضَّمَانَر؟ أَلَا يُفَكِّرُونَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ
 حَاضِرِينَ عَلَى هَذِهِ الْمَائِدَةِ الْمُهَابَةِ، وَيَعْتَنُونَ بِهَا
 بِمَخَافَةٍ؟ وَلَكِنَّكَ لَا تَفَكِّرُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ، لِأَنَّ ذَهْنَكَ
 قَدْ إِظْلَمَ بِسَبَبِ مَا تَسْمَعُهُ وَتَشَاهِدُهُ فِي تِلْكَ
 الْمَسَارِحِ^{٤٤}، وَبِذَلِكَ تَخْلِطُ بَيْنَ كُلِّ مَا يَخْدُثُ هُنَاكَ
 وَبَيْنَ مَا يَخْدُثُ هُنَا فِي الْكَنِيسَةِ، لِذَلِكَ فَالْصِّيَاخُ غَيْرُ
 الْمَفْهُومِ يُظْهِرُ عَدَمَ انضِبَاطِ نَفْسِكَ الْمُتَرَنِّخَةِ، فَكَيْفَ
 سَتَطْلُبُ عُفْرَانَ خَطَايَاكَ؟ كَيْفَ سَتُنَاشِدُ الرَّبَّ أَنْ

^{٤٤} لا يقصد القديس يوحنا المسارح التي تقدم فنّاً راقياً بل تلك الأشبه بالملهي الليلية
 الآن، حيث كانت تلك المسارح تُقدم الخلاعة والذعارة.

يُسْفِقُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تُقَدِّمُ تَضَرُّعَكَ بِهَذَا الْقَدْرِ مِنْ
الاسْتِهْزَاءِ؟ فَتَقُولُ "ارْحَمْنِي يَا إِلَهِي" وَمَعَ ذَلِكَ
تُظْهِرُ سُلُوكًا غَيْرَ جَدِيرٍ بِالنِّدَمِ، تَصْرُخُ "خَلِّصْنِي"
وَأَنْتَ تَظْهَرُ بِمُظْهِرٍ أَبْعَدَ مَا يَكُونُ عَنِ الْخَلَّاصِ،
فَمَا فَائِدَةُ الْأَيْدِي الْمَرْفُوعَةِ لِأَعْلَى دَائِمَةً أَثْنَاءَ
التَّضَرُّعِ، وَهِيَ تَطُوفُ عَبَثًا، وَكَذَلِكَ بِمَاذَا تُسَاهِمُ
الصَّارِخَاتُ الْعَالِيَةُ، الَّتِي بِوَاسِطَةِ اللَّهِاتِ الْغَنِيْفِ
الْمُتَلَحِّقِ، تَصِيرُ تَمْتَمَةً بِلَا مَعْنَى؟ فَهَذِهِ لَيْسَتْ إِلَّا
أَفْعَالًا تَصْدُرُ مِنْ نِسَاءٍ وَاقِفَاتٍ عَلَى زَوَايَا الطَّرِيقِ،
أَوْ مِنَ اللُّوَاتِي يَصْرُخُنَ فِي الْمَسَارِحِ.

فَكَيْفَ تَتَجَاسَرُ أَنْ تَخْلُطَ بَيْنَ التَّمْجِيدِ الْمَلَأَكِي
وَبَيْنَ أَلْعَابِ الشَّيَاطِينِ؟ وَكَيْفَ لَا تَخْجَلُ حِينَ تَتَقَوُّهُ
هُنَاكَ بِمِثْلِ تِلْكَ الْأَقْوَالِ، قَائِلًا: "اعْبُدُوا الرَّبَّ
بِخَوْفٍ، وَاهْتَفُوا بِرَعْدَةٍ."^{٥٠} وَهَذَا يَعْنِي أَنْ نَتَعَبَّدَ
بِمَخَافَةٍ، فَأَنْتِ تَتَكَاسَلُ وَتَتَرَنِّحُ وَلَا تَعْرِفُ عَنْ أَيِّ
شَيْءٍ نَتَخَذْتُ بِصَوْتِ فَوْضُوِي؟ وَهَذِهِ عَلَامَةٌ عَلَى

التَّهَانُونَ وليس على المَخَافَةِ، الْغُرُورِ وليس
الِاتِّضاعِ، وهذه صِفَّةٌ مَنْ يُعْبَثُونَ وليس مَنْ
يُسَبِّحُونَ.

معنى أَنْ نَتَعَبَّدَ لِلَّهِ بِمَخَافَةٍ.

إِذَنْ، فما معنى أَنْ نَتَعَبَّدَ لِلرَّبِّ بِمَخَافَةٍ؟ هذا
يعني أَنْ نُتِمِّمَ كُلَّ وَصِيَّةٍ بِمَخَافَةٍ وَخُشُوعٍ وَأَنْ نُقَدِّمَ
تَضَرُّعَاتِنَا بِقَلْبٍ مُنْسَحِقٍ وَذَهْنٍ مُتَوَاضِعٍ، وليس
فقط أَنْ نَتَعَبَّدَ بِمَخَافَةٍ، بل أَنْ نَبْتَهِجَ بِرِعْدَةٍ، كما
يُعلنُ لنا الرُّوحُ الْقُدُسُ بِوَاسِطَةِ النَّبِيِّ لِأَنَّ تَطْبِيقَ
الْوَصِيَّةِ يُسَبِّبُ عَادَةَ الْفَرَحِ لِمَنْ يُمَارِسُهَا، فَأَقُولُ،
يَجِبُ أَنْ نُتِمِّمَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ بِرِعْدَةٍ وَرَهَبَةٍ، لِنَلَا
نَمَزَجَهَا بِعَدِيمِ الْخَوْفِ فَتُصْبِحَ أَتْعَابُنَا بَاطِلَةً، فَتُغْضَبَ
اللَّهُ أَيْضًا.

تَمَازُجُ الْفَرَحِ مَعَ الرِّعْدَةِ فِي الْعِبَادَةِ.

كَيْفَ يُمَكِّنُنَا الْقَوْلُ بِأَنَّ نَخْتَبِرَ الْبَهْجَةَ مَعَ
الرِّعْدَةِ؟ كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ الْأَمْرَانِ مَعًا لِأَنَّ
بَيْنَهُمَا اخْتِلَافًا شَاسِعًا، لِأَنَّ الْفَرَحَ هُوَ أَنْ نُدَاوِمَ عَلَى

تَتَمِّمِ الْأُمُورَ الَّتِي تَرُغِبُ فِيهَا بِشَغَفٍ، وَأَنْ تَتَمَتَّعَ
بِمَا هُوَ مُبْهِجٌ وَتَنْسَى كُلَّ مَا هُوَ مُتْعِبٌ، بَيْنَمَا الْخَوْفُ
هُوَ فِي وَطْأَةِ الْبَلَايَا الَّتِي نَتَوَقَّعُهَا عَلَيْنَا، وَكَذَلِكَ فِي
تَأْنِيِبِ الضَّمِيرِ. فَكَيْفَ إِذَنْ سَوْفَ نَبْتَهِجُ بِالْخَوْفِ أَوْ
بِالْحَرِيِّ لَيْسَ بِالْخَوْفِ فَحَسْبُ بَلْ بِالرَّعْدَةِ أَيْضًا الَّتِي
هِيَ شِدَّةُ الْخَوْفِ، وَعَلَامَةٌ عَلَى التَّوَتُّرِ الشَّدِيدِ؟

السَّرَافِيمُ يَسْبَحُونَ بِفَرْحٍ وَرَعْدَةٍ

فَكَيْفَ يَحْدُثُ هَذَا - كَمَا يَقُولُ (لَنَا النِّصْرُ)؟
السَّرَافِيمُ أَنْفُسُهُمْ يُعَلِّمُونَاكَ ذَلِكَ عَمَلِيًّا عَنْ طَرِيقِ
تَتَمِّيمِهِمْ خِدْمَةَ (التَّسْبِيحِ) هَذِهِ، لِأَنَّ أَوْلَانِكَ يَتَمَتَّعُونَ
بِالْمَجْدِ غَيْرِ الْمَوْصُوفِ لِلخَالِقِ، إِذْ يَنْظُرُونَ الْجَمَالَ
الْخَالِبَ كَمَا فِي مِرَاةٍ، وَهُوَ بِالتَّأَكِيدِ جَمَالٌ لَيْسَ
بِحَسَبِ طَبِيعَتِهِ (الإِلَهِيَّةِ)، - لِأَنَّ هَذَا الْجَمَالَ غَيْرُ
مُدْرَكٍ وَلَا مَرْنِيٍّ وَلَا ذُو هَيْئَةٍ وَمِنْ الْعَبَثِ أَنْ نُدْرِكَهُ
هَكَذَا وَلَا هُمْ فِي مَكَانَةٍ أَنْ يَدْرِكُوهُ - إِلَّا بِقُدْرِ مَا
يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْتَتِيرُوا مِنْ ذَلِكَ الضِّيَاءِ الصَّادِرِ
مِنْ هَذَا الْجَمَالِ الإِلَهِيِّ، وَبَسَبَبِ أَنَّهُمْ يَخْدُمُونَ بِلَا

انْقِطَاعِ حَوْلَ الْعَرْشِ الْمُلُوكِيِّ، يَخِيُونَ فِي فَرْحٍ دَائِمٍ
وَمَسْرَةٍ أَبَدِيَةٍ، وَبَهْجَةٍ بِلَا انْقِطَاعٍ. لِأَنَّهُمْ قِيَامُ أَمَامَ
ذَلِكَ الْمَجْدِ، وَيُضَيُّونَ مِنَ اللَّمَعَانِ الَّذِي يَشْعُ مِنْهُ،
وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ فَرْحٌ، وَبَهْجَةٌ، مَسْرَةٌ، وَمَجْدٌ،
وَرَبَّمَا أَنْتُمْ قَدْ شَعَرْتُمْ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّذَّةِ وَتَشْتَهُونَ ذَلِكَ
الْمَجْدَ.

تفسيرُ آيةٍ : "رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ"

٣- ولكنَّ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَمِعُوا إِلَى نَصَائِحِي
وَأَنْ تَقْدُمُوا هَذَا التَّمَجِيدَ بِكُلِّ خُشُوعٍ، فَلَنْ تُحْرَمُوا
مِنْ هَذَا الْفَرْحِ، لِأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ الَّذِي يُمَجِّدُ فِي
السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الْأَرْضِ، هُوَ يَقُولُ "السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَتَانِ مِنْ مَجْدِهِ"^{٤٦} فَكَيْفَ إِذَنْ لِمَنْ
يَقْبَلُونَ فَرْحًا مِثْلَ هَذَا أَنْ يَمْرُجَوْهُ بِالْمَخَافَةِ؟ فَاَنْظُرْ
مَا يَقُولُهُ النَّبِيُّ: "رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ
عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ"^{٤٧} فَلَايَ سَبَبٍ يَقُولُ "عَالٍ" وَيُضَيِّفُ

^{٤٦} انظر أش ٦: ٣

^{٤٧} أش ٦: ١

أنه "مرتفع"، فهل لأنه لم يَسْتَطِعْ بكلمة "عال" أن يُعَبِّرَ عَنْ حَقِيقَةِ وَعَظْمَةِ اسْتِحْقَاقِهِ؟ فلماذا إذن يُضَيِّفُ كَلِمَةَ "مرتفع"؟ أَقُولُ: لكي يُظْهِرَ الْعَرْشُ غَيْرَ الْمُدْرِكِ، لأنه بالنسبة لنا فإنَّ كَلِمَةَ "عال" توجي بمعنى العُلُوِّ بالمُقَارَنَةِ بالتدني والانخفاض، كمثُلِ الْجِبَالِ مَرْتَفَعَةٍ مُقَارَنَةً بِسَهُولِ وَوَدْيَانِ الْأَرْضِ، وَأَنَّ السَّمَاءَ هِيَ مُرْتَفَعَةٌ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِيَّاتِ، بينما كلمة "مرتفع" وكلمة "فائق العلو" ^{٤٨} تُشِيرَانِ فَقَطْ إِلَى الطَّبِيعَةِ غَيْرِ الْمُدْرَكَةِ، الَّتِي مِنْ غَيْرِ الْمُمَكِّنِ أَنْ نَفْهَمَهَا أَوْ نَشْرَحَهَا، لِذَلِكَ يَقُولُ: "رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفَعٍ".

السَّرَافِيمُ دَوُو الْأَجْنَحَةِ حَوْلَ الْعَرْشِ الْإِلَهِيِّ

وماذا رأيتَ أيضًا أيها النبي؟ ماذا رأيتَ حَوْلَهُ؟ يَقُولُ: "السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ حَوْلَهُ" فأي شيءٍ

^{٤٨} يستخدم القديس يوحنا كلمة ἐπερήμενος لتعبير عن "مرتفع أو متعال"، وكلمة: ὑπερουψωμένος "فائق العلو".

كانوا يفعلون؟ وأي شيء كانوا يقولون؟ وأية جرأة
كانوا يملكون؟ فيقول أنهم لم تكن لهم أية جرأة على
الإطلاق، بل كانوا مُمتلئين مَخَافَةً وَتَعْجَبًا
وبانتصابهم هذا كانوا يُظهِرُونَ مَخَافَتَهُمْ. لأنهم
يَجْنَحِين يَغطون وجوههم، كَمَنْ يَحْتَمُونَ بِسَاتِرٍ مِنَ
النَّهَاءِ الْمُنبِغِثِ مِنَ الْعَرْشِ، لأنهم لم يَسْتَطِيعُوا أَنْ
يَتَحَمَّلُوا الْمَجْدَ الْمُتَدَفِّقَ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ يُظهِرُونَ
خُشُوعًا أَمَامَ الرَّبِّ.

لماذا يُغطي السَّرايِمُ وجوههم وأرجلهم؟

وبهذا الْفَرَحِ يَبْتَهِجُ أَوْلِيَاكَ، بِهِذِهِ الْبَهْجَةِ
يُسَّرُونَ، وَلَيْسَتْ وَجُوهُهُمْ فَقَطِ الَّتِي يُعْطُونَهَا بِلِ
أَرْجُلِهِمْ أَيْضًا. فلماذا يفعلون ذلك؟ إِنَّهُمْ يُغْطُونَ
وَجُوهَهُمْ بِالطَّبَعِ بِسَبَبِ الْخَوْفِ الَّذِي يُسَبِّبُهُ الْمَشْهَدُ
الْإِلَهِيُّ، وَأَيْضًا لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُحْدِقُوا فِي
الْمَجْدِ الَّذِي لَا يُدْنِي مِنْهُ، لَكِنْ لِمَاذَا يُعْطُونَ أَرْجُلَهُمْ؟
تَفْسِيرَ هَذَا الْأَمْرِ قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَتْرَكَهُ لَكُمْ، حَتَّى
تَجْتَهِدُوا أَنْ تَجِدُوا لَهُ حَلًّا، حَتَّى تَسْهَرُوا عَلَى

البحث في الموضوعات الروحية، ولكن لكي لا
أترككم تشغلون أنفسكم بهذه القضية، فثملوا
نصائحي، فرايت أنه من الضروري أن أفسره لكم،
فلمّاذا إذن يُعطون أرجلهم؟ إنهم يريدون أن
يظهروا نحو الخالق الخشوع الذي هو بالتأكيد غير
كافٍ (أمام مجد الله)، فيحاولون أن يُظهروا جهاداً
شديداً وذلك بواسطة منظرهم وأصواتهم ووجوههم
وأيضاً بوقفاتهم ذاتها، ولكن لأنهم لا يستطيعون
هكذا أن يصلوا إلى ما يرغبون مما يجب (من
درجة الخشوع)، فلذلك يُعطون هذا العجز عن
طريق تعطيّة كلّ جزءٍ (من أعضاء جسدِهِم)^{٤٩}.

فيا ليتكم تستوعبون هذا الذي قلته، أم يجب
عليّ أن أكرره؟ ولكن لكي يصبح الأمر جلياً سوف
أحاول بأمثلي الخاصة أن أوضحه أكثر، فعادةً

^{٤٩} في سوف يعطي تفسيراً آخر لتعطيّة أرجلهم، حيث يقول إنهم يغطون أرجلهم لأنهم
لا يستطيعون احتمال قوة اللّمعان المُنبعث من العرش الإلهي، فيحاولون تعطيّة كلّ جزءٍ من
أجسادهم السمانية، وتلاحظ أنه يُنقل من الحديث عن حركة السرافيم في تسبيحهم، إلى
حركات أجساد الناس وقت الصلاة التي يُنقّذها.

عندما يوجد أحد قدام الملوك الأرضيين يحاول بكل طاقته أن يقدم لهم كل إجلال وتوقير، حتي يستدر عطفهم عليه بهذه الطريقة، وهكذا فبانحناء الرأس وتربيع اليدين وضم الرجلين وبرهبة وحياء الجسد كله يظهر التوقير والإجلال، ونفس الأمر يحدث أيضاً من قبل القوات غير الجسدانية، لأن عندهم رغبة عظيمة في الخشوع أمام الخالق، محاولين أن يظهروا ذلك الخشوع بشتى السبل، ولأنهم لا يستطيعون تحقيق رغبتهم هذه في الخشوع اللائق، فيلجئون إلي إخفاء بقية رغبتهم بغطاء، لذلك يقال إنهم يغطون وجوههم وأرجلهم، وإن كان هناك تفسير آخر أكثر سريرية يمكن أن يقدم عن هذا الموضوع. وهو أنهم لا يملكون أرجلاً أو وجوهاً (مثلاً)، - لأنهم بلا أجساد مثل أي كائن روحي، - غير أنه يتخذ عن هذا الأمر حتى يبرزه من كل النواحي أن السرافيم خجولون ويخيمون الرب بخوف وخشوع.

ضَرُورَةُ خُشُوعِ الْجَسَدِ فِي الْعِبَادَةِ

وهكذا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُقِفَ مُنْتَصِبِينَ عِنْدَمَا
نُقَدِّمُ التَّمْجِيدَ، خَائِفِينَ وَمُرْتَعِدِينَ، وَكَأَنَّنَا نَنْظُرُ
بَعِیُونَ أَذْهِنَا الرَّبَّ ذَاتَهُ، لِأَنَّهُ يُوجَدُ هُنَا بِكُلِّ تَأْكِيدٍ
مَنْ لَا يَخْذُهُ مَكَانٌ وَمَنْ يُسْجَلُ أَصْوَاتِ الْجَمِيعِ.
وهكذا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُصْعِدَ التَّمْجِيدَ بِقَلْبٍ مُنْكَسِرٍ
وَمُتَضِعٍ، وَأَنْ نُقَدِّمَهُ وَنَحْنُ فِي مَوْضِعِ التَّرْجِيْبِ
كَمَثَلِ شَذَا الْبُخُورِ الْعَطِیرِ نُرْسِلُهُ لِلسَّمَاءِ. لِأَنَّهُ يَقُولُ:
"قَلْبٌ مُنْكَسِرٌ وَمُتَوَاضِعٌ لَا يُرْذِلُهُ اللهُ"°° وَلَكِنَّ النَّبِيَّ
يَقُولُ لَنَا أَنَّهُ يُشْجِعُنَا أَنْ نُقَدِّمَ التَّمْجِيدَ بِهَتَافٍ:
"إِهْتَفِیْ لِلَّهِ يَا كُلَّ الْأَرْضِ!"°¹ وَنَحْنُ لَا نُرِيدُ أَنْ
نَمْنَعَ الْهَتَافَ، بَلِ الصُّرَاخَ غَیْرَ الْمَفْهُومِ، لَيْسَ
أَصْوَاتِ التَّمْجِيدِ بَلِ الْأَصَوَاتِ غَیْرَ الْمُنْسَجِمَةِ
وَالْمَشَاحَنَاتِ الْمُتَبَادِلَةِ (بَیْنَ أَصَوَاتِ الْمَصَالِینِ)،
وَالْأَيَادِي الَّتِي تَرْتَفِعُ فِي الْهَوَاءِ عَبَثًا وَبِلا سَبَبٍ

°° مز ٥٠: ١٩

°¹ مز ٦١: ١

وَالرَّكُلَ بِالْأَقْدَامِ^{٥٢}، وَالسُّلُوكَ غَيْرَ اللَّائِقِ وَالشَّائِنِ،
وَكَأَنَّهُمْ فِي إِحْدَى الْمَلاهِى كَتَلَكَ الَّتِي يَضْغُ فِيهَا
النَّاسُ أَوْقَاتِهِمْ كَالْمَسْرَحِ أَوْ سَبَاقَاتِ الْخَيْلِ، وَمِنْ
هَنَّاكَ دَخَلْتَ (إِلَيْنَا) أَصْوَاتٌ غَيْرِ الْإِتْقِيَاءِ وَالْعَوَّاءِ،
وَمِنْ هَنَّاكَ تَسْرَبَتْ إِلَيْنَا الْحَرَكَاتُ غَيْرُ الْمُنْضَبِطَةِ
وَالنِّزَاعَاتُ وَالْمُشَاحَنَاتُ وَالسُّلُوكُ غَيْرُ الْمُنْضَبِطِ.

مَخَاطَرُ التَّطَلُّعِ إِلَى الْمَشَاهِدِ النَّجَسَةِ

٤- لِأَنَّهُ لَا شَيْئًا يَجْعَلُنَا نَزْدَرِي بِكَلَامِ اللَّهِ،
مِثْلُ التَّطَلُّعِ إِلَى مُشَاهَدَةِ (تِلْكَ) الْمَنَاطِرِ هَنَّاكَ. لِذَلِكَ
فَقَدْ تَوَسَّلْتُ إِلَيْكُمْ فِي عَدِيدِ مَرَّاتٍ، أَنَّهُ يَجِبُ
عَلَى أَيِّ شَخْصٍ يَأْتِي إِلَيْنَا لِيَتِمَّتَعَ بِالتَّعَالِيمِ
الْإِلَهِيَّةِ وَيُشَارِكُ فِي الذَّبِيحَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْمَهَابَةِ، أَلَّا
يَذْهَبَ إِلَيْنَا تِلْكَ الْمَسَارِحِ وَأَلَّا يَمْزِجَ الْأَسْرَارَ الْإِلَهِيَّةَ

^{٥٢} التعبير باليونانية τοὺς ἰπαζομένους πόδας ويعني حرفياً: "الأرجل
الراكبة الخيل"، في الترجمة اليونانية الحديثة، ترجم إلى: "الأرجل الموضوعه واحده فوق
الأخرى" (أي بشكل غير لائق)، وفي الترجمة الفرنسية: "ركوب الخيل"، وفي
الإنجليزية: "الركل بالأقدام".

بالمُمَارَسَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ. فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ تَمَلَّكَتْهُمْ
 الْحَمَاقَةُ حَتَّى بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ بِمَظْهَرِ
 التَّقْوَى^{٥٣} وَقَدْ تَقَدَّمَ بِهِمُ الْعُمُرُ، وَيَذْهَبُونَ لِتِلْكَ
 الْأَمَاكِنِ، وَلَا يَعْبُرُونَ كَلَامِي أَيْ اهْتِمَامٍ، وَلَا
 يَسْتَحُونَ مِنْ مَقَامِهِمْ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَمَا نُنَبِّهِهُمْ لِذَلِكَ
 وَنَحْنُ نُهُمُ أَنْ يَحْتَرُمُوا شَيْخُوخَتَهُمْ وَوَقَارَهُمْ، فَهَلْ
 تَعْرِفُونَ مَا هُوَ رَدُّهُمْ الْقَاتِرُ وَمُبْرِرُهُمُ السَّخِيفُ؟
 يَقُولُونَ أَنَّ مَا يُقَدَّمُ لَهُوَ مِثَالٌ لِلانْتِصَارِ الْقَادِمِ
 وَالتَّنْوِيجِ، وَإِنَّا نَجْنِي فَائِدَةً جَمَّةً مِنْهُ. مَاذَا تَقُولُ يَا
 رَجُلًا؟ وَهَذَا الرَّدُّ (نَسْمَعُهُ بِشَكْلِ) مُكَرَّرٍ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ
 خِدَاعًا، فَمِنْ أَيْنَ تُجْنِي الْفَائِدَةَ؟ هَلْ مِنْ تِلْكَ
 الشَّجَارَاتِ الْعَدِيدَةِ، وَالْقَسَمِ وَالتَّقْوَى بِأَقْوَالٍ شَرِيرَةٍ
 الَّتِي تَصِيرُ هَكَذَا بِشَكْلِ عَشْوَانِي وَبَلَا هَدَفٍ؟ أَمْ مِنْ
 السَّبَابِ وَالتَّجْدِيفِ وَالْكَلامِ الْبَذِي الَّذِي يُلَطِّخُ بِهِ
 الْوَاحِدُ الْآخَرَ مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُشَاهِدُونَ تِلْكَ
 الْمَنَاطِرَ؟ وَلَكِنْ إِنْ كَانَتْ (الْفَائِدَةُ) لَا تَأْتِي مِنْ هَذِهِ

^{٥٣} حرفياً: يلبسون ثياب التقوى.

الأمور، فهل ستأتيناك من الصرخات غير
المنضبطة، والصياح غير المفهوم، والغبار
المتصاعد أو من أولئك الذين يحشدون ويستمتعون
بمظاهر غير لائقة ثم يتظاهرون بالحياء أمام
النساء؟ ولكن الأمر هنا (في اجتماعنا) ليس كذلك،
ليس كذلك^{٥٤} حيث تجد كل الأنبياء والمعلمين
يظهرون لك رب الملائكة نفسه وهو جالس على
عرش عالٍ ومرفوع، الرب الذي يهب المكافات
للمستحقين، ويورث الجحيم والنار لغير المستحقين،
والرب ذاته يؤكد على ذلك. ثم تزدري بكل تلك
الأمور، التي من بينها رهبة الضمير والندم على
أفعال الماضي، وإعطاء حساب بشأن مسئولياتك
وحنمية العقوبة. ولكي تجد مبرراً لنزواتك غير
المعقولة، فإنك تدعي أنك تستفيد بتلك الأمور التي
لا يمكن أن تكون نافعة. ولكن أرجوكم وأتوسل

^{٥٤} "ولكن الأمر ليس كذلك، ليس كذلك" بحسب النص المحقق SC ولا وجود لها في

إِلَيْكُمْ دَعُونَا لَا نَتَحَجَّجُ بِأَعْدَارٍ وَاهِيَةٍ لِنُبَرِّزَ مَا
نَرْتَكِبُهُ مِنْ خَطَايَا، لِأَنَّ تِلْكَ الْأَعْدَارَ وَالْخِدْعَ هِيَ
الَّتِي تَسَبِّبُ لَنَا الْأَذَى.

الْأَحَادِيثُ الْجَانِبِيَّةُ وَقَتَّ الصَّلَاةِ فِي الْكَنِيسَةِ

وَلَكِنْ لِأَنَّنَا قَدْ وَصَلْنَا لِهَذَا الْحَدِّ، فَقَدْ حَانَ
الْوَقْتُ لِأَنْ نَعُودَ إِلَى النَّصِيحَةِ السَّابِقَةِ^{٥٥}، وَبَعْدَ أَنْ
أَتَحَدَّثُ قَلِيلاً فِيهَا، سَوْفَ أَلْقِي كَلِمَةً خَتَامِ الْوَاجِبَةِ
لِلْعِظَةِ. لِأَنَّ (الْمَسْأَلَةَ) هُنَا غَيْرُ مُتَعَلِّقَةٍ فَقَطْ بِانْعِدَامِ
النِّظَامِ بَلْ بِمَرَضٍ آخَرَ مُخِيفٍ مُضَلِّلٍ، فَمَا هُوَ يَا
تُرَي؟ فَبَيْنَمَا يَعْقُدُونَ النِّيَّةَ عَلَى الصَّلَاةِ لِلَّهِ وَيُرْسِلُونَ
إِلَيْهِ التَّمَاجِيدَ، إِلَّا أَنَّهُمْ بَعْدَ قَلِيلٍ يَتْرَكُونَ ذَلِكَ وَيَبْدَأُ
كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ فِي تَسْوِيَةِ مَشَاكِلِهِمَا الْخَاصَةِ
الَّتِي فِي بَيْتِهِمَا أَوْ فِي السُّوقِ، أَوْ فِي الْبَلَدِيَّةِ، أَوْ فِي
الْمَسْرَحِ أَوْ فِي الْجَيْشِ، إِذْ يَتَّخِذَانِ عَنْ كَيْفِيَّةِ تَرْتِيبِ
تِلْكَ الْأُمُورِ، وَكَيْفِ أُمُضَيَا وَقْتَهُمَا هُنَاكَ وَمَا هُوَ
زَائِدٌ أَوْ نَاقِصٌ فِي أَعْمَالِهِمَا، وَبِشَكْلِ عَامٍ يَتَّخِذَانِ

^{٥٥} يَقْصُدُ الْعُودَةَ لِلْحَدِيثِ عَنِ الْعِبَادَةِ بِخُشُوعٍ وَوَقَارٍ.

هنا عَنْ كُلِّ الموضوعاتِ الْمُشْتَرَكَةِ وَالْخَاصَةِ بِهِمَا.
 فإيْ أَسْفٍ وَاغْتِدَارٍ يُمَكِّنُ أَنْ يُبَرَّرَ ذَلِكَ السُّلُوكُ؟
 فمثلاً معَ الْمُلُوكِ الْأَرْضِيِّينَ عِنْدَمَا يُحَدِّثُهُمْ أَحَدٌ فَأَنَّهُ
 يَتَخَذُ فَقْطَ فِي الْأُمُورِ الَّتِي يُسَمِّحُ لَهَا بِهَا هَذَا الْمَلِكُ
 الْأَرْضِي، وَلَكِنْ إِذْ تَجَرَّأَ أَنْ يَسْأَلَ فِي أَمْرٍ آخَرَ دُونَ
 أَنْ يَأْخُذَ مُوَافَقَةً ذَاكَ الْمَلِكِ، فَسَوْفَ يُكَابِدُ أَشَدَّ
 الْعِقَابِ، بَيْنَمَا أَنْتَ تُحَدِّثُ مَلِكَ الْمُلُوكِ، الَّذِي تَعْبُدُهُ
 الْمَلَائِكَةُ بِرِغْدَةٍ، فَتَتَرَكُ الْحَدِيثَ مَعَهُ حَتَّى تَتَحَدَّثَ
 عَنِ الطِّينِ وَالتُّرَابِ وَ(أُمُورٍ وَاهِيَةٍ كَخُيُوطِ)
 الْعُنْكَبُوتِ، لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الْأُمُورِ الْحَاضِرَةِ،
 وَكَيْفَ تَحْتَمِلُ عِقَابَ إِزْدِرَائِكَ هَذَا وَمَنْ سَوْفَ
 يُنَجِّيكَ مِنْ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ؟

سَوْءُ الْأَحْوَالِ لَا يَغْوِي إِلَى بِلَادَةِ الْحُكَّامِ بَلْ فِي خُطَايَانَا
 وَلَكِنْ كَمَا يَقُولُونَ فَإِنَّ شَيْئُونَ وَأُمُورَ
 مَعِيشَتِنَا تَسِيرُ بِشَكْلِ سَيِّئٍ^{٥٦}، وَتَشْعَلُنَا كَثِيرًا هَذِهِ

^{٥٦} يُلْمَحُ الْقَدِيسُ يوحنا ذهبي الفم هنا إلى سوء الأحوال الاقتصادية التي كانت تمرُّ بها البلادُ آنذاك. راجع المُقَدِّمَةُ.

الأُمُورُ، وَنُكَابِدُ كَثِيرًا لِأَجْلِهَا، فَمَا هُوَ السَّبَبُ؟
 سَتَقُولُ السَّبَبُ فِي بِلَادَةِ^{٥٧} الْحُكَّامِ، وَلَكِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ
 فَإِنَّ السَّبَبَ لَيْسَ فِي بِلَادَتِهِمْ بَلْ فِي خَطِيئَتِنَا نَحْنُ،
 وَأَرْتَكَبْنَا تِلْكَ الذُّنُوبَ الَّتِي قَلَبَتِ الْأَوْضَاعَ رَأْسًا
 عَلَى عَقِبٍ، تِلْكَ الَّتِي سَبَّبَتْ كُلَّ الشُّرُورِ، وَجَلَبَتْ
 الْحُرُوبَ، وَأَدَّتْ إِلَيَّ الْهَزَائِمِ. فَكَثْرَةُ الشُّرُورِ الَّتِي
 أَصَابَتْنَا لَمْ تَعْمُرْنَا مِنْ مَكَانٍ آخَرَ سِوَى مِنْ هَذَا
 السَّبَبِ، فَحَتَّى لَوْ كَانَ شَخْصٌ مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الَّذِي
 يَحْكُمُ، أَوْ مُوسَى، أَوْ دَاوُدَ، أَوْ سُليْمَانَ الْأَكْثَرِ
 حِكْمَةً، أَوْ حَتَّى أَكْثَرَ النَّاسِ عَدْلًا، طَالَمَا نَسْأَلُكَ نَحْنُ
 بَوَقَالَةٍ، وَيَكُونُ هَذَا الْحَاكِمُ لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِعِلَّةِ
 الشُّرُورِ. كَيْفَ وَبِأَيِّ طَرِيقَةٍ يَحْدُثُ ذَلِكَ؟ فَبِإِفْتِرَاضِ
 أَنَّ الْحَاكِمَ يُعْذَرُ مِنَ الْعُصَاةِ، فَإِنَّ سَلْبِيَّتَنَا وَقَوْضَوِيَّتَنَا
 هِيَ الَّتِي صَنَعَتْهُ هَكَذَا، إِنَّ خَطِيَايَانَا سَبَبُ هَذَا
 الْجُرْحِ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ لَدِينَا رُؤْسَاءٌ عَلَى هَوَانَا فَهَذَا لَا
 يَغْنِي شَيْئًا آخَرَ سِوَى أَنَّنَا قَدْ حَصَلْنَا عَلَى هَذَا

^{٥٧} ἀβουλία أي بِلَادَة وَحِمَاقَة أَوْ التَّهْلُوهُ وَفَقْدَانُ الْإِرَادَةِ.

الرئيس كَتَبَتْجِبَةً لَخَطَايَانَا السَّابِقَةِ، سواءَ كَانَ هَذَا
الرئيسُ مِنَ الكَهَنَةِ أَوْ مِنْ حُكَّامِ السُّلْطَانِ المَدْنِيَّةِ.
ولكنْ حتَّى لو كَانَ بَارًّا لَدَرَجَةِ فَضِيلَةِ مُوسَى لَا
يُمْكِنُ لِهَذَا البِرِّ أَنْ يُعْطِيَ مُخَالَفَاتِ مُوَاطِنِيهِ الَّتِي لَا
حَصْرَ لَهَا.

مُوسَى النَّبِيُّ لَمْ يَفْلَحْ مَعَ شَعْبِ خَاطِي

وهذا مَا يُمْكِنُ التَّأَكُّدُ عَلَيْهِ مِنْ (قِصَّةِ)
مُوسَى نَفْسِهِ، الَّذِي كَانَ قَدْ اخْتَمَلَ كَثِيرًا مِنَ الْأَتْعَابِ
لِأَجْلِ الشَّعْبِ الْإِسْرَائِيلِيِّ، وَقَدْ مَّ كَثِيرًا مِنْ
التَّضَرُّعَاتِ إِلَى اللَّهِ لِأَجْلِ هَذَا الشَّعْبِ، حتَّى يَتِمَّكَنَ
مِنْ أَنْ يَرِثَ الْأَرْضَ الَّتِي قَدْ وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهَا، وَلَكِنْ
عِنْدَمَا صَارَ اسْتِيْلَاءُ هَذَا الشَّعْبِ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ
بَعِيدَ الْمَنَالِ بِسَبَبِ مَخَالَفَتِهِ لِلشَّرِيعَةِ، لَمْ تَسْتَطِعْ
طَلِبَاتُهُ أَنْ تُغَيِّرَ حُكْمَ اللَّهِ الْعَادِلِ، فَسَقَطَ كُلُّ الشَّعْبِ
فِي الْبَرِيَّةِ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ هُوَ
أَكْثَرُ بَرًّا مِنْ مُوسَى أَوْ مَنْ لَهُ دَالَّةٌ عِنْدَ اللَّهِ أَكْثَرَ

مِنْهُ، إِذْ يُقَالُ أَنَّ طَلَبَاتِ الصِّدِّيقِ قَادِرَةٌ^{٥٨}. لَكِنْ
عِنْدَمَا تَكُونُ فَعَالَةً، أَيْ عِنْدَمَا تَكُونُ مَصْحُوبَةً بِتَوْبَةٍ
وَرَجُوعِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ الطَّالِبَةُ لِأَجْلِهِمْ. أَمَّا
أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَا يَتَوَبُّونَ وَلَا يَرْجِعُونَ فَكَيْفَ
سَتُسَاعِدُهُمْ إِذَنْ تِلْكَ الطَّالِبَاتُ طَالَمَا أَنَّهُمْ أَنفُسُهُمْ
يُعِيقُونَهَا بِأَعْمَالِهِمْ (الشِّرِيرَةِ)؟

٥- وَلَكِنَّهُ لِمَاذَا نَقُولُ أَنَّ هَذَا يَحْدُثُ مَعَ كُلِّ
الشَّعْبِ عِنْدَمَا يُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّ
الْخَطِيئَةَ كَانَتْ بِسَبَبِ نَفَرٍ قَلِيلٍ مِنْهُمْ، أَوْ فِي كَثِيرٍ
مِنَ الْمَرَاتِ فَإِنَّ وَاحِدًا فَقَطْ هُوَ الَّذِي يَتَطَاوَلُ
مُتَجَاوِزًا الْحَدَّ عَلَى مَنْ يَحْكُمُونَ بِالْعَدْلِ؟ وَهَذَا مَا
يُمْكِنُ أَنْ يَفْهَمَهُ الْمَرْءُ مِنَ الشَّعْبِ الْإِسْرَائِيلِيِّ نَفْسِهِ،
الَّذِي كَانَ يَقُودُهُ مُوسَى عِنْدَمَا اجْتَاَحَ أَرْضًا لِشُعُوبٍ
غَرِيبَةٍ، وَاشْتَكَى فِي الْمَعْرَكَةِ، لِأَنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ جُنَّ
بِالنِّسَاءِ وَصَارُوا سَبَبًا فِي قَتْلِ وَدَمَارِ كُلِّ الشَّعْبِ.

^{٥٨} راجع يع ٥: ١٦ "طَلِبَةُ الْبَارِ تَقْتَدِرُ كَثِيرًا فِي فِعْلِهَا"

وهذا أيضاً قد حَدَّثَ عِنْدَمَا أَخْطَأَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، مِثْلُ مَا حَدَّثَ فِي خَالَةِ عَخَانَ بْنِ كَرْمِي^{٥٩} بَعْدَ أَنْ سَلَبَ الْخُلَيَّ الْمُلوْنَةُ الْمُحَرَّمَةَ عَلَيْهِمْ مِمَّا تَسَبَّبَ فِي جَلْبِ غَضَبِ اللَّهِ عَلَى الشَّعْبِ. رُبَّمَا بَعْضُ الْخُضُورِ هُنَا يَجْهَلُونَ هَذِهِ الْقِصَّةَ، لِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ أَتَحَدَّثَ قَلِيلاً عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ، حَتَّى يَتَذَكَّرَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ هَذِهِ الْقِصَّةَ وَلَكِي أَعْرِفَهَا لِمَنْ يَجْهَلُونَهَا.

لَقَدْ كَانَ عَخَانُ هَذَا وَاحِدًا مِنَ الَّذِينَ عَابَرُوا الْأَرْضَ مَعَ يَشُوعَ، وَيَشُوعُ ذَاكَ هُوَ الَّذِي قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْأَخْتِيَارُ كَيَّ يَكُونَ خَلِيفَةً مُوسَى وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ عُيِّنَ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ يُمَثِّلُ صُورَةَ وَنُمُودَجًا لِمُخْلِصِنَا الْحَقِيقِيِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ^{٦٠}، لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ ذَاكَ قَدْ عَبَرَ بِالشَّعْبِ مِنَ الْبَرِّيَّةِ مِنْ خِلَالِ نَهْرِ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضِ

^{٥٩} أنظر يش ٧: ١

^{٦٠} هنا يستخدم القديس يوحنا تعبير *εἰκόνα* "أيقونة"، *τύπος* "نموذج" لتعبير عن يسوع كرمز للسيد المسيح.

المِيعَادِ، هَكَذَا أَيْضًا مُخَلِّصُنَا، قَدْ نَقَلْنَا مِنْ بَرِيَّةِ
الْجَهْلِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ خِلَالِ الْمَعْمُودِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ
وَالْمُخَلِّصَةِ، إِلَى أُورُشَلِيمَ الْعَلِيَا^{٦١}، أُمِ الْأَبْكَارِ^{٦٢}،
الَّتِي فِيهَا قَدْ أُعِدَّتْ أَمَاكُنُ الرَّاحَةِ الْحَقِيقِيَّةِ، حَيْثُ
تُوجَدُ حَيَاةُ الْهُدُوءِ وَالسَّلَامِ^{٦٣}، أَمَا يَشُوعُ بَعْدَ أَنْ
عَبَرَ مَعَ الشَّعْبِ - بِقُوَّةِ اللَّهِ الَّذِي قَدْ أَعْطَاهُ الْوَصِيَّةَ -

^{٦١} يُشِيرُ الْقَدِيسُ يوحنا إِلَى الْكَنِيسَةِ الْمُقَدَّسَةِ بِهَذَا التَّعْبِيرِ τὴν ἁνω Ἱερουσαλὴμ أي "أورُشاليمَ العُلْيَا" إِلَيَّ مَا ذَكَرَهُ الْقَدِيسُ بُولُسُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ غَلَاطِيَّةِ،
عِنْدَمَا قَارَنَ بَيْنَ هَاجِرٍ وَسَارَةٍ كَوْنِ الْأُولَى تُشِيرُ إِلَى أُورُشَلِيمَ الْخَاصِرَةِ، أَيْ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ
حَيْثُ أَرْضُ الْعَبُودِيَّةِ وَبَيْنَ الْأُخْرَى سَارَةٍ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى أُورُشَلِيمَ الْعُلْيَا أَيْ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ
فَيَقُولُ: " قُولُوا وَلَكِنِّي كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ خَاصِرًا عِنْدَكُمْ الْآنَ وَأَغْيِرَ صَوْتِي، لِأَنِّي مُتَحَيِّرٌ
فِيكُمْ! لِي، أَنْتُمْ الَّذِينَ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا تَحْتَ النَّامُوسِ: أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ النَّامُوسَ؟ فَإِنَّهُ
مَكْتُوبٌ أَنَّهُ كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ ابْنَانِ، وَاحِدٌ مِنَ الْجَارِيَةِ وَالْآخَرُ مِنَ الْخُرَّةِ. لَكِنَّ الَّذِي مِنَ الْجَارِيَةِ
وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ، وَأَمَّا الَّذِي مِنَ الْخُرَّةِ فَبِالْمَوْعِدِ. وَكُلُّ ذَلِكَ زَمَرٌ، لِأَنَّ هَاتَيْنِ هُمَا الْعَهْدَانِ،
أَحَدُهُمَا مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ، الْوَالِدِ لِلْعَبُودِيَّةِ، الَّذِي هُوَ هَاجِرٌ. لِأَنَّ هَاجِرَ جَبَلِ سِينَاءَ فِي الْعَرَبِيَّةِ.
وَلَكِنَّهُ يُقَابَلُ أُورُشَلِيمَ الْخَاصِرَةَ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبِدَةٌ مَعَ بَنِيهَا. وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا
جَمِيعًا، فَهِيَ خُرَّةٌ. (غلا ٤ : ٢١-٢٦).

^{٦٢} التَّعْبِيرُ بِالْيُونَانِيَّةِ هُوَ : τὴν μητέρα τῶν πρωτοτόκων أُمِ الْأَبْكَارِ
^{٦٣} نَلَاخِظُ هُنَا أَنَّ الْقَدِيسَ يوحنا ذَهَبَ إِلَى الْقَمِ يَسْتَعِيزُ التَّفْسِيرَ النَّمَاذَجِيَّ، الْخَاصَّةَ بِمَدْرَسَةِ
الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَلَيْسَ بِمَدْرَسَةِ أَنْطَاكِيَّةِ. انْظُرِ الْمُقِيمَةَ ص ٥٠-٥١.

هَاجَمَ أَرِيحَا وَشَرَعَ فِي حَصَارِهَا بِطَرِيقَةٍ عَجِيبَةٍ^{٦٤}،
وَبَيْنَمَا كَانَتِ الْأَسْوَارُ بِالْفِعْلِ فِي طَرِيقِهَا لِلْأَنْهِيَارِ،
مَاذَا قَالَ لِلشَّعْبِ: "فَتَكُونُ الْمَدِينَةُ وَكُلُّ مَا فِيهَا
مُحَرَّمًا لِلرَّبِّ. رَاغِبُ الزَّانِيَةِ فَقَطْ تَحْيَا هِيَ وَكُلُّ
مَنْ مَعَهَا فِي الْبُنْيَتِ، لِأَنَّهُمَا قَدْ خَبَّاتِ الْمُرْسَلَيْنِ
الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمَا".^{٦٥} يَقُولُ "يُحَرَّمُ" كُلُّ مَا فِي
الْمَدِينَةِ، لِأَنَّ هَذَا يُغْنِي "مُحَرَّمٌ"^{٦٦}، فَلَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنَ
الْأَشْيَاءِ الْمُحَرَّمَةِ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ إِلَهِ، كَيْ لَا يَمْحُونَا
مِنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. إِذْنِ الْوَصِيَّةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا
اللَّهُ وَالَّتِي شَرَعَهَا يَشُبُّوعُ كَانَتْ خَطِيرَةً، وَصَرَامَةً
اللَّهُ كَانَتْ شَدِيدَةً. كَيْفَ كَانَ مِنَ الْمُمَكِّنِ فِي وَسْطِ
هَذَا الْجَمْعِ الضَّخْمِ أَلَا يَخَالَفُ أَحَدٌ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ، فِي
الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ قَدْ تَدَفَّعَهُمْ
لِذَلِكَ؟ لِأَنَّهُ أَمَا بِسَبَبِ انْعِدَامِ الْاسْتِقْرَارِ وَجَشَعِ
الشَّعْبِ أَوْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا جَمِيعًا الْوَصِيَّةَ الَّتِي قَدْ

^{٦٤} كناية عن دوران الشعب سبع مرات حول أسوارها حتى انهارت.

^{٦٥} يش ٦: ١٧

^{٦٦} التعبير باليونانية ἀνάθημα أناتما

أُعْطِيَتْ لَهُمْ، أَوْ بِسَبَبِ تَعُدِّ الْغَنَائِمِ، الَّتِي صَارَتْ كَطُعْمِ أَمَامِهِمْ، فَأَغْوَتْ الطَّامِعِينَ، الْأَمْرُ الَّذِي دَفَعَهُمْ إِلَى إِرْتِكَابِ التَّعْدِي. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ قَدْ فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ، وَعُلِقَ خَطَرُ التَّعْدِي فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ.

فَمَاذَا حَدَّثَ إِذْنٌ بَعْدَ ذَلِكَ؟ انْهَارَتْ الْأَسْوَارُ وَكُلُّ مُمْتَلَكَاتِ الْمَدِينَةِ سَقَطَتْ فِي يَدِ مُحَاصِرِهَا. بَيْنَمَا كُلُّ الشَّعْبِ قَدْ حَفَظَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ، فَإِنَّ تَعْدِي قَرْدٍ وَاحِدٍ قَدْ سَبَبَ غَضَبَ اللَّهِ عَلَى الشَّعْبِ كُلِّهِ. لِأَنَّهُ قَالَ: "وَحَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ خِيَانَةً فِي الْحَرَامِ، فَأَخَذَ عَخَانُ بْنُ كَرْمِي بْنِ زَبْدِي بْنِ زَارَحَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا مِنَ الْحَرَامِ، فَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ".^{٦٧} أَلَيْسَ وَاحِدٌ فَقَطْ هُوَ الَّذِي خَانَ، فَكَيْفَ إِذْنُ يَقُولُ^{٦٨}: "وَحَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ" وَ"فَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ". فَاَنْظُرْ كَيْفَ أَنَّ

^{٦٧} يش ٧: ١

^{٦٨} النص المحقق في SC مختلف عن PG الذي يسقط منه سطر

خَطِيئَةً قَرَدٍ وَاحِدٍ قَدْ أَذَتْ إِلَيَّ عُقُوبَةً^{٦٩} الشَّعْبِ كُلِّهِ؟
وَكَيْفَ أَنْ الْخَطِيئَةَ دَفَعَتْ إِلَيَّ مُحَارَبَةُ الْجَمْعِ؟
فِعِنْدَمَا حَدَّثْتَ الْخَطِيئَةَ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ سِوَى اللَّهِ
وَحْدَهُ، الْعَارِفِ بِالْخَفَايَا، فَتَأْتِي بِلَا شَكِّ الْعُقُوبَةَ فِي
الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ، أَمَا ذَاكَ الَّذِي ارْتَكَبَ تِلْكَ الْفِعْلَةَ
وَضَنَّ أَنَّهُ سَوْفَ يَفْلِتُ، - مَعَ أَنْ ضَمِيرَهُ كَانَ يَحْتَرِقُ
فِي دَاخِلِهِ، كَأَنَّ فِي صَدْرِهِ نَارًا-. فَقَدْ حَانَتْ سَاعَةُ
الْعِقَابِ وَقَضَحَ الْخَطِيئَةَ. لِأَنَّهُ يَقُولُ: "وَأَرْسَلِ يَشُوعُ
رِجَالًا مِنْ أَرِيحَا إِلَى عَايِ الَّتِي عِنْدَ بَيْتِ آوَنَ
شَرْقِيَّ بَيْتِ إِبِلَ، وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: «اصْعَدُوا تَجَسَّسُوا
الْأَرْضَ». فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَتَجَسَّسُوا عَايَ. ثُمَّ
رَجَعُوا إِلَى يَشُوعَ وَقَالُوا لَهُ: «لَا يَصْعَدُ كُلُّ الشَّعْبِ،
بَلْ يَصْعَدُ نَحْنُ أَلْفِي رَجُلٍ أَوْ ثَلَاثَةُ أَلْفٍ رَجُلٍ
وَيَضْرِبُوا عَايَ. لَا تُكَلِّفْ كُلَّ الشَّعْبِ إِلَى هُنَاكَ
لَأَنَّهُمْ قَلِيلُونَ». فَصَعِدَ مِنَ الشَّعْبِ إِلَى هُنَاكَ نَحْنُ
ثَلَاثَةُ أَلْفٍ رَجُلٍ، وَهَرَبُوا أَمَامَ أَهْلِ عَايَ. فَضْرَبَ

^{٦٩} عقوبة باليونانية : τιμωρία

مِنْهُمْ أَهْلُ عَايَ نَحْوِ سِنَّةٍ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا، وَلَحِقُواهُمْ
مِنْ أَمَامِ الْبَابِ إِلَى شَبَارِيمَ وَضَرَبُوهُمْ فِي الْمُنَحْدَرِ.
فَذَابَ قَلْبُ الشَّعْبِ وَصَارَ مِثْلَ الْمَاءِ.^{٧٠}

٦- فَاذْتَبَيْهِ لِمَا سَبَبَتْهُ خَطِيئَةٌ وَاحِدَةٌ، انْتَبَيْهِ
لِجُرْحٍ لَا يَنْدَمِلُ، فَفَرَدَّ وَاحِدٌ قَدْ أَخْطَأَ وَمَعَ ذَلِكَ
فَالْمَوْتُ وَالرَّعْدَةُ قَدْ سَقَطَ فِيهِمَا كُلُّ الشَّعْبِ. فلماذا
هَذَا يَا رَبُّ يَا مُجِيبَ الصَّلَاحِ^{٧١}؟ فَأَنْتَ وَحْدَكَ الْعَادِلُ
وَأَحْكَامُكَ مُسْتَقِيمَةٌ، أَنْتَ تُجَازِي بِالْعَدْلِ كُلَّ وَاحِدٍ
وَفَقًّا لِأَعْمَالِهِ، فَأَنْتَ يَا مُجِيبَ الْبَشَرِ قَدْ قُلْتَ أَنَّ كُلَّ
فَرْدٍ يَمُوتُ عَلَيَّ خَطِيئَتِهِ هُوَ وَلَا يُعَاقَبُ شَخْصٌ بَدَلًا
عَنْ شَخْصٍ آخَرَ. فما هي إِذَنْ دَيْنُونَتُكَ الْعَادِلَةُ؟ فَكُلُّ
شَيْءٍ عِنْدَكَ صَالِحٌ، وَصَالِحٌ جَدًّا وَمُرْتَبٌّ وَفَقًّا
لِفَانْدَتِنَا. فَالْخَطِيئَةُ - كَمَا يُقَالُ - هِيَ دَمَارٌ، فَلْيُصَبِّ
بِالْعُقُوبَةِ إِذَنْ الْجَمِيعُ، كَيْ لَا تُدْمِرَهُمُ الْخَطِيئَةُ
جَمِيعًا، حَتَّى تُدْرِكُوا كُمْ مِنَ الْعَوَاقِبِ الْوَخِيمَةِ

^{٧٠} يش ٧: ٢٠

^{٧١} "يا محب الصلاح" باليونانية: φιλάγαθε

يُسَبِّحُهَا تَعْدٍ وَاحِدٌ، وَحَتَّى تَتَجَنَّبُوا الْعِقَابَ الَّذِي لَا
نِهَآيَةَ لَهُ بِسَبَبِ خَطَايَاهُمْ الْكَثِيرَةِ. لَمَّا رَأَى يَشُوعُ -
كَمَا يَقُولُ الْكِتَابُ- الْهُرُوبَ غَيْرَ الْمُبَرَّرِ (لجيشه)
مَزَقَ ثِيَابَهُ، وَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ يِرْثِي ذَاكَ الرَّثَاءَ
الَّذِي يَذْكُرُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ.

فَبِمَاذَا يُجِيبُهُ الرَّبُّ؟ : " قَدْ أَخْطَأَ إِسْرَائِيلُ،
بَلْ تَعَدُّوا عَهْدِي الَّذِي أَمَرْتُهُمْ بِهِ، بَلْ أَخَذُوا فَقَالَ
الرَّبُّ لِيَشُوعَ: «قُمْ! لِمَاذَا أَنْتَ سَاقِطٌ عَلَى وَجْهِكَ؟
مِنَ الْحَرَامِ، بَلْ سَرَقُوا، بَلْ أَنْكَرُوا، بَلْ وَضَعُوا فِي
أَمْتِعَتِهِمْ. فَلَمْ يَتِمَكَّنْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الثُّبُوتِ أَمَامَ
أَعْدَائِهِمْ. يُدِيرُونَ قَفَاهُمْ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ لِأَنَّهُمْ
مَخْرُومُونَ، وَلَا أَعُودُ أَكُونُ مَعَكُمْ إِنْ لَمْ تُبِيدُوا
الْحَرَامَ مِنْ وَسْطِكُمْ." ٧٢ أما الذي فَعَلَ ذَلِكَ التَّعْدِي
فَقَدْ كَشَفَهُ الرَّبُّ وَأَظْهَرَهُ أَمَامَ كُلِّ الشَّعْبِ، وَاعْتَرَفَ
ذَلِكَ بِفِعْلَتِهِ، لِأَنَّ عَخَانَ أَجَابَ يَشُوعَ قَائِلًا: «حَقًّا
إِنِّي قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ وَصَنَعْتُ كَذَا

وَكَذَا. رَأَيْتُ فِي الْغَنِيمَةِ رِذَاءً شِنْعَارِيًّا نَفِيسًا،
وَمِئْتِي شَاقِلِ فِضَّةٍ، وَلِسَانَ ذَهَبٍ وَزُنْهُ خَمْسُونَ
شَاقِلًا، فَاشْتَهَيْتُهَا وَأَخَذْتُهَا. وَهَا هِيَ مَطْمُورَةٌ فِي
الْأَرْضِ فِي وَسْطِ خَيْمَتِي، وَالْفِضَّةُ تَحْتَهَا»^{٧٣} فَقَدْ
أَظْهَرَ إِذْنُ كُلِّ شَيْءٍ ذَلِكَ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ (الله) هُوَ
الَّذِي كَشَفَ عَنْهُ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْإِنْكَارَ، لِأَنَّهُ كَانَ تَحْتَ
رِقَابَةِ عَنِيْقَةٍ، فَاِنْتَبَهَ كَيْفَ كَانَتْ عُقُوبَةُ الْمَوْتِ مُهَيَّئَةً
وَبَشِيرَةً. فَيَقُولُ: " فَأَخَذَ يَشُوعُ عَخَانَ بْنَ زَارَحَ
وَالْفِضَّةَ وَالرِّذَاءَ وَلِسَانَ الذَّهَبِ وَبَنَاتِهِ وَبَقَرَهُ
وَحَمِيرَهُ وَغَنَمَهُ وَخَيْمَتَهُ وَكُلَّ مَالِهِ، وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ
مَعَهُ، وَصَعِدُوا بِهِمْ إِلَى وَادِي عَخُورَ. فَقَالَ يَشُوعُ:
«كَيْفَ كَدَرْتَنَا؟ يُكَدِّرُكَ الرَّبُّ فِي هَذَا الْيَوْمِ!»
فَرَجَمَهُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ بِالْحِجَارَةِ وَأَخْرَقُوهُمْ بِالنَّارِ
وَرَمَوْهُمْ بِالْحِجَارَةِ»^{٧٤}. هَذَا هُوَ جَزَاءُ مُخَالَفَةِ
الشَّرِيعَةِ، هَذَا هُوَ حُكْمُ اللَّهِ النَّزِيرِ.

^{٧٣} يش ٧: ٢١ و ٢٠

^{٧٤} يش ٧: ٢٥ و ٢٤

فَلِنَعْرِفْ هَذَا كُلَّهُ، وَلِنَفْكَرْ أَنَّ هَذِهِ النَّمَاذِجَ السَّيِّئَةَ
هِيَ بِمَثَابَةِ جَزَاءِ خَطَايَانَا نَحْنُ، لِذَلِكَ فَلِنَقْصُصْ كُلَّ
يَوْمٍ أخطاءَنَا، وَلَا نَنْسِبْهَا لِلآخَرِينَ، وَلَكِنْ لِنَنْسِبْهَا
لِذَوَاتِنَا نَحْنُ لِأَنَّنا نَحْنُ أَنْفُسَنَا سَبَبُ فِي ارْتِكَابِهَا، لِأَنَّ
الشُّرُورَ لَيْسَتْ دَائِمًا بِسَبَبِ بِلَادَةِ الْحُكْمِ، بَلْ فِي
كَثِيرٍ مِنَ الْمَرَاتِ بِسَبَبِ أخطائِنَا. هَكَذَا أَيْضًا عِنْدَمَا
يَأْتِي شَخْصٌ مَا إِلَى هُنَا مُتَأَمِّلًا فِي خَطَايَاهِ الْخَاصَّةِ،
وَلَيْسَ فِي خَطَايَا شَخْصٍ آخَرَ يُدِينُهُ، فَإِنَّهُ سَوْفَ
يَصْنَعُ هَذَا التَّمَجِيدُ بِنَقَاوَةٍ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ. وَهَذِهِ هِيَ
النَّقَاوَةُ الْمَطْلُوبَةُ مِنَّا هِيَ كَالآتِي:

تَدْرِيبٌ عَلَى حُسْنِ الْعِبَادَةِ بِخُشُوعِ الْجَسَدِ وَانْخِفَاضِ الصَّوْتِ
وَمَنْعِ الْأَحَادِيثِ الْجَانِبِيَّةِ.

أَوَّلًا قَبْلَ أَيِّ شَيْءٍ يَجِبُ أَنْ نَتَقَدَّمَ إِلَى اللَّهِ
بِقَلْبٍ مُنْسَحِقٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ، يَجِبُ أَنْ نُبْرِهِنَ عَلَى
نِيَّةِ قُلُوبِنَا بِمَظْهَرِنَا (الْخَارِجِي) بِوُقُوفِنَا، وَحُسْنِ
تَرْتِيبِ أَيْدِينَا، بِهَدْوٍ وَانْخِفَاضِ صَوْتِنَا. وَهَذَا أَمْرٌ
سَهْلٌ وَمَمْكِنٌ لِكُلِّ فَرْدٍ يُرِيدُ ذَلِكَ. فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ

يَتَحَقَّقَ ذَلِكَ لِلْجَمِيعِ؟ فَلِنَضَعْ لَأَنْفُسِنَا قَانُونًا، وَلِنَقُلْ
لِنَفْرِضْ وَصِيَّةَ مُفِيدَةِ الْجَمِيعِ، وَيَجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا
أَنْ نَأْخُذَ نَصِيبًا مِنْ هَذِهِ الْقَانِدَةِ، لَذَلِكَ فَلِنَتَوَقَّفْ عَنِ
الْأَصَوَاتِ غَيْرِ الْمُنضَبِطَةِ، وَعَادَةِ (رَفْعِ) الْأَيْدِي،
وَذَلِكَ بِالنَّحْكُمِ فِيهَا، وَنَرْفَعُهَا لِلَّهِ وَهِيَ مَضْمُومَةٌ، وَلَا
نَرْفَعُهَا بِحَرَكَاتٍ غَيْرِ لَانْقَةِ. لِأَنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ ذَلِكَ
وَيُفْقِئُهُ، كَمَا أَنَّهُ يُحِبُّ وَيَقْتَرِبُ مِنَ الْخَاشِعِينَ لَذَلِكَ
يَقُولُ: "وَإِلَى هَذَا أَنْظُرُ: إِلَى الْمُسْكِينِ وَالْمُنْسَحِقِ
الرُّوحِ وَالْمُرْتَعِدِ مِنْ كَلَامِي"^{٧٥}. فَلِنَقُلْ فِيمَا بَيْنَنَا، أَنَّهُ
لَا يُرِيدُ وَنَحْنُ نَتَخَذْتُ إِلَيْهِ أَنْ نَتَخَذْتُ فِيمَا بَيْنَنَا، وَلَا
نَتْرَكَ الْحَدِيثَ مَعَهُ كَيْ نُنْثِرَ اسْتِيَاءَ الْحُضُورِ، فَتَخْلُطَ
الْأَلَى مَعَ الْوَحْلِ، لِأَنَّ هَذَا يُعْتَبَرُ إِهَانَةً وَذَمًّا وَلَيْسَ
تَمْجِيدًا، وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يُرِيدُ أَنْ يُخَالَفَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ
فَلِنُغْلِقْ فَمَهُ وَنَطْرُدْهُ كَعَدُوٍّ لِخَلَاصِنَا، وَلِنُخْرِجْهُ مِنْ
سَاحَاتِ الْكَنِيسَةِ الْمُقَدَّسَةِ.

وَنَحْنُ نَنْصَرِفُ هَكَذَا سَوْفَ تَمَحِّي خَطَايَانَا

بِسُهُولَةٍ، وَالرَّبُّ نَفْسُهُ سَوْفَ يَكُونُ بَيْنَنَا، وَسَوْفَ
نُرْتِّلُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْقُدِّيسِينَ، وَسَوْفَ يُجَازِي كُلَّ
وَاحِدٍ بِأَكْثَرِ النِّقَاطَةِ، لِأَنَّهُ مُحِبُّ الْبَشَرِ وَسَخِيٌّ فِي
عَطَايَاهُ، وَيَفْرَحُ بِخَلَاصِنَا، لِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَشْعُرُ بِالسُّرُورِ
بِأَعْمَالِنَا الْحَسَنَةِ، وَيُوَعِدُنَا بِمَلَكَوَتِ السَّمَاوَاتِ
وَبِالْإِشْتِرَاكِ فِي الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَقَدْ أَعَدَّ لَنَا كُلَّ
الْخَيْرَاتِ، مُرِيدًا أَنْ نُقِيمَ فِيهَا، تِلْكَ الصَّالِحَاتِ الَّتِي
أَتَمَمْنَا أَنْ نَنَالَهَا كُلُّنَا جَمِيعًا، بِنِعْمَةٍ وَمَحَبَّةِ الْبَشَرِ
الَّتِي لِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي يَلِيْقُ بِهِ الْمَجْدُ وَالْقُوَّةُ
وَالْكَرَامَةُ وَالسُّجُودُ مَعَ أَبِيهِ وَالرُّوحِ الْقُدِّسِ، الْآنَ
وَكُلَّ أَوَانٍ وَإِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ.

العِظَةُ الثَّانِيَّةُ

عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ^{٧٦}: "فِي سَنَةِ وَفَاةٍ غَزِيَا
الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ
وَمُرْتَفِعٍ"^{٧٧} "وَفِي أَنَّهُ يَجِبُ أَلَّا نَتَجَاهَلَ أَيَّ زَمَنٍ أَوْ
أَيَّ آيَةٍ مِنَ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ.

مُقَدِّمَةٌ عَنْ عَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَى الْوَعْظِ!

١- أَنَّنِي فِي غَايَةِ السَّعَادَةِ أَنْ أَرَاحِمَ وَأَنْتُمْ
تَحْرِصُونَ عَلَى سَمَاعِ الْكَلِمَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَأَعْتَبِرُ أَنَّ
هَذَا بُرْهَانٌ كَبِيرٌ عَلَى تَقَدُّمِكُمْ (الرُّوحِي) بِحَسَبِ
مَشِيئَةِ اللَّهِ. فَكَمَا أَنَّ الْجُوعَ هُوَ بُرْهَانٌ عَلَى صِحَّةِ
الْجَسَدِ، كَذَلِكَ الرَّغْبَةُ فِي سَمَاعِ الْأَقْوَالِ الرُّوحِيَّةِ
دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ النَّفْسِ. وَأَنَا أَفْرَحُ لَدَلِّكَ غَيْرَ أَنَّنِي
أَخْشَى أَلَّا أَقْدِرَ أَنْ أَقْدِمَ لَكُمْ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ مَا تَرْغَبُونَ
فِيهِ. كَمِثْلِ الْأُمِّ الْحَنُونِ الَّتِي تُعَانِي عِنْدَمَا يَكُونُ

^{٧٦} هكذا في النص المحقق SC أما في PG : "في قول إشعياء النبي".

^{٧٧} اش ٦ : ١

عِنْدَهَا طِفْلٌ رَضِيعٌ وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعْطِيَهُ مَصَدْرًا
وَإِفْرًا مِنَ اللَّبَنِ، فِعِنْدَمَا تُقَدِّمُ لَهُ ثَدْيَهَا وَلَا يُوْجَدُ بِهِ
لَبَنٌ، فَيَأْخُذُهُ وَيَسْحَبُهُ بِفَمِهِ وَيَشْدُهُ كَي يُدْفَى الحَلَمَةُ
المُتَجَمِّدَةَ، سَاعِيًا أَنْ يَخْرُجَ مَزِيدًا مِنَ الطَّعَامِ
المَوْجُودِ، وَالْأُمُّ بِلَا شَكٍّ تَتَأَلَّمُ حَيْثُ يَشْدُ الطِّفْلُ
ثَدْيَيْهَا، وَلَكِنَّهَا لَا تَصُدُّهُ، لِأَنَّهَا أُمُّهُ وَهِيَ تُفْضِلُ أَنْ
تَتَأَلَّمَ عَنْ أَنْ تُسَبِّبَ حُزْنَ لَطِفْلِهَا، فَإِنْ كَانَتْ الْأُمّهَاتُ
لَدَيْهِنَّ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الحَنَانِ عَلَى أَطْفَالِهِنَّ، فَكَمْ
بِالْأَوْلَى يَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ أَنْ نَفْعَلَ تَجَاهَ مَحَبَّتِكُمْ، لِأَنَّ
الْأُمَّ الْوِلَادَةَ الرُّوحِيَّةَ تَكُونُ أَكْثَرَ حَرَارَةً مِنْ تِلْكَ
الطَّبِيعِيَّةِ^{٧٨}. لِأَنَّهُ حَتَّى إِنْ كَانَتْ مَانِدَتِي فَقِيرَةً^{٧٩}
لِلْغَايَةِ فَلَنْ أُخْفِيهَا عَنْكُمْ، وَلَكِنِّي سَوْفَ أَقْدِمُ كُلَّ شَيْءٍ
أَمَامَكُمْ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ صَغِيرَةً وَغَيْرَ مُهِمَّةٍ

^{٧٨} يَحَاكِي هُنَا الْقَدِيسُ يُوْحَنَّا ذَهَبِي الْفَمِ الْقَدِيسِ بُولُسَ الرِّسُولِ فِي قَوْلِهِ: " يَا أَوْلَادِي
الَّذِينَ ائْتَمَخْتُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَنْصَوِّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ. " (غلا ٤ : ١٩) وَأَيْضًا "بَلْ كُنَّا
مُتَرَفِّقِينَ فِي وَسْطِكُمْ كَمَا تُرَبِّي الْمَرْضِعَةُ أَوْلَادَهَا" (١ تس ٢ : ٧-٩).

^{٧٩} الْمَقْصُودُ هُنَا بِالْمَانِدَةِ هُوَ مَا يُقَدَّمُ الْقَدِيسُ يُوْحَنَّا مِنْ تَعْلِيمٍ فِي عِظَتِهِ فَكثيرًا مَا يَسْتَعِذُّ
الْقَدِيسُ يُوْحَنَّا هَذَا التَّشْبِيهَ مُتَحَدِّثًا عَنْ مَانِدَةِ التَّعْلِيمِ.

إِلَّا أَنَّنِي سَوْفَ أَقْدِمُهَا لَكُمْ. لِأَنَّ ذَاكَ الَّذِي قَدْ أَخَذَ
وَزَنَةَ وَاحِدَةً لَمْ يُدَنَّ، لِأَنَّهُ لَمْ يُقَدِّمَ خَمْسًا بَلْ لِأَنَّ
الْوَاحِدَةَ الَّتِي قَدْ أَخَذَهَا قَدْ دَفَنَهَا، لِذَلِكَ أُدِينُ^{٨٠}. لِأَنَّ
مَا يَطْلُبُهُ مِنَّا اللَّهُ أَوْ (حَتَّى) الْبَشَرُ لَيْسَ تَقْدِيمُ الْقَلِيلِ
أَوْ الْكَثِيرِ، بَلْ أَلَا نَسَاهِمَ - بِأَيِّ حَالٍ - بِأَقْلٍ مِمَّا هُوَ
يُوسِعُنَا.

الْخَضُورُ بِالْجَسَدِ وَالْخَضُورُ بِالذِّهْنِ

سَمِعْتُمْ فِي السَّابِقِ، عِنْدَمَا اسْتَحَقَّقْتُ أَنْ
أَتَخَذْتُ إِلَيَّ مَحَبَّتِكُمْ، عَنْ ذَاكَ الْمَرْمُورِ الَّذِي قَدْ
قَرَأْتَهُ عَلَى مَسَامِعِكُمْ، الَّذِي يَتَخَذْتُ عَنْ إِخْرَاجِ
الْخَاطِي مِنَ الْأَمَاكِنِ الْمُقَدَّسَةِ، وَكَانَ يَأْمُرُ الْمَلَائِكَةَ
وَالْقَوَاتِ السَّمَائِيَّةَ أَنْ يَهْتَفُوا لِإِلَهِ الْكُلِ^{٨١}، فَهَلْ
تُرِيدُونَ أَنْ تَسْتَمِعُوا أَيْضًا الْيَوْمَ إِلَى هَذَا اللَّحْنِ
الْمَلَائِكِيِّ، طَالَمَا نَقَفُ نَحْنُ هُنَاكَ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ

^{٨٠} راجع مت ٢٥: ١٤-٣٠

^{٨١} مزمر ١٤٨ يَتَخَذْتُ عَنْ هَتَافِ الْمَلَائِكَةِ لِلَّهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُذَكِّرُ شَيْئًا عَنْ طَرْدِ الْخَطَاةِ

مِنَ الدِّيَارِ الْمُقَدَّسَةِ.

مِنَ الْجَوْقَةِ الْمَلَائِكِيَّةِ؟ فِي اعْتِقَادِي هَذَا الْأَمْرُ
مَعْقُولٌ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الرِّعَاغُ مِنَ النَّاسِ يُقِيمُونَ
جَوْقَةً فِي السَّاحَاتِ فِي وَسْطِ وَغُمْقِ الظَّلَامِ وَفِي
سَاعَةٍ غَيْرِ مُنَاسِبَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، يُعَنُّونَ أَغَانِي دَاعِرَةٍ
(خَلِيعَةٍ) وَهُمْ سُكَارَى وَيُزَعِّجُونَ مَدِينَتَنَا، ثُمَّ
يَعُودُونَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى ذَوَاتِهِمْ وَيَتَصَرَّفُونَ بِطَرِيقَةٍ
طَبِيعِيَّةٍ^{٨٢}، أَمَا نَحْنُ أَلَسْنَا نَتَّبِعُ الْحَشْدَ السَّمَائِيَّ،
الْجَوْقَةَ السَّمَائِيَّةَ الَّتِي تُسَبِّحُ مَلِكَ هَذَا الْكَوْنِ، أَلَا
نَسْمَعُ ذَاكَ الصَّوْتِ الإِلَهِيِّ وَالطُّوبَاوِيِّ؟ فَأَيُّ عُذْرٍ
سَيَكُونُ لَنَا؟ وَكَيْفَ يُمَكِّنُنَا أَنْ نَسْمَعَ ذَاكَ الصَّوْتِ؟
فإِنَّهُ يَقُولُ لَنَا- فَلْنَصْعَدْ لِلسَّمَاءِ لَيْسَ بِأَجْسَادِنَا بِالطَّبْعِ
بَلْ بِأَفْكَارِنَا، بَلَا شَكٍّ لَيْسَ بِخُضُورِنَا (بِالْجَسَدِ) بَلْ
بِذِهْنِنَا. لِأَنَّ الْجَسَدَ هُوَ كَيَانٌ أَرْضِيٌّ وَثَقِيلٌ، وَهُوَ
بِالطَّبِيعَةِ يَمُكِّثُ أَسْفَلَ، بَيْنَمَا النَّفْسُ مُتَحَرِّرَةٌ مِنْ ذَلِكَ
الْإِلْتِزَامِ الْأَرْضِيِّ، وَيُمْكِنُ أَنْ تُخْلِقَ بِسُهُولَةٍ فِي

^{٨٢} يَتَخَذَتِ الْقَدِيسُ يُوْحَنَّا دَهْبِيَّ الْقَمِ عَنْ إِزْدَوَاجِيَّةِ سُلُوكِ أَوْلَادِكَ الْأَشْخَاصِ بَيْنَ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ، فَعِنِ اللَّيْلِ يَسْلُكُونَ بِالْعَرَبِزَّةِ وَبِالنَّهَارِ يَتَصَرَّفُونَ بِشَكْلِ طَبِيعِيٍّ.

الارْتِفَاعَاتِ الْكَبِيرَةِ فِي الْفَضَاءِ الرَّحِيبِ، هَكَذَا لَوْ
أَرَادَتْ هَذِهِ النَّفْسُ أَنْ تَصِلَ إِلَى أَقْصَايِ الْمَسْكُونَةِ،
أَوْ أَنْ تَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ فَلَا شَيْءَ يَسْتَطِيعُ أَنْ
يَمْنَعَهَا، فَأَجْنَحَهُ الْفِكْرُ الَّتِي قَدْ وَهَبَهَا لَهَا اللَّهُ فِي
مُنْتَهَى الْخِفَةِ، بَلْ أَنَّهُ لَمْ يَهَبْهَا فَقَطْ تِلْكَ الْأَجْنَحَةَ، بَلْ
أَنْعَمَ عَلَيْهَا أَيْضًا بِعُيُونٍ (ذَهْنِيَّةٍ) تَرَى أَبْعَدَ وَأَعَمَقَ
مَنْ عُيُونِ الْجَسَدِ.

الرُّؤْيَا الْجَسَدِيَّةُ وَالْبَصِيرَةُ الرُّوحِيَّةُ

فَالرُّؤْيَا الْجَسَدِيَّةُ عِنْدَمَا تَمُرُّ مِنْ خِلَالِ
فَرَاغِ الْهَوَاءِ، تَصِلُ لِمَسَافَةٍ كَبِيرَةٍ، وَلَكِنْ إِنْ وَقَعَ
جَسْمٌ صَغِيرٌ عَلَى مَزْمَى الْبَصَرِ فَإِنَّهَا كَمِثْلِ وَمِیْضٍ
مُتَدَفِقٍ تَصْطَدِمُ بِهِ^{٨٢}، وَتَرْتَدُّ لِلْخَلْفِ وَتُعَاوِدُ ثَانِيَةً.
أَمَّا عُيُونُ النَّفْسِ وَإِنْ كَانَتْ تَصْطَدِمُ بِحَوَائِطٍ أَوْ
أَسْوَارٍ أَوْ جِبَالٍ ضَخْمَةٍ، أَوْ حَتَّى بِتِلْكَ الْأَجْرَامِ

^{٨٢} قديمًا كانت هناك نظرية بأن ظاهرة الرؤية تكمن في أن العين تُرسل شعاعًا رقيقًا
مستمرًا، وهذه الفكرة موجودة عند أفلاطون والعالم اليوناني Θεόφραστος ثيوفراستس
(القرن ٤ و ٣ ق.م.)، كما يذكر المترجم الفرنسي Dumortier.

السَّمَانِيَّةِ، فَإِنَّهَا تَمُرُّ بِسُهُولَةٍ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ.
ولَكِنْ حَتَّى مَعَ هَذِهِ السَّرْعَةِ وَالْفِطْنَةِ الَّتِي تُمَيِّزُ
النَّفْسَ، لَكِنَّهَا لَا تَمْلِكُ فِي ذَاتِهَا وَحُذَاهَا الْاِكْتِفَاءَ
الذَّاتِي لِفَهْمِ الْأُمُورِ السَّمَائِيَّةِ، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ يَقُودَهَا
شَخْصٌ مَا.

الدُّخُولُ لِلْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ

إِذِنْ فَلْنَعْمَلْ مَا يَفْعَلُهُ أَوْلَاكَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ
أَنْ يُشَاهِدُوا الْقُصُورَ الْمُلُوكِيَّةَ. فَمَاذَا يَفْعَلُ أَوْلَاكَ يَا
تُورِي؟ فَبَعْدَ أَنْ يَسْأَلُوا عَنْ ذَلِكَ الَّذِي قَبْلَ اثْنَيْنِ عَلَى
مَقَابِلَيْهِ (الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ)، يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ
وَيَتَرَجَّوْنَ وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَرَّاتِ يُعْطُونَهُ أَمْوَالًا كِي
يُقَدِّمَ لَهُمْ هَذِهِ الْخِدْمَةَ (أَيُّ مُشَاهَدَةٍ بِهِاءٍ هَذَا الْقَصْرِ).
إِذِنْ لَيَنْتَهِ، نَذْهَبُ نَحْنُ أَيْضًا لِوَاحِدٍ مِنْ أَوْلَاكَ الَّذِينَ
أَوْثَقُوا عَلَى الْقُصُورِ السَّمَائِيَّةِ، وَلِنَتَّخِذَتْ إِلَيْهِ
وَنَتَرَجَّاهُ وَبَدَلًا مِنْ تَقْدِيمِ الْمَالِ فَلْنُظْهِرِ اسْتِعْدَادًا
وَرَغْبَةً أَمِينَةً، وَعِنْدَمَا يَأْخُذُ ذَلِكَ هَذَا الْأَجْرَ (أَيُّ
رَغْبَتِنَا الْأَمِينَةِ)، فَسَوْفَ يَأْخُذُنَا مِنْ يَدِنَا وَيَتَجَوَّلُ بِنَا

فِي كُلِّ مَكَانٍ وَسَوْفَ يُرِينَا لَيْسَ فَقَطِ الْقَصْرَ بَلْ
أَيْضًا الْمَلِكَ ذَاتَهُ وَهُوَ جَالِسٌ، حَيْثُ الْقَوَاتُ حَاضِرَةٌ
وَرُؤَسَاءُ الْقَوَاتِ مَوْجُودُونَ وَالْمَلَائِكَةُ رِبَواتُ
وَرُؤَسَاءُ الْمَلَائِكَةُ أَلُوفًا، سَوْفَ يُرِينَا كُلَّ شَيْءٍ
بِالْتَفَاصِيلِ، عَلَى قَدْرِ اسْتَطَاعَتِنَا أَنْ نَرَى! فَمَنْ هُوَ
إِذَنْ يَا ثَرَى؟ مَنْ هُوَ هَذَا الَّذِي قَدْ أُوتِمِنَ عَلَى الْقِيَامِ
بِهَذَا الدَّوْرِ، الَّذِي تُرِيدُهُ أَنْ يُدْخِلَنَا الْآنَ (إِلَى
الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ)؟ إِنَّهُ إِشْعِيَاءُ النَّبِيِّ، ذُو الصَّوْتِ
الْجَهْرِيِّ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ،^{٨٤} فَمَنْ الضَّرُورِيُّ إِذَنْ أَنْ
نَتَحَدَّثَ مَعَهُ، وَلَكِنْ لِنَتَّبِعُوهُ بِوَتِيرَةٍ مُعْتَدِلَةٍ وَلِنَسِيرُوا
مَعَهُ بِهَدْوٍ تَامٍ، فَلَا يَقُلْ أَحَدٌ أَنَّ عِنْدَهُ اهْتِمَامَاتٍ
دُنْيَوِيَّةً، أَوْ أَنَّ عِنْدَهُ شِكْوكًا، أَوْ خَوْفًا وَلَكِنْ لِنَدْخُلْ
كُنُفَا أَيِّ الدَّاخِلِ، بَعْدَ أَنْ نَكُونَ قَدْ طَرَحْنَا كُلَّ
شَيْءٍ خَارِجًا عِنْدَ الْأَبْوَابِ الْخَارِجِيَّةِ الْأُولَى، [لأننا

^{٨٤} "ὁ τῶν προφητῶν μεγαλοφωνότατος." أي ذُو الصَّوْتِ الْأَعْظَمِ

لِلْأَنْبِيَاءِ، كِنَانِيَّةٌ عَنْ وُضُوحِ نُبُوَاتِهِ عَنِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَتَقْدِيمِهَا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ.

نَدْخُلُ قَصْرَ السَّمَاوَاتِ، وَنَطَأُ الْأَمَاكِنَ الْمُتَلَايِنَةَ^{٨٥}،
أَمَّا الدَّاحِلُ فَهُوَ مُغْلَفٌ بِالصَّمْتِ وَبِاسْتِرَارٍ لَا
تُوصَفُ!

مَشْهَدُ الرُّوْيَا وَجَلَالُ الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ

٢- وَلَكِنْ إعْطُوا انْتِبَاهَهَا خَاصًّا، لِأَنَّ
الْقِرَاءَاتِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ هِيَ نَافِذَةٌ عَلَى
السَّمَاوَاتِ. إِذْ يَقُولُ: «فِي سَنَةِ وَقَاةٍ عَزِيًّا الْمَلِكِ،
رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ،
وَأَذْيَالُهُ تَمْلَأُ الْهَيْكَلَ»^{٨٦}. هَلْ تَرَى لُطْفَ هَذَا الْعَبْدِ
الْحَكِيمِ؟ فَقَدْ قَادَنَا مُبَاشَرَةً إِلَى الْعَرْشِ الْمَلُوكِيِّ، ذُوْنَ
أَنْ يَجْعَلَنَا نَتَجَوَّلُ قَبْلَهَا فِي الْمَمَرَاتِ الطَّوِيلَةِ بَلْ فِي
نَفْسِ الْوَقْتِ فَتَحَ لَنَا الْأَبْوَابَ وَأَحْضَرَنَا أَمَامَ الْمَلِكِ
حَيْثُ يَجْلِسُ: «السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ قَوْقُهُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ
سِتَّةُ أَجْنَحَةٍ، بِاثْنَيْنِ يُعْطَى وَجْهَهُ، وَبِاثْنَيْنِ يُعْطَى
رِجْلَيْهِ، وَبِاثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهَذَا نَادَى ذَلِكَ وَقَالَ:

^{٨٥} الأَقْوَامُ فِي النِّصِّ الْأَصْلِيِّ بِخَسْبِ SC.

^{٨٦} اش ٦: ١

العظة الثانية

«فُدُوسٌ، فُدُوسٌ، فُدُوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مَلَأَ كُلَّ الْأَرْضِ»^{٨٧} بِالْحَقِيقَةِ هُوَ فُدُوسٌ لِأَنَّهُ جَعَلَ طَبِيعَتَنَا مُسْتَحِقَّةً هَذِهِ الْأَسْرَارَ الْكَثِيرَةَ وَالْعَظِيمَةَ، وَصَيَّرَنَا شُرَكَاءَ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تُوصَفُ^{٨٨}، لَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَى الْفَرْعِ وَالرِّعْدَةِ (الْمُقَدَّسَةِ) فِي أَنْتَاءِ إِنْشَادِ هَذِهِ التَّسْبِيحَةِ، وَمَا يَدْعُو لِلْعَجَبِ أَنَّ هَذَا يَحْدُثُ لِي أَنَا الطِّينُ الْمَصْنُوعُ مِنْ تُرَابٍ، فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي فِيهَا حَتَّى الثَّقَوَاتُ السَّمَائِيَّةُ تَأْخُذُهَا الدَّهْشَةُ الْعَظِيمَةُ وَالذَّائِمَةُ؟ لَئِنْ كَانَ يُسَدِّدُونَ وَجُوهَهُمْ وَيُعْطُونَهَا بِأَجْنِحَتِهِمْ كَمِثْلِ سَائِرٍ، لَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ تَحْمُلَ اللَّمَعَانِ الْمُتَبَعَاتِ مِنْ هُنَاكَ. وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْمَشْهَدَ (الرُّوْيَا) - كَمَا يُقَالُ - كَانَ يُمَثِّلُ تَنَازُلًا (لِلطَّبِيعَةِ الْإِلَهِيَّةِ)^{٨٩}. فَلِمَ إِذَنْ لَا يَحْتَمِلُونَ؟ فَهَلْ تَسْأَلُنِي أَنَا

^{٨٧} أش ٦: ٣٠٢

^{٨٨} التعبير باليونانية: ἀπορρήτων κοινωνούς.

^{٨٩} التعبير باليونانية "συγκατάβασις" يَعْنِي التَّنَازُلَ وَالتَّسَامُخَ، فَالْمَقْصُودُ أَنَّ رُؤْيَا إِسْتِغْيَاءِ اللَّهِ هِيَ مِنْ قِبَلِ تَنَازُلِ الطَّبِيعَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي لَا تُرَى، وَتَسَامُجِهَا مَعَ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ الْبَشَرِيَّةِ، كَيْ يَسْتَطِيعَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُعَايِنَ اللَّهَ.

العظة الثانية

ذلك؟! سَلْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَفْخَصُوا الطَّبِيعَةَ
غَيْرَ الْمَوْصُوفَةِ وَغَيْرَ الْمُقْتَرِبِ مِنْهَا، أَوْلَئِكَ الَّذِينَ
يَتَجَرَّأُونَ عَلَى مَا لَا يُمَكِّنُ التَّجَرُّؤُ عَلَيْهِ. فَالسَّرَافِيمُ
لَمْ يَسْتَطِيعُوا وَلَا حَتَّى أَنْ يَنْظُرُوا فَعَلَّ تَنَازُلُهُ هَذَا،
بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ تَجَاسَرَ أَنْ يَتَكَلَّمَ أَوْ بِالْحَرِيِّ أَنْ يُفَكِّرَ
بِعَقْلِهِ، فِي أَنَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَتَطَّلَعَ بِدِقَّةٍ وَوُضُوحٍ إِلَى تِلْكَ
الطَّبِيعَةِ (الْإِلَهِيَّةِ) الْبَسِيطَةِ^{٩١}،^{٩٢} فَاقْشَعِرْ أَيْتُهَا
السَّمَاوَاتُ وَتَحْيِرْ أَيْتُهَا الْأَرْضُ^{٩٣}، فَهَذِهِ الْجَرَاةُ
أَكْبَرُ مِنْ تِلْكَ (الَّتِي لِلْوَثْنِيِّينَ)، فَمَا كَانَ يَرْتَكِبُونَهُ
أَوْلَئِكَ (الْوَثْنِيُّونَ) مِنْ عَدَمِ وَرَعٍ آنَدَاكَ، يَفْعَلُهُ بِالْمِثْلِ

^{٩١} التَّعْبِيرُ بِالْيُونَانِيَّةِ τὴν φύσιν τὴν ἀκραίφνην يَعْنِي الطَّبِيعَةَ النَّقِيَّةَ أَوِ الْبَسِيطَةَ،
فَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْجَوْهَرَ الْإِلَهِيَّ بَسِيطٌ وَغَيْرُ مُرَكَّبٍ، وَهَذَا عَلَى عَكْسِ الْكَائِنَاتِ الْمَخْلُوقَةِ الَّتِي
تَتَّصِفُ بِأَنَّهَا مِنْ طَبَائِعٍ مُرَكَّبَةٍ وَبِالذَّالِي فَهِيَ عَرَضَةٌ لِلْإِنْجِلَالِ وَالتَّفَكُّكِ.

هنا يُحَارِبُ الْقُدِّيسُ دَهْبِيَّ الْقَمِ ثَعَالِيمِ إِفْلُومْيُوسَ الَّذِي عَلَّمَ بِأَنَّ اللَّهَ يُمَكِّنُ إِذْرَاكَهُ فِي
جَوْهَرِهِ، وَقَدْ أَلْقَى عِدَّةَ عِظَاتٍ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ. انْظُرْ كِتَابَ: الْقُدِّيسُ يُوحَنَّا دَهْبِيَّ الْقَمِ،
"اللَّهُ لَا يُمَكِّنُ إِذْرَاكَهُ" ضِدَّ الْأَتُومِيِّينَ، الْجُزْءُ الْأَوَّلُ، تَرْجَمَةُ الْقُمْصِ مَرْفُورِيُوسِ الْأَنْبَا
بِيْشُوي، النَّاشِرُ مُؤَسَّسَةُ الْقُدِّيسِ يَاسِيْلْيُوسَ، ٢٠٠٨.

^{٩٢} النص التقليدي PG يضيف بعد ذلك "غير المنظورة حتى من السرافيم".

^{٩٣} انظر أر ٢: ١٢

هَؤُلَاءِ النَّاسُ (مِنَ الْهَرَاطِيقَةِ) أَيْضًا الْيَوْمَ، لِأَنَّهُمْ
بِالْمَثَلِ يَعْْبُدُونَ أَيْضًا الْمَخْلُوقَ، وَلَكِنَّ مَا يَتَخِيلُونَهُ
الْيَوْمَ لَا أَحَدٌ قَدْ جَرُّوْا أَنْذَاكَ أَنْ يَتَحَدَّثَ بِهِ أَوْ حَتَّى
أَنْ يَسْمَعَهُ^{٩٣}. فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَكَانَ الْمَشْهَدُ (الرُّوْيَا)
نَوْعًا مِنَ التَّنَازُلِ؟ بِالْفِعْلِ كَانَ نَوْعًا مِنَ التَّنَازُلِ
وَلَكِنَّهُ تَنَازُلٌ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَانِيَالُ الَّذِي
يَمْلُكُ دَالَةً كَبِيرَةً عِنْدَ اللَّهِ، لَمْ يَحْتَمِلْ أَنْ يَرَى مَلَكًَا
يَتَنَازَلُ (بِظُهُورِهِ) لَهُ، وَلَكِنَّهُ سَقَطَ، وَأُطْرَحَ
مُنْبَطِحًا، وَأَخْلَتْ أَوَاصِرُ جَسَدِهِ مِنْ ذَلِكَ اللَّعَانِ،^{٩٤}
فَمَا الْعَجَبُ أَنْ كَانَ السَّرَافِيمُ قَدْ شَعَرُوا بِهِؤُلُ
الْمُفَاجَأَةِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَحْتَمِلُوا أَنْ يَنْظُرُوا ذَلِكَ الْبَرِيقَ؟

^{٩٣} يَفْقَهُ الْقَدِيسُ يُوْحَنَّا ذَهَبِي الْفَمَ مُقَارَنَةً بَيْنَ قَرِيقَيْنِ مِنَ النَّاسِ، مُسْتَحْدِمًا كَعَادَتَهُ أَسْمَاءَ
الْإِشَارَةِ لِلتَّعْبِيدِ وَالْقَرِيبِ (أَوَّلُكَ ΕΚΕΙΝΟΙ وَهَؤُلَاءِ ΟΥΤΟΙ) ذُونَ أَنْ يُصْرَخَ بِأَسْمَائِهِمْ،
وَأَغْلَبَ الظَّنُّ أَنَّهُ يَقْصُدُ مُقَارَنَةَ الْوَشَّيْتَيْنِ مِنْ جِهَةٍ، بِالْهَرَاطِيقَةِ مِنْ أَتْبَاعِ إِفَنُومِيُوسِ
الْمُعَاصِرِينَ لَهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. وَرُبَّمَا كَانَ يَقْصُدُ مُقَارَنَةَ قَرِيقَيْنِ كِلَاهُمَا مِنَ الْهَرَاطِيقَةِ
الْقِدَامِيِّ وَالْمُحْدِثِينَ، وَهُمَا الْأَرْتُوسِيُوسِيُونَ مِنْ جِهَةٍ، وَالْقَرِيقُ الْآخَرُ أَتْبَاعُ إِفَنُومِيُوسِ.
^{٩٤} انْظُرْ دَا ١٠: ٨-٩ " وَرَأَيْتُ هَذِهِ الرُّؤْيَا الْعَظِيمَةَ. وَلَمْ تَبَقْ فِي قُوَّةٍ، وَنَضَارَتِي
تَحَوَّلَتْ فِيَّ إِلَى فُسَادٍ، وَلَمْ أَضْبِطْ قُوَّةً. وَسَمِعْتُ صَوْتَ كَلَامِهِ. وَلَمَّا سَمِعْتُ صَوْتَ كَلَامِهِ
كُنْتُ مُسَبِّحًا عَلَى وَجْهِهِ، وَوَجْهِي إِلَى الْأَرْضِ."

لأنه لا يُوجَدُ اخْتِلَافٌ كَبِيرٌ بَيْنَ دَانِيَالٍ وَالْمَلَائِكَةِ
مُقَارَنَةً بَيْنَ اللَّهِ وَقُوَّاتِهِ تِلْكَ. وَلَكِنِّي لَا نُبْهَرُ أَنْفُسَكُمْ
بِاسْتِمْرَارِ الْحَدِيثِ عَنْ تِلْكَ الْعَجَائِبِ، فَدَعُونَا نَعَاوِدُ
الْحَدِيثَ مِنَ الْبِدَايَةِ، وَأَنْ نَقُودَ أَنْفُسَكُمْ بِالْأَقْوَالِ
وَالْأَحَادِيثِ الْعَادِيَةِ.

أَهْمِيَّةُ تَأْرِيخِ الزَّمَنِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ

" فِي سَنَةٍ وَقَاةٍ عَزِيًّا الْمَلِكِ ...^{٩٥} يَجْدُرُ بِنَا
أَوَّلًا أَنْ نَفْخَصَ لَأَيِّ سَبَبٍ يَذْكُرُ النَّبِيُّ الزَّمْنَ، لِأَنَّهُ
لَا يَذْكُرُ ذَلِكَ اغْتِبَاطًا أَوْ عِبْثًا، لَأَنَّ أَقْوَاهُ الْأَنْبِيَاءِ
تُمَثِّلُ فَمَ اللَّهِ، وَهَذَا الْقَمُ لَا يَنْطِقُ شَيْئًا عِبْثًا، لِذَلِكَ
فَعَلِينَا أَلَا نَسْمَعُ هَذَا الْقَوْلَ كَوْنَهُ أَمْرًا هَامِشِيًّا، لَأَنَّ
الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ الْمَعَايِنَ (النَّفِيسَةَ)، لَا يَتَجَاهَلُونَ
وَلَا حَتَّى الشَّدَرَاتِ الصَّغِيرَةِ، وَلَكِنَّ عِنْدَمَا يَجِدُونَ
بَعْضَ الذَّهَبِ بَيْنَ الشَّوَائِبِ، يَبْحَثُونَ بِكُلِّ هِمَّةٍ بَيْنَ
أَلْيَافِهِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ فِيمَا
يَخُصُّ الْكِتَابَ الْإِلَهِيَّةَ؟ فَإِنْ كَانَ فِي حَالَةٍ

(اسْتِخْرَاجِ) الْمَعَادِنِ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّ الْعُثُورَ عَلَيْهَا صَعُبٌ لِلْغَايَةِ جِدًّا لِمَنْ يَبْحَثُ عَنْهَا، لِأَنَّ الْمَعَادِنَ هِيَ تُرَابُ الْأَرْضِ بَلْ وَالذَّهَبُ أَيْضًا لَيْسَ شَيْئًا آخَرَ سِوَى أَنَّهُ تُرَابُ الْأَرْضِ أَيْضًا، وَالتَّشَابُهُ الطَّبِيعِيُّ بَيْنَهُمَا يَخْدَعُ نَظَرَ الْبَاحِثِينَ عَنْهُ. وَلَكِنَّهُ بِالرُّغْمِ مَنْ ذَلِكَ لَا يَكْفُونَ عَنْ الْبَحْثِ عَنْهُ بَلْ يَبْذُلُونَ كُلَّ مَا بَوَسَعَهُمْ مِنْ انْتِبَاهٍ وَيَمْعِنُونَ النَّظَرَ حَتَّى يَعْرِفُونَ مَا هُوَ ذَهَبٌ مِمَّا هُوَ تُرَابٌ. وَلَكِنْ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ ذَهَبًا مَخْلُوطًا بِالتُّرَابِ بَلْ هُوَ ذَهَبٌ نَقِيٌّ "كَفِضَةٌ مُصَفَّاءَةٌ فِي بُوْطَةٍ فِي الْأَرْضِ"،^{٩٦} لِأَنَّ الْكِتَابَ (الْمُقَدَّسَةَ) لَيْسَتْ مَعَادِنٌ تَحْتَاجُ لِلْمُعَالَجَةِ، وَلَكِنَّهَا كُنْزٌ جَاهِزٌ يَمْنَحُ الْبَاحِثِينَ عَنْهُ الْغَنَى، لِأَنَّهُ يَكْفِي أَنْ نَجْلِسَ وَعِنْدَمَا نَشْبَعُ مِنَ الْفَائِدَةِ نَرْحَلُ، فَيَكْفِي فَقَطُ أَنْ نَفْتَحَهَا وَأَنْ نَرَى عَلَى الْقَوْرِ إِشْعَاعَاتِ الْأَحْجَارِ

^{٩٦} مز ١٢: ٦ هكذا في النسخة المحققة SC في النص التقليدي PG يرد قبلها بداية

الآية: "كَلَامُ الرَّبِّ كَلَامٌ نَقِيٌّ..."

الكَرِيمَةِ.

مَا أَقُولُهُ هَذَا لَمْ أَقُلْهُ اعْتِبَاطًا، وَلَا أَطِيبُ
الْحَدِيثَ عَبَثًا، وَلَكِنْ لِأَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ مِنَ النَّاسِ
جُهَلَاءُ يَأْخُذُونَ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَيَجْذُونَ
أَرْقَامَ تَوَارِيخٍ أَوْ سِجَلَاتٍ لِأَسْمَاءٍ، يَتَجَاوَزُونَهَا
وَيَقُولُونَ لِمَنْ يَلُومُهُمْ عَلَى ذَلِكَ: هِيَ فَقَطْ مُجَرَّدُ
أَسْمَاءٍ وَلَيْسَ فِيهَا أَيُّ فَائِدَةٍ. مَاذَا تَقُولُ؟ اللَّهُ يَتَحَدَّثُ
وَأَنْتَ تَتَجَسَّسُ أَنْ تَدَّعِي أَنَّهُ مَا مِنْ فَائِدَةٍ مِنْ تِلْكَ
الْأَقْوَالِ؟ فَإِنَّكَ إِنْ رَأَيْتَ مُجَرَّدَ عَنَوَانٍ بَسِيطٍ أَلَا
تَتَوَقَّفُ بِاهْتِمَامٍ حَتَّى تُفَسِّرَ الْغَنَى الَّذِي يُوجَدُ فِي
مُحْتَوَاهُ؟ أَجِبْنِي! وَلَكِنْ مَا هُوَ سَبَبُ الْحَدِيثِ عَنْ
الْأَزْمِنَةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْكِتَابَاتِ؟ فَلْتَتَعَلَّمِ إِذَنْ أَهْمِيَّةَ عَدَدِ
وَاحِدٍ (مِنْ الْكُتَابِ) أَوْ إِضَافَةِ حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَلْتَتَوَقَّفِ
عَنْ أَنْ تَزْدَرِي كُلَّ الْأَسْمَاءِ، فَأَبْوْنَا الْبَطْرِيَرَكُ
إِبْرَاهِيمَ، - لِأَنَّهُ يَلِيقُ بِنَا نَحْنُ أَكْثَرُ مِنَ الْيَهُودِ (أَنْ
نَدْعُوهُ أَبَانَا)^{٩٧} - فِي الْبِدَايَةِ كَانَ يُدْعَى أَبِرَامَ، الَّذِي

^{٩٧} كَانَتْ الْمُجَادَلَاتُ بَيْنَ الْمَسِيحِيِّينَ وَالْيَهُودِ مُنْتَشِرَةً فِي أَنْطَاكِيَةِ آنَذَاكَ، وَقَدْ قَدَّمَ ذَهَبِي

العظة الثانية

تَفْسِيرُ اسْمِهِ يَغْنِي الْعَابِرَ^{٩٨} وفيما بَعْدُ دُعِيَ بِإِبْرَاهِيمَ
وَصَارَ أَبًا لِكُلِّ الْأُمَمِ، وَإِضَافَةُ حَرْفٍ وَاحِدٍ (لِلْإِسْمِ)
أَعْطَى الْبَارَ سُلْطَةً عَظِيمَةً^{٩٩}، لِأَنَّهُ مَثَلَمَا يُعْطَى
الْمُلُوكُ لِاتِّبَاعِهِمْ مِنَ الْوُلَاةِ مَنْشُورَاتٍ عَلَى أَلْوَاحٍ
مِنْ ذَهَبٍ^{١٠٠} كَرَمَزَ لِلْسُلْطَةِ، هَكَذَا اللَّهُ أَعْطَى حِينَئِذٍ
حَرْفًا مَكْتُوبًا لَذَلِكَ الْبَارِ كَرَمَزَ لَتَكْرِيمِهِ.

٣- أَمَّا فِيمَا يَخُصُّ مَوْضُوعَ الْأَسْمَاءِ (فِي
الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ) فَسَوْفَ أَتَكَلَّمُ عَنْهُ فِي وَقْتٍ
لَا حَقَّ^{١٠١}، وَلَكِنَّ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ عَنْ كَمْ
هُوَ مُفِيدٌ مَعْرِفَةَ التَّوَارِيخِ الزَّمَنِيَّةِ وَكَمْ هُوَ الضَّرَرُّ

الفم الكثير من المجاذلات ضدّهم انظر مثلاً تفسيره على (رو ١٦-١٧).

^{٩٨} باليونانية περάτης

^{٩٩} تك ١٧: ٥ فقد تغير الاسم من Αβράμ إلى Αβραάμ بإضافة حرف α واحد
^{١٠٠} Δέλτοι كانت عبارة عن ألواح مزدوجة أو على ثلاثية الأعمدة، وكان الأباطرة
يكتبون فيها منشوراتهم، وعرفت باسم δίπτυχα أو τρίπτυχα.

^{١٠١} ألقى القديس يوحنا ذهبي الفم ٤ عظات عن هذا الموضوع في PG 51, 113
156، وقد أشغل العالم اليهود فيللو بهذا الأمر من قبل القديس يوحنا :

Le De mutatione nominum, éd. Arnaldez, in «Les œuvres de
Philon» 18, Paris, 1964.

عِنْدَمَا نَجْهَلُهَا، وَقَبْلَ أَيِّ شَيْءٍ سَوْفَ أُوضِحُ لَكُمْ عَنْ طَرِيقِ الْأُمُورِ الْحَيَاتِيَّةِ، مِثْلَ الْوَصَايَا وَوَتَائِقِ الزَّوْاجِ وَالْمَذْيُونِيَّاتِ وَالْعُقُودِ الْأُخْرَى، إِنْ لَمْ يَكُنْ مُدَوَّنًا عَلَيْهِمْ مِنَ الْبِدَايَةِ التَّارِيخِ فَلَا قِيَمَةَ لَهَا. فَهَذِهِ التَّوَارِيخُ هِيَ الَّتِي تُعْطِي الْوَثِيقَةَ قِيَمَةً فَأَعْلَهُ وَتَقْضِي عَلَى الْمُنَازِعَاتِ، وَتُجَنِّبُ (النَّاسَ) الْمَحَاكِمَ، فَتَجْعَلُ الْأَعْدَاءَ أَصْدِقَاءَ. لِذَلِكَ مَنْ يَكْتُبُونَ هَذِهِ التَّوَارِيخَ- وَكَأَنَّهَا سِرَاجٌ عَلَى شَمْعِدَانٍ- يُدَوِّنُونَ التَّارِيخَ أَعْلَى الْوَثِيقَةِ، لِكَيْ يُبَيِّنُوا كُلَّ مَا هُوَ مُدَوَّنٌ أَسْفَلَهُ. وَمِنْ ثَمَّ فَإِنْ كُنْتَ تُدِينُ هَذَا الْأَمْرَ فَكَأَنَّكَ تُدِينُ النُّورَ وَتَمْلَأُ كُلَّ شَيْءٍ بِالظَّلَامِ وَالْاضْطِرَابِ الْعَظِيمِ، لِذَلِكَ فَكُلُّ صَفْقَةٍ (عَمَلِيَّةِ شِرَاءٍ أَوْ بَيْعٍ)، سَوَاءٌ كَانَتْ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ، أَوْ مَعَ الْأَعْدَاءِ، أَوْ مَعَ الْخُدَّامِ، أَوْ مَعَ الْمُفَوَّضِينَ (الْوُكَلَاءِ) وَالْإِدَارِيِّينَ، تَحْتَاجُ لِمِثْلِ هَذَا الضَّمَانِ، وَدَائِمًا نُدَوِّنُ فِي ذَيْلِ الْوَثِيقَةِ الشُّهُورَ وَالْأَعْوَامَ وَالْأَيَّامَ. فَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ (التَّارِيخُ الزَّمَنِي) فِي الشُّبُونِ الْحَيَاتِيَّةِ بِهِذِهِ الْأَهْمِيَّةُ الْقُسْوَى، فَكَمْ هُوَ أَكْثَرُ أَهْمِيَّةً وَقَانِدَةً بِالنِّسْبَةِ لِلْأُمُورِ الرُّوحِيَّةِ.

لأنَّ هَذَا يُظْهِرُ أَنَّ النِّبُوءَاتِ هِيَ نِبُوءَاتٌ. فَالنَّبُوءَةُ لَيْسَتْ شَيْئًا آخَرَ سِوَى إِعْلَانِ مُسَبِّقٍ لِلْأُمُورِ الَّتِي مِنَ الْمُنتَظَرِ حُدُوثُهَا، وَبِالتَّالِي مَنْ يَتَجَاهَلُ أَزْمَنَةَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي قَدْ قِيلَتْ أَوْ الَّتِي حَدِثَتْ، فَكَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُبْرِهِنَ عَلَى مَدَى قِيَمَةِ تِلْكَ النَّبُوءَاتِ لِمَنْ يَشْكِكُ فِيهَا؟ وَمِنْ أَيْنَ تَأْتِي صِرَاعُنَا وَانْتِصَارُنَا عَلَى الْأُمَمِ، عِنْدَمَا نَزْعُهُمْ أَنْ مَا عِنْدَنَا أَقْدَمُ مِمَّا لَدَيْهِمْ، وَمَا هِيَ أَذَلَّتُنَا عَلَى الْحَقِّ أَمَامَ الْيَهُودِ، الْيَهُودِ الْبَائِسِينَ وَالْأَرْدِيَاءِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ لِلْأَزْمَنَةِ وَقَعُوا فِي خَطَأٍ جَسِيمٍ. لَأَنَّهُمْ لَوْ سَمِعُوا قَوْلَ رَأْسِ الْأَبَاءِ (الْبَطْرِيَرِكِ) (يَعْقُوبَ): " لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرَعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شَيْلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعٌ شُعُوبٍ."^{١٠٢} وَلَوْ تَحَقَّقُوا بِدَقَّةٍ أَزْمَنَةَ مَجِيئِهِ مَا كَانُوا انْفَصَلُوا عَنِ الْمَسِيحِ، وَمَا كَانُوا سَقَطُوا فِي (فِتْنَةٍ) ضِدَّ الْمَسِيحِ، كَمَا قَدْ قَالَ لَهُمُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ مَلْمَحًا عَلَيَّ ذَلِكَ قَائِلًا: "أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِاسْمِ أَبِي وَلَسْتُ مَلْمُوحًا

تَقْبَلُونَنِي. إِنَّ آتَى آخِرُ بِاسْمِ نَفْسِهِ فَذَلِكَ تَقْبَلُونَهُ. ١٠٣
أَرَأَيْتَ كَمْ هُوَ جُرْمٌ عَظِيمٌ يُمَكِّنُ أَنْ يَخْذُلَ بِسَبَبِ
الْجَهْلِ بِالْأَزْمَنَةِ؟

فَلَا تُهْمِلْ إِذَنْ فَائِدَةً عَظِيمَةً كَهَذِهِ، لِأَنَّهُ كَمَا
أَنَّ الْحُدُودَ وَسِيَّاحَ الْحُقُولِ لَا تَجْعَلُ الْحُقُولَ تَخْتَلِطُ
فِيمَا بَيْنَهَا، هَكَذَا الْأَزْمَنَةُ وَالْأَوْقَاتُ لَا تَتَرَكَ
الْأَحْدَاثَ أَنْ تَخْتَلِطَ فِيمَا بَيْنَهَا وَلَكِنَّهَا تَفْصِلُ بَيْنَهَا،
وَتَضَعُ كُلَّ حَدَثٍ فِي سِيَاقِهِ الَّذِي يَتَلَاءَمُ مَعَهُ، الْأَمْرُ
الَّذِي يُعْغِيْنَا مِنْ كَثَرَةِ اللَّعْطِ.

وَعَدٌ بِالْحَدِيثِ عَنْ عَزِّيَّا، وَاسْتِرَاحَةٌ قَصِيرَةٌ لِيَبْدَأَ الْمُعَلِّمُ
فِلَافِيَانُ عِظَتَهُ.

جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنْ أَحَدَيْتُكُمْ عَمَنْ هُوَ عَزِّيَّا هَذَا؟
وَمَتَى قَدْ مَلَكَ؟ وَكَمْ مِنَ الْوَقْتِ قَدْ أَمْضَى فِي الْحُكْمِ؟
وَكَيْفَ انْتَهَتْ حَيَاتُهُ؟ وَسَوْفَ يَكُونُ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ
نَلْزِمَ الصَّمْتَ. لِأَنَّهُ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ نَبْدَأَ الْحَدِيثَ

فِي مَحِيطٍ غَيْرِ مُنْتَهٍ مِنَ التَّارِيخِ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ
يَرْغَبُونَ فِي أَنْ يَبْحَرُوا فِي مِثْلِ هَذَا الْمُحِيطِ، فَعَلَيْهِمْ
أَنْ يَبْدَأُوا الطَّرِيقَ لَيْسَ مَعَ بَحَارَةٍ مُنْهَكِينَ بَلْ مَعَ مَنْ
هُمْ فِي كَامِلِ عَافِيَتِهِمْ. لِذَلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي الْبَحْرِ
تَنَنَّاثُرُ الْمَوَانِي وَالْجُزُرُ، حَتَّى يَأْخُذَ الرُّبَانُ وَالْبَحَارَةُ
قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ، وَاحِدٌ يَضَعُ الْمَجْدَافَ جَانِبًا وَآخَرُ
يَتْرُكُ دَفْعَةَ الْقِيَادَةِ. لِهَذَا السَّبَبِ ابْتُكِرَتِ الْفَنَائِقُ
الصَّغِيرُ وَأَمَاكِنُ الْأَقَامَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلَى الطَّرِيقِ،
حَتَّى يَزْتَاحَ كُلُّ الدَّوَابِّ الْمُحْمَلَةِ بِالْبَضَائِعِ
وَالْمُسَافِرُونَ مِنْ أَتْعَابِهِمْ، وَبِالْمِثْلِ فِي كَلِمَةِ التَّعْلِيمِ
يُعَيَّنُ وَقْتُ الصَّمْتِ، لَكِي لَا نَتَّعِبَ نَحْنُ مِنَ الْحَدِيثِ
وَلَكِي لَا نُرهِّقُكُمْ أَيْضًا بِكَلَامِنَا، وَهَذَا الْوَقْتُ قَدْ
تَحَدَّثَ عَنْهُ سُلَيْمَانُ الَّذِي قَالَ: " لِلْسُّكُوتِ وَقْتُ
وَلِلتَّكَلُّمِ وَقْتُ. " ١٠٤

فَيَجِبُ أَنْ يُوجَدَ وَقْتُ الصَّمْتِ حَتَّى يَجُودَ فِيهِ

المُعلِّم^{١٠٥} وَقَتْنَا لِلْحَدِيثِ، لِأَنَّ مَا يَخْصُنَا يُشَبِّهِ الْخَمْرَ
الَّتِي تُجْلِبُ حَدِيثًا مِنْ أَوْعِيَةِ الْمَعَصَرَةِ بَيْنَمَا مَا
يَخْصُ الْمُعلِّمُ يُشَبِّهِ الْخَمْرَ الْقَدِيمَةَ وَالْمُعْتَقَةَ، الَّتِي
تُؤَفِّرُ فَائِدَةً أَكْبَرَ وَقُوَّةً لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، وَالْيَوْمَ
سَوْفَ نُنْطَبِقُ مَا قَالَهُ الْإِنْجِيلُ^{١٠٦}، بَعْدَ أَنْ يُقَدَّمَ
الْخَمْرُ الْأَقْلُ جَوْدَةً يُقَدِّمُ الْأَفْضَلَ، وَكَلِمَةُ الْوَعْظِ مِثْلُ
الْخَمْرِ لَا يُؤَلَّدُ مِنَ الْكَرَمَةِ وَلَكِنْ يَتِمُّ عَمَلُهَا مِنْ قُوَّةِ
الْمَسِيحِ، هَكَذَا أَيْضًا هَذِهِ الْعِظَةُ لَا يَصُنُّهَا عَقْلُ
بَشَرِيٍّ، وَلَكِنْ نِعْمَةُ الْمَسِيحِ، هَكَذَا أَيْضًا نَحِبُ الْخَمْرَ
وَفِيرًا وَرُوحِيًّا فَلْنَقْبَلْهُ بِحِمَاسَةٍ وَلِنَمْسِكْ بِهِ بِحَرِصٍ
حَتَّى نَكُونُ مَرْوَبِينَ بِهِ إِلَى الْأَبَدِ، لِنُؤْتِيَ ثَمَارَهَا
النَّاصِجَةَ لِهَذَا الَّذِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا، الَّذِي لَهُ كُلُّ مَجْدٍ
وَكِرَامَةٍ، مَعَ الْإِبْنِ الْوَحِيدِ وَالرُّوحِ الْكَلِيِّ الْقَدَّاسَةِ،
الآنُ وَكُلِّ آوَانٍ وَإِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ.

^{١٠٥} المقصود بالمعلم هنا هو الأسقف "فلافيان" أنظر المقدمة ص ٣٢.

^{١٠٦} راجع يو ٢: ٩-١٠

العظة الثالثة

عَنْ نَصِّ سَفَرِ أَخْبَارِ الْأَيَّامِ الَّذِي يَقُولُ: "وَارْتَفَع
قَلْبُ عَزْرِيَا"^{١٠٧} وَعَنِ الْإِنْتِصَاعِ، وَعَنْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى
الْإِنْسَانِ الصَّالِحِ (رَجُلِ الْفَضِيلَةِ)^{١٠٨} أَلَّا يَتَعَمَّدَ عَلَى
شَجَاعَتِهِ. وَعَنْ الْإِنَانِيَّةِ وَكَمْ هِيَ أَمْرٌ سَيِّئٌ.^{١٠٩}

مَدِيحٌ لِلشُّهَدَاءِ

١- مُبَارَكُ اللَّهِ، فَفِي جِيلِنَا قَدْ تَنَامَى عَدَدُ
الشُّهَدَاءِ^{١١٠}، وَقَدْ اسْتَحَقَّقْنَا نَحْنُ أَنْ نَرَى أَنْاسًا قَدَّمُوا
أَنْفُسَهُمْ ذَبِيحَةً لِأَجْلِ الْمَسِيحِ، وَأَنْاسًا سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ
الزَّكِيَّةُ لِتُرْوَى كُلُّ الْكَنِيْسَةِ، قَالَدُمُ الْمَسْفُوكُ لِلشَّيَاطِينِ
فَرْعٌ، وَلِلْمَلَائِكَةِ اسْتِنْيَاقٌ^{١١١}، أَمَا بِالنِّسْبَةِ لِنَسَا فَهُوَ

^{١٠٧} انظر: ٢ اخ ٢٦: ١٦

^{١٠٨} باليونانية: τον ενάρετον

^{١٠٩} بحسب نص SC ولكن في نص PG: "من الكتاب الأول لسفر أخبار الأيام الذي

يقول: "... وَإِنْ كَانَ النَّصُّ الْمَذْكُورُ مِنَ السَّفَرِ الثَّانِي وَلَيْسَ الْأَوَّلُ لِأَخْبَارِ الْأَيَّامِ!

^{١١٠} الْمُقْصُودُ اضْطِعْاضُ دَقْدَقِيَانُوسَ الَّذِي اسْتَمَرَ حَتَّى عَامِ ٣١٣ م.

^{١١١} الْمَلَائِكَةُ أَرْوَاحٌ لَا دَمَ لَهَا، وَالْمُقْصُودُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ لَهَا دَمٌ حَتَّى

تَسِفِكُهُ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ.

خَالَصُ، فَقَدْ صِرْنَا مُسْتَحِقِّينَ أَنْ نَرَى أَنْاسًا
يُجَاهِدُونَ لِأَجْلِ التَّقْوَى حَتَّى يُكَلَّلُونَ^{١١٢}، وَقَدْ
اسْتَحَقَّقْنَا لَيْسَ أَنْ نَرَاهُمْ فَحَسْبٍ، بَلْ أَنْ نَسْتَلِمَ أَجْسَادَ
هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدِينَ، فَالآنَ فِي حَوْرَتِنَا (رُقَاتٍ) أَوْلَئِكَ
الْمُكَلَّلِينَ. وَلَكِنْ لِنَتْرُكِ الْحَدِيثَ عَنِ الشَّهَدَاءِ وَعَنْ
غَيْرَتِهِمْ عَلَى حُبِّ مُعَلِّمِنَا كَلْنَا^{١١٣}.

تَمْهِيدٌ حَوْلَ الْحَدِيثِ عَنْ غَزِيًّا

أَمَّا مِنْ جِهَتِنَا نَحْنُ فَسَوْفَ نُحَدِّثُكُمْ عَمَّا يَخُصُّ
غَزِيًّا، فَإِنَّمَا نُوفِي لَكُمْ دُيُونَنَا الْقَدِيمَةَ^{١١٤}، وَنُلَبِّي أَسْوَاقَكُمْ
الْقَدِيمَةَ لِلِاسْتِمَاعِ، لِأَنَّنَا نَعْرِفُ أَنَّ كَثِيرِينَ مِنْكُمْ يَتَوَقَّفُونَ
لِسَمَاعِ تِلْكَ الْقِصَّةِ، وَهَذَا الْوَلَعُ نَرْغَبُ فِي أَنْ يَمْتَدَّ، وَلَسْنَا
نُرِيدُ أَنْ نُزِيدَ مُعَانَتَكُمْ بَلْ نَهْدِفُ أَنْ نُزِيدَ اشْتِيَاقَكُمْ، حَتَّى
نَجْعَلَكُمْ مَسْرُورِينَ بِطَعَامِنَا، لِأَنَّ الْأَثْرِيَاءَ مِنْ أَصْحَابِ
الْمَطَاعِمِ الَّذِينَ يَسْتَقْبِلُونَ ضَيْفُوقًا شَبْعَى، يُمَكِّنُهُمْ بِمَا قَدْ

^{١١٢} في PG : يُخَارِبُونَ لِأَجْلِ التَّقْوَى حَتَّى يَنْتَصِرُونَ وَيُكَلَّلُونَ ...

^{١١٣} المقصود هو الأب "فلافيان" الأسقف معلم القديس يوحنا ذهبي الفم.

^{١١٤} في العظة السابقة وعد القديس يوحنا المستمعين بالحديث عن غَزِيَّا الملك.

أَعَدُّوهُ بِتَرْفِهِمْ أَنْ يُنْتَبِرُوا شَهِيدَتَهُمْ، أَمَّا مَائِدَةُ الْفُقَرَاءِ فَلَا يَفْعَلُ فِيهَا أَيُّ شَيْءٍ حَتَّى تَظْهَرَ فَاخِرَةُ بَقْدَرٍ أَنْ يُقْبَلَ الْجَوْعَى الَّذِينَ يَشْتَهُونَ الْجُلُوسَ عَلَيْهَا.

سِيرَةُ عَزِّيَا

فَمَنْ هُوَ إِذَنْ عَزِّيَا؟ وَمِنْ أَيِّ نَسْلِ، وَمَنْ هُمُ الَّذِينَ مَلَكَ عَلَيْهِمْ؟ وَكَمْ مِنَ السِّنِينَ قَدْ مَلَكَ؟ وَمَاذَا كَانَتْ أَعْمَالُهُ؟ وَفِي أَيِّ شَيْءٍ قَدْ أَخْطَأَ؟ وَكَيْفَ انْتَهَتْ حَيَاتُهُ؟ كُلُّ هَذَا سَوْفَ أَخْبِرُكُمْ بِهِ الْآنَ، وَلَكِي لَا أَرْهَقُ ذَاكِرَتَكُمْ بِالْإِسْهَابِ بِطُوقَانٍ مِنَ الْكَلَامِ، فَانْفُسُ الشَّيْءِ يَخْدُثُ مَعَ لَهَبِ الْمَصْبَاحِ لِأَنَّهُ إِنْ تَمَّ تَنْقِيطُ الْوَهْجِ بِالزَّيْتِ بِجُرْعَاتٍ صَغِيرَةٍ، فَإِنَّهُ يُعْطَى ضَوْءًا وَلَكِنْ لَوْ تَمَّ سَكْبُ كَمِيَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الزَّيْتِ دَفْعَةً وَاحِدَةً فَسَوْفَ يَنْطَفِئُ الْوَهْجُ.

فَعَزِّيَا هَذَا كَانَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ، وَكَانَ مَلِكًا عَلَى الْيَهُودِ، وَقَدْ مَلَكَ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ عَامًا، وَقَدْ كَانَ لَهُ فِي أَغْوَامِهِ الْأُولَى لِلْحُكْمِ صِنِيتٌ حَسَنٌ غَيْرَ أَنَّهُ فِيمَا بَعْدَ قَدْ سَقَطَ فِي الْخَطِيئَةِ، لَاغْتِيَادِهِ أَنَّهُ

يُمْكِنُهُ أَنْ يَمْلُكَ سُلْطَةً أَعْظَمَ مِمَّا كَانَتْ لَهُ فَاتَّخَذَ
لِنَفْسِهِ سُلْطَةً كَهَوْتِيَّةً.

خَطِيئَةُ الْكِبْرِيَاءِ

فَالْكَبْرِيَاءُ هِيَ شَرُّ عَظِيمٍ لِأَنَّهَا تَمْنَعُ الْمَرْءَ
مَنْ أَنْ يُنْكِرَ ذَاتَهُ، وَتَجْعَلُهُ يُبْعَثِرُ كُلَّ الْكِنَزِ الَّذِي
اِقْتَنَاهُ بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ. فَالْفَقَائِصُ الْآخَرَى مِنْ
الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَتَسَلَّطَ عَلَيْنَا عِنْدَمَا نَكُونُ مُتَكَاسِلِينَ،
وَلَكِنْ تِلْكَ الْكِبْرِيَاءُ تَنْمُو عِنْدَمَا نَزْدَهْرُ (فِي الْحَيَاةِ
الرُّوحِيَّةِ). لِأَنَّهُ عَادَةٌ لَا يُولَدُ الْإِنَانِيَّةُ سِوَى الضَّمِيرِ
الصَّالِحِ حِينَئِذَا لَا تَنْقُطُ^{١١٥}، لِذَلِكَ فَالْمَسِيحُ وَهُوَ
عَارِفٌ أَنَّهُ بَعْدَ تَتَمِيمِ الْفَضَائِلِ يَأْتِي هَذَا الْأَلَمُ^{١١٦} فَإِنَّهُ
يَقُولُ لَتَلَامِيذِهِ: "مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَقُولُوا:

^{١١٥} المقصود أن الإنسان الصالح هو الذي يكون عرضة لسقوط في الكبرياء والإنانية
عن الإنسان الخاطئ.

^{١١٦} المقصود ألم الشهوة والكلمة اليونانية هي πάθος وهي ذات معانٍ كثيرة وتعني
الألم وتستخدم عند الآباء وبالأخص النساك منهم بمعنى الشهوة والهوى، وتترجم في
الكتابات السككية العربية القديمة بتعبير (الأوجاع). وعكسها كلمة ἀπαθία أي خالية
من الهوى.

إِنَّنَا عَبِيدُ بَطَّالُونَ" ^{١١٧}، فعندما يُحَاوِلُ الْوَحْشُ ^{١١٨} أَنْ يَتَسَلَّلَ إِلَيْكَ، حِينَئِذٍ مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ (الَّتِي قَالَهَا السَّيِّدُ الْمَسِيحُ)، أَغْلِقْ أَمَامَهُ الْأَبْوَابَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ شَيْءٍ فَأَنْتُمْ عَبِيدُ بَطَّالُونَ، بَلْ قَالَ: "فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدُ بَطَّالُونَ" ^{١١٩}، كَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكَ قُلْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ: أَنَا لَا أَحْكُمُ عَلَيْكَ مِنْ تَقْيِينِكَ الْخَاصِّ، لِأَنَّكَ إِنْ كُنْتَ تَقُولُ مَنْ تِلْقَاءِ ذَاتِكَ إِنَّنِي عَبْدٌ بَطَّالٌ، فَأَنْتِي سَوْفَ أَكُلُّكَ كِعَبِيدٍ صَالِحٍ، هَكَذَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُ: "حَدَّثْتُ أُنْتُ أَوَّلًا بِإِثْمِكَ حَتَّى تَنْبَرَّرَ" ^{١٢٠} فَبِحَسَبِ مُحَاكَمَاتِ (هَذَا الْعَالَمِ) الْخَارِجِيَةِ ^{١٢١}، بَعْدَ الْإِثْهَامِ وَإِعْتِرَافِ الْمُذْنِبِينَ يَأْتِي عِقَابُ الْمَوْتِ، وَلَكِنَّ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُحَاكَمَةِ الْإِلَهِيَةِ بَعْدَ

^{١١٧} لو ١٧: ١٠

^{١١٨} الْمُقْصُودُ بِالْوَحْشِ الْكِبْرِيَاءُ وَمُحَاوَلَتُهُ التَّسَلُّلَ إِلَى فِكْرِ الْإِنْسَانِ.

^{١١٩} لو ١٧: ١٠

^{١٢٠} إِنْش ٤٣: ٢٦ حَسَبُ التَّرْجَمَةِ السَّبْعِيَّةِ. بِحَسَبِ تَرْجَمَةِ فَاثِيك: "حَدَّثْتُ لَكِي

تَنْبَرَّرَ".

^{١٢١} أَيِ خَارِجِ الْكَنِيسَةِ وَالْمُقْصُودُ الْمُحَاكَمَاتُ الدُّنْيَوِيَّةُ.

الِإِتِهَامِ وَالِإِعْتِرَافِ يَأْتِي الْإِكْلِيلُ، لِذَلِكَ يَقُولُ
سُلَيْمَانُ: "لَا تُبْرِرْ نَفْسَكَ أَمَامَ الرَّبِّ" ١٢٢.

حَظِيئَةُ غُزِّيًّا فِي اغْتِصَابِ الْكَهَنُوتِ

وَلَكِنَّ غُزِّيًّا لَمْ يَسْتَمِعْ لِأَيِّ شَيْءٍ مِّنْ كُلِّ
هَذَا، بَلْ دَخَلَ إِلَى الْهَيْكَلِ وَكَانَ يَرْغَبُ فِي أَنْ يُبَخِّرَ،
دُونَ رَغْبَةِ الْكَاهِنِ الَّذِي نَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ. فَمَاذَا فَعَلَ
اللَّهُ؟ ضَرَبَهُ بِالْبَرَصِ فِي جَبْهَتِهِ، إِذْ عَاقَبَهُ بِالْخِزْيِ
فِي وَجْهِهِ، مُعَلِّمًا إِيَّاهُ أَنَّ الْقَضَاءَ إِلَهِيٌّ وَأَنَّ الْحَرْبَ
لَا تُوجَّهُ ضِدَّ إِنْسَانٍ، وَالْأُمُورُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِغُزِّيَّا هِيَ
كَالْآتِي.

لَنَنْقَظَ إِذْنًا لِنَفْخَصَ قِصَّتَهُ مِنَ الْبَدَايَةِ، وَلِذَلِكَ
فَقَدْ لَحَقْتُ وَحَكَيْتُ لَكُمْ بِاخْتِصَارٍ كُلَّ الْأَحْدَاثِ، حَتَّى
حِينَ تَسْمَعُونَ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ عِنْدَمَا يَقْرَأُ تَتَابِعُونَ
بِتَذْقِيقٍ، فَلَتَنْتَبِهُوا إِذْ يَقُولُ: "وَعَمِلَ (غُزِّيَّا) الْمُسْتَقِيمَ

فِي عَيْنِي الرَّبِّ^{١٢٣} وَبِهَذَا يُوكِّدُ عَلَيَّ فَضِيلَتِهِ، فَلَمْ
يَعْمَلْ فَقَطِ الصَّلَاحَ بَلْ فَعَلَهُ قُدَّامَ الرَّبِّ، وَلَيْسَ لَكِي
يَنْظَاهِرَ أَمَامَ النَّاسِ، مَثَلُ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبْلَ أَنْ يُقَدِّمُوا
الصَّدَقَةَ كَانُوا يُبَوِّقُونَ أَمَامَ الْيَهُودِ، أَوْلِيكَ الَّذِينَ
يُعَيِّرُونَ وَجُوهَهُمْ فِي الْأَصْوَامِ، الَّذِينَ يُودُونَ
صَلَوَاتِهِمْ عَلَى نَوَاصِي الطَّرِيقِ^{١٢٤}، أَوْلِيكَ الَّذِينَ لَا
يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ مَنْ هُمْ أَكْثَرُ بُؤْسًا مِنْهُمْ، عِنْدَمَا
يُثَابِرُونَ عَلَى تِلْكَ الْأَتْعَابِ وَيُحَرِّمُونَ مَنْ أَيْ
مُكَافَأَةٍ.

٢- فَمَاذَا تَفْعَلُ يَا رَجُلًا؟ هَلْ أَنْتَ مُصَمِّمٌ
عَلَى أَنْ تُقَدِّمَ تَقْرِيرًا عَمَّا فَعَلْتَهُ مِنْ إِحْسَانٍ لِلنَّاسِ
وَأَنْ تَسْتَدْعِيَ آخَرَ لِيَشْهَدَ عَلَيَّ ذَلِكَ؟ فَيَكُونُ الْأَوَّلُ
لَكَ كَقَاضٍ وَالْآخَرُ تُجْلِسُهُ كَشَاهِدٍ؟ أَلَا تُشَاهِدُ فُرْسَانَ
الْخَيْلِ أَمَامَ الْمَدِينَةِ كُلِّهَا الْجَالِسَةِ أَمَامَ مُسَابَقَاتِ
الْفُرُوسِيَّةِ، تَمُرُّ أَمَامَ مَنْطِقَةِ الْإِسْتَادِ، وَيَسْعَوْنَ أَنْ

^{١٢٣} أخ ٢٦: ٤

^{١٢٤} أنظر مت ٦: ١٨-٥

العظة الثالثة

يُدْمِرُوا مَرْكَبَاتِ خُصُومِهِمْ، حَيْثُ يَرُونَ الْمَلِكَ
جَالِسًا مُعْتَبِرِينَ أَنْ نَظْرَةَ تَقْدِيرٍ وَاحِدَةً مِنْهُ أَفْضَلُ
مَنْ تَطْلُعَاتِ الْكَثِيرِينَ إِلَيْهِمْ! بَيْنَمَا أَنْتَ تَنْظُرُ مَلِكَ
الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ يُسِيرُ طَرِيقَ جِهَادِكَ فَتَتْرَكُهُ هَارِبًا
لِأَجْلِ أَغْنِ الْعَبِيدِ شُرَكَائِكَ؟ لِأَجْلِ هَذَا، أَبْعَدِ الدُّخُولَ
فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُنَافَسَاتِ تَرْحَلُ بِلَا تَتَوَيْج؟! أَتَرْحَلُ
بَعْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعَرَقِ مِنْ أَمَامِ حَكَمِ الْمُسَابَقَةِ بِلَا
جَائِزَةٍ؟ وَلَكِنْ عُرْيًا لَمْ يَكُنْ عَلَى شَاكِلَةٍ هَؤُلَاءِ بَلْ قَدْ
فَعَلَ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ قُدَّامَ الرَّبِّ.

خُطُورَةُ التَّعَافُلِ فِي الْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ

كَيْفَ إِذَنْ بَعْدَ أَنْ عَاشَ بِكُلِّ هَذَا التَّقْفِيقِ
أَنْزَلَقَ وَسَقَطَ؟ وَإِنِّي لَأَتَعَجَّبُ وَأَتَحِيرُ لِذَلِكَ، وَلَكِنْ
بِالْحَرِيِّ هَذَا لَا يَدْعُو لِلْحَيْرَةِ لِأَنَّهُ كَانَ بَشَرًا، فَقَدْ
أَنْزَلَقَ فِي الْخَطِيئَةِ وَنَزَعَ بِقُوَّةٍ إِلَى الشَّرِّ، وَالْمُعْضِلَةِ
لَيْسَتْ فِي هَذَا فَقَطْ بَلْ أَيْضًا لِأَنَّهُ قَدْ وُضِعَ عَلَيْنَا أَنْ
نَسِيرَ فِي الطَّرِيقِ الضَّيِّقِ وَالْوَعْرِ، وَالْمُخَاطِ مِنْ
الْجَانِبِينَ بِالْمُنَحْدَرَاتِ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَجْتَمِعُ مَعَا

الاستسلام للرجبات^{١٢٥} مَعَ صُعُوبَةِ الطَّرِيقِ، حِينَئِذٍ لَا تَتَعَجَّبُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الزَّلَاتِ^{١٢٦}، لِأَنَّهُ كَمَا فِي السِّرِّكَ^{١٢٧} فَإِنَّ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَتَمَشَّوْنَ عَلَى الْحَبْلِ الْمَشْدُودِ مِنْ أَسْفَلٍ إِلَى أَعْلَى، وَلَكِنْ إِنْ تَغَافَلُوا قَلِيلًا فَسَوْفَ يَنْقَلِبُونَ وَيَسْقُطُونَ فِي الْأُورْكَسْتِرَا وَسَوْفَ يَقْضُونَ نَحْبَهُمْ، كَذَلِكَ أَيْضًا مَنْ يَسِيرُونَ فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ، إِنْ أَظْهَرُوا قَلِيلًا مِنَ الْكَسَلِ فَسَوْفَ يَنْقَلِبُونَ، لِأَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ أَقَلَّ ضَيْقًا وَإِنْخِدَارًا وَوَعْرًا وَأَكْثَرَ غُلُوءًا مِنْ ذَلِكَ الْحَبْلِ، لِأَنَّهُ يَنْتَهِي عَالِيًا إِلَى السَّمَاءِ، وَخُطُوتُنَا عَلَيْهِ تَكُونُ أَقْلُ أَمْنًا، فَقَطْ عِنْدَمَا نَكُونُ أَعْلَى وَعَلَى نَفْسِ الْقِمَّةِ، لِأَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ لِأَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَقْفُونَ عَالِيًا فَإِنَّ الْارْتِعَاشَ يَكُونُ شَدِيدًا، وَالْأَمْنُ الْوَحِيدُ الْمُتَبَقِي لَهُمْ هُوَ أَلَّا يَنْحَلُوا

^{١٢٥} التَّعْبِيرُ بِالْيُونَانِيَّةِ: προαίρεσεν εὐκολία: يَغْنِي خَرَفِيًا سُهُولَةَ الْاِخْتِيَارِ وَالْمَقْصُودُ اسْتِيبَاحُ الْاِخْتِيَارِ وَالاسْتِسْلَامُ لِلرَّجَبَاتِ.

^{١٢٦} فِي الْيُونَانِيَّةِ παραπτωμάτων وَهِيَ تَعْنِي الزَّلَاتِ وَالسَّقَطَاتِ أَوْ الْمَعْصِيَاتِ وَالتَّعَدِيَّاتِ.

^{١٢٧} خَرَفِيًا: θεάτροις الْمَسَارُحُ حَيْثُ كَانَتْ تُسْتَحْدَمُ لِتَقْدِيمِ الْغُرُوضِ الْبَهْلَوَانِيَّةِ.

لأَسْفَلَ أَوْ أَنْ يَخْدِقُوا فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّ هَذَا يُؤْدِي
إِلَى فَقْدَانٍ مُفْرِعٍ لِلتَّوَازُنِ.

أَهْمِيَّةُ الْحَرْصِ فِي الْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ حَتَّى النِّهَايَةِ

لِذَلِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ يَصْرُخُ فِيْنَا قَائِلًا: "إِلَى
النِّهَايَةِ، لَا تُهْلِكُ" ^{١٢٨} لَتَحْفِيزِ نُفُوسِنَا عِنْدَمَا تَضَعُفُ،
وَإِعْطَائِهَا الْقُوَّةَ وَالِدَّعْمَ عِنْدَمَا تُوشِكُ أَنْ تَسْقُطَ. لِأَنَّهُ
فِي بِدَايَةِ (حَيَاتِنَا الرُّوحِيَّةِ) لَا نَحْتَاجُ لِكَثِيرٍ مِنَ
الدَّعْمِ، وَلَكِنْ لَمَّاذَا؟ لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ وَإِنْ كَانَ الْأَقْلَ
ضَعْفًا مِنَ الْكُلِّ، فَإِنْ كَانَ يَبْدَأُ عَمَلًا مَا فَإِنَّهُ يُظْهِرُ
اهْتِمَامًا كَبِيرًا، لِأَنَّ حِمَاسَتَهُ تَكُونُ شَدِيدَةً وَقُوَّتُهُ فِي
عُنْفَوَانِهَا، وَيَتَقَدَّمُ بِبُسْرٍ نَحْوَ هَدَفِهِ، فَعِنْدَمَا نَجْتَازُ
الْجُزْءَ الْأَكْبَرَ مِنَ الطَّرِيقِ، وَتَقْشُرُ عَزِيمَتُنَا،
وَتُسْتَنْزَفُ قُوَّتُنَا، وَتُوشِكُ عَلَى السُّقُوطِ، عِنْدَئِذٍ

^{١٢٨} مز ٥٦: ١ بحسب الترجمة السبعينية، وهذه الآية عنوان للمزامير ٥٦ و٥٧ و٥٨ وهي إرشاد لطريقة إنشاء المزمور والمقصود بها: يُقَالُ الْمَزْمُورُ حَتَّى نِهَائِيَّةِ عَلَي نَعْمَةٍ
أَنْشُودَةٍ "لَا تُهْلِكُ". غَيْرَ أَنَّ الْقِدِّيسَ يُوَحِّنَا ذَهَبِي الْقَمِ يُفَسِّرُ الْآيَةَ كإِنْذَارٍ لِعِدَمِ الْقُنُورِ حَتَّى
نَهَايَةِ الطَّرِيقِ الرُّوحِيِّ.

يُظْهِرُ لَنَا النَّبِيُّ نَاصِحًا إِيَّانَا وَكَأَنَّهَا عَصَا نَسْتَلِدُّ عَلَيْهَا. هَذِهِ الْآيَةُ تَقُولُ لَنَا: "إِلَى النَّهَائَةِ، لَا تُهْلِكُ!"^{١٢٩}.

الْقَرَّاصِنَةُ لَا يَهَاجِمُونَ سِوَى السَّفِينِ الْمُتَمَلِّئَةِ بِالْبِضَائِعِ!
فِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَهَاجِمُ بِكُلِّ عُنْفٍ.
كَمَثَلِ الْقَرَّاصِنَةِ الَّذِينَ لَا يَهَاجِمُونَ السُّفِينَةَ عِنْدَ
ارْتِحَالِهَا لِلتَّوَمِنِ مِنَ الْمَيْنَاءِ - فَمَا الْفَائِدَةُ مِنْ إِغْرَاقِ
مَرْكَبٍ فَارِغَةٍ؟ - وَلَكِنَّ عِنْدَمَا تَعُودُ وَقَدْ امْتَلَأَتْ مِنَ
الْبِضَائِعِ، عِنْدَئِذٍ يُطَبِّقُونَ كُلَّ فُنُونِ الْقَرَّاصِنَةِ
الْمَآكِرَةِ، وَبِالْمَثَلِ يَفْعَلُ ذَاكَ الشَّيْطَانُ
الشَّرِيرُ (الْمَاكِرُ)، فَعِنْدَمَا يَرَانَا وَقَدْ جَمَعْنَا كَثِيرًا مِنَ
الْأَصْوَامِ وَالصَّلَوَاتِ وَأَعْمَالِ الرِّحْمَةِ (الصَّدَقَةِ)
وَالْتَعَفُّفِ وَكُلِّ الْفَضَائِلِ الْآخَرَى،^{١٣٠} أَيَّ عِنْدَمَا يَرَى
سَفِينَتَنَا وَقَدْ امْتَلَأَتْ مِنْ جَمِيعِ الْأَحْبَارِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي

^{١٢٩} نفس الشاهد السابق.

^{١٣٠} التعبير باليونانية هو :

"νηστείαν, εὐχάς, ἐλεημοσύνην, σωφροσύνην, τὴν ἄλλην ἅπασαν ἀρετήν "

لِلتَّقْوَى، فَإِنَّهُمْ يُحِيطُونَ بِهَا وَيُدْمِرُونَ الْكِيزَ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ، حَتَّى يَغْرُقَ الْمَرْكَبُ بِالْقُرْبِ مِنْ مَصِيبِ
الْمِينَاءِ فَيُرْسِلُونَنَا إِلَى الْمِينَاءِ مُجْرِدِينَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ.
لَذَلِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ يَحُثُّ الْجَمِيعَ قَائِلًا: "إِلَى النِّهَايَةِ، لَا
تُهْلِكُوا!"^{١٣١}. لِأَنَّهُ بَعْدَ هَذَا السَّقُوطِ فَإِنَّهُ لَمَنْ الْعَسِيرِ
أَنْ نَقُومَ مُجَدِّدًا، "لَأَنَّ ذَلِكَ الَّذِي يَصِلُ إِلَى عُمُقِ
الشَّرُورِ يَزْدَرِي بِكُلِّ شَيْءٍ"^{١٣٢} فَذَلِكَ الَّذِي يَسْقُطُ فِي
الْبِدَايَةِ فَإِنَّمَا كُلُّنَا نَعْفِرُ لَهُ بِسَبَبِ عَدَمِ حِكْمَتِهِ، أَمَّا مَنْ
يَسْقُطُ بَعْدَ مَسِيرَةٍ طَوِيلَةٍ، فَإِنْ أَحَدًا لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ
يَلْتَمِسَ لَهُ مَغْفِرَةً أَوْ عُذْرًا، لِأَنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ
يُظْهَرُ جَلِيلًا أَنَّ سَقُوطَهُ بِسَبَبِ التَّوَانِي، وَلَنْ يَكُونَ
الشَّرُّ فَقَطْ فِي فِعْلَتِهِ، بَلْ أَيْضًا فِي أَنَّهُ قَدْ أَغْثَرَ
آخِرِينَ كَثْرًا بِسَبَبِ سَقُوطِهِ، وَهَكَذَا تَصِيرُ خَطِيئَتُهُ
بِلا مَغْفِرَةٍ.^{١٣٣}

^{١٣١} نفس الشاهد السابق.

^{١٣٢} انظر أم ٨: ٣ بحسب الترجمة السبعينية.

^{١٣٣} التعبير باليونانية: "ἀσύγγνωστον τὸ ἁμάρτημα" كناية عن جسامه

دَعْوَةٌ لِلتَّوْبَةِ وَتَحْذِيرٌ مِنَ السُّقُوطِ فِي الْيَأْسِ

نعرفُ هذا، فلنسمع إذن لقول النبي حتى لا نهلك في النهاية، لذلك فإن حزقيال كان يصرخ قائلاً: "وَالْبَارِ إِنَّ رَجَعَ عَنْ بَرِّهِ وَعَمِلَ إِنْثِمًا (وَجَعَلْتُ مُعْثِرَةً أَمَامَهُ) فَإِنَّهُ يَمُوتُ. (لَأَنَّكَ لَمْ تُنْذِرْهُ، يَمُوتُ) فِي خَطِيئَتِهِ وَلَا يُذَكَّرُ بِرُّهُ الَّذِي عَمِلَهُ" ^{١٣٤} لَذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا النَّبِيَّ أَيْضًا كَانَ يَخْشَى النِّهَايَةَ، وَلَيْسَ مَنْ هَذَا فَقَطْ بَلْ أَيْضًا إِنْ كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ (أَيُّ أَنَّ الْبِدَايَةَ كَانَتْ شَرِّيرَةً بَيْنَمَا النِّهَايَةُ صَالِحَةً)، يَظْهَرُ أَنَّ قُوَّةَ هَذَا الْأَمْرِ عَظِيمَةً، لِأَنَّهُ يَقُولُ: "فَإِذَا رَجَعَ الشَّرِيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقًّا وَعَدْلًا فَحَيَاةً يَحْيَا. لَا يَمُوتُ." ^{١٣٥} أَتَرَى كَيْفَ أَنَّهُ يُظْهِرُ اهْتِمَامًا كَثِيرًا بِالنِّهَايَةِ، حَتَّى لَا يَتَوَقَّفَ الصَّادِقُ عَنْ فِعْلِ الْبِرِّ، وَيَسْقُطَ فِي النَّوَانِي لِذَلِكَ يُخَيِّفُهُ مِنَ النِّهَايَةِ، وَلَكِّي لَا يَبْقَى الْخَاطِئُ فِي

الخطأ.

^{١٣٤} حز ٣: ٢٠

^{١٣٥} حز ١٨: ٢١

سُقُوطِهِ إِلَى الْأَبَدِ بِسَبَبِ يَأْسِهِ مِنْ خَطَايَاهُ، فَإِنَّهُ يُقِيمُهُ
عِنْدَ النِّهَايَةِ بِأَنْ يَقُولَ لَهُ هَلْ أَخْطَأْتُ كَثِيرًا فَلَا تَيْأَسْ
لَأَنَّهُ يَوْجَدُ تَوْبَةً^{١٣٦}، وَذَلِكَ إِنْ أَظْهَرْتَ فِي نِهَائِكَ مَا
هُوَ عَلَى عَكْسِ بَدَائِكَ، أَمَّا لِلصَّدِيقِ فَيَقُولُ لَهُ، هَا قَدْ
حَقَّقْتَ نَجَاحَاتٍ كَثِيرَةً، فَلَا تَتَوَقَّفُ لَأَنَّهُ إِذْ لَمْ تَحْتَظْ
حَتَّى النِّهَايَةِ بِنَفْسِ الْعَزِيمَةِ فَمِنْ الْمُمَكِّنِ أَنْ تَسْقُطَ.
أَفَلَا تَرَى كَيْفَ أَنَّهُ يُحَذِّرُ الْوَاحِدَ حَتَّى يَبْتَغِدَ عَنِ
التَّوَانِي وَالْأَخَرِ حَتَّى يَبْتَغِدَ عَنِ الْيَأْسِ؟

الْخَطَايَا أَنْوَاعٌ وَلَيْسَتْ سَوَاءً.

٣- غَيْرَ أَنَّ عَزِيًّا لَمْ يَسْتَمِعْ لِكُلِّ هَذَا،
فَتَجَاسَرَ وَسَقَطَ بِشَكْلِ مُخِيفٍ لَا شِفَاءَ مِنْهُ^{١٣٧}، لَأَنَّهُ
لَيْسَتْ كُلُّ سَقْطَةٍ تُؤْدِي لِنَفْسِ الْجُرْحِ بَلْ عَلَى حَسَبِ
(نَوْعِ) الْخَطَايَا، فَفِي بَعْضِ الْحَالَاتِ يُدَانُونَ وَفِي

^{١٣٦} هنا يستخدم القديس ذهبي الغم كلمة *επάνοδος* اليونانية التي تعني عودة أو رجوع وليس كلمة *μετανοία* ميطاتيا المعتادة عن التوبة.
^{١٣٧} كثيرا ما يستخدم الآباء، وبالأخص النساك منهم، تعبير *جرح* أو *مرض* لا شفاء منه كناية عن الخطية، مثل القديس أنطونيوس في رسائله المتبع.

حَالَاتٍ أُخْرَى يَقْبَلُونَ عُقُوبَاتٍ ثَقِيلَةً. فَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَنْتَظِرُونَ إِخْوَتَهُمْ فِي مَوَاقِدِ الْعَشَاءِ الْمُشْتَرَكَةِ يُؤْبِخُهُمْ بِوَلُسٍ قَائِلًا: " وَلَكِنِّي إِذْ أُوصِي بِهِذَا، لَسْتُ أَمْدَحُ ... "١٣٨ وَكَمَا تَرَى فَإِنَّ الْخَطِيئَةَ تَقِفُ (هُنَا) عِنْدَ الْمَلَامَةِ، وَالْمَلَامَةُ تَشْمَلُ الْإِدَانَةَ.

الزَّنا والزَّوْاجُ

غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ نَفْسَ الْأَمْرِ عِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الزَّنا، لَكِنَّ كَيْفَ يَتَعَامَلُ مَعَ الْأَمْرِ "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللَّهِ فَيُفْسِدُهُ اللَّهُ"١٣٩ فِهِنَا لَا يَوْجَدُ تَوْبِيخٌ أَوْ إِدَانَةٌ بَلْ عُقُوبَةٌ ثَقِيلَةٌ، فَسَلِيمَانُ قَدْ عَرَفَ الْفَرْقَ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْخَطَايَا، فَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، عِنْدَمَا قَارَنَ مَا بَيْنَ الزَّنا وَالسَّرِقَةِ قَالَ: "لَا يَسْتَخْفُونَ بِالسَّارِقِ وَلَوْ سَرَقَ لِيَشْبَعَ نَفْسُهُ وَهُوَ جَوْعَانٌ. ... أَمَّا الزَّانِي بِأَمْرَةٍ فَعَدِيمُ الْعُقُلِ. الْمُهْلِكُ نَفْسَهُ هُوَ يَفْعَلُهُ."١٤٠

١٣٨ اكو ١١: ١٧

١٣٩ اكو ٣: ١٧

١٤٠ ام ٦: ٣٠ و ٣١

فسواء هذه أو تلك فهي خطيئة ، ولكنه يقول إن
الواحدة أصغر والأخرى أكبر ، لأن في الأولى (أي
السرقه) الخاطي عنده عذر هو الجوع بينما
الأخرى (الزنا) فلا مبرر لها . ولكنه بالنسبة للزنا ،
فالبعض يقول أن عنده احتياجاً للشهوة الطبيعية ،
ولكن وجود زوجة خاصة به لا يغفر له ، بل أنها
تحرّمه من أي عذر ، لذلك يوجد الزواج والمتعة
المشروعة ، حتى لا يقول الرجل شيئاً ، لذلك فقد
أعطيت له المرأة كمعين حتى تكبح الطبيعة حين
تنور فتسكن موجات الشهوة .

شكوك واضطراب الزواج الخائن

كمثل رُبّان يتسبّب في غرق السفينة أثناء
دخولها الميناء ، فلا يغفر له من أحد ، هكذا الإنسان
بعد أن يتحصن بالزواج ، يزعرع زيجات آخرين
أو ينظر بطريقة مريبة لأي امرأة ، هذا الإنسان لا
يلتمس له أي عذر سواء من الناس أو من الله ، حتى
لو أُلحِت على هذا المرء مراراً اللذة الطبيعية .

وَأَتَعَجَبُ، فَإِي لَذَّةٌ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَمَتَّعَ بِهَا، يُلَازِمُهَا
خَوْفٌ وَقَلَقٌ وَخَطَرٌ وَتَوَقُّعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَتَاعِيبِ، حَيْثُ
يُؤَاجِلُهُ مَحَاكِمُ وَمُسَانِلَاتٍ وَغَضَبُ الْقَاضِي وَالسَّيْفُ
وَالْجَلَادُ حَتَّى الْإِنْزِلَاقِ إِلَى حَبْلِ الْمَشْنَقَةِ^{١٤١}، فَكُلُّ
شَيْءٍ يُرْعِبُ وَيُخَفِّفُ مِثْلَ ذَلِكَ الشَّخْصِ: الظُّلَالُ
وَالْجُذْرَانُ وَالْحَبَّارَةُ ذَاتُهَا وَكَأَنَّهُمَا تَصْرُخُ (ضِدَّهُ)،
فَهُوَ يَزْتَابُ وَيَشُكُّ فِي الْجَمِيعِ، فِي الْخُدَامِ وَالْجِيرَانِ
وَالْأَصْدِقَاءِ وَالْأَعْدَاءِ، مَنْ يَعْرِفُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَمَنْ لَا
يَعْرِفُونَ أَيَّ شَيْءٍ، أَوْ بِالْحَرِيِّ أَنْ أَرَدْتُ فَلْتُنْجِ كُلَّ
هَذَا جَانِبًا، وَنَفْتَرِضُ أَنَّهُ لَا أَحَدٌ يَعْرِفُ مَاذَا حَدَثَ،
سِوَى هَذَا الشَّخْصِ مَعَ الْمَرَاةِ الَّتِي أَسِئَءَ إِلَيْهَا،
كَيْفَ سَيَتَحَمَّلُ تَأْنِيْبَ الضَّمِيرِ، الَّذِي سَوْفَ يُلَاحِظُهُ
فِي كُلِّ مَكَانٍ بِهَذَا الْاِتِّهَامِ الصَّعْبِ؟ لِأَنَّهُ مَنْ غَيْرِ
الْمُمْكِنِ أَنْ يَهْرَبَ الْمَرءُ أَبَدًا مِنْ نَفْسِهِ، كَمَا أَنَّهُ مَنْ
غَيْرِ الْمُمْكِنِ أَيْضًا أَنْ يَهْرَبَ مِنْ قَرَارِ إِدَانَةٍ لِتِلْكَ

^{١٤١} بحسب نص المحقق SC ἀρχόννη أي المشنقة، ولكن في النص التقليدي PG

ἀπαγωγή أي إلقاء القبض عليه.

الْمَحْكَمَةِ، وَهَذِهِ الْمَحْكَمَةُ لَا يُمْكِنُ إِفْسَادُهَا (بِرَشْوَةِ)
الْمَالِ، أَوْ أَنْ تَتَرَاوَعَ مَعَ الْمَذَاهِنَةِ (بِأَنْ يُتَافَقَ
الْقَاضِي)، لِأَنَّهَا مَحْكَمَةٌ إِلَهِيَّةٌ وَمُقَيَّمَةٌ فِي نَفْسِنَا مِنْ
قِبَلِ اللَّهِ، فِي الْحَقِيقَةِ "أَمَّا الزَّانِي (بِامْرَأَةٍ) فَعَدِيمُ
الْعَقْلِ. الْمُهْلِكُ نَفْسَهُ هُوَ يَفْعَلُهُ"^{١٤٢}، بِالطَّيْعِ السَّارِقِ
لَا يَفْلِتُ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَلَكِنَّهُ يُعَاقَبُ بِشَكْلِ أَقْلٍ، لِأَنَّ
عَقْدَ الْمُقَارَنَاتِ لَا يَجْعَلُ الْأُمُورَ مُتَضَادَّةً فِيمَا بَيْنَهَا،
وَلَكِنْ يَتْرَكَ كُلَّ مِنْهَا فِي مَكَانِهِ، مُظْهِرًا مَا هُوَ
الْأَدْنَى وَمَا هُوَ الْأَسْمَى.

الزَّوْاجُ حَسَنٌ وَلَكِنَّهُ أَقْلٌ مِنَ الْبَتُولِيَّةِ.

رَبِّمَا لَمْ تَسْتَوْعِبْ مَا قَدْ قُلْتَهُ (لِلنَّسْوِ)، فَمَنْ
الضَّرُورِي أَنْ أَوْضَحَهُ. الزَّوْاجُ هُوَ أَمْرٌ حَسَنٌ،
غَيْرَ أَنَّ الْبَتُولِيَّةَ أَسْمَى مِنْهُ، وَلِأَنَّ الْبَتُولِيَّةَ أَسْمَى
فَهَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ الزَّوْاجَ شَرٌّ أَوْ سَيِّئٌ، وَلَكِنَّهُ بِالتَّأَكِيدِ
أَقْلٌ مِنَ الْبَتُولِيَّةِ،^{١٤٣} وَلَكِنَّهُ أَيْضًا أَمْرٌ حَسَنٌ، وَهَكَذَا

^{١٤٢} أم ٦: ٣٢

^{١٤٣} يُشَدِّدُ الْقَدِيسُ ذَهَبِي الْقَم فِي عِظَاتِهِ الطَّوِيلَةِ عَلَيَّ مِفْرَ التَّكْوِينِ عَلَى أَنَّ الْبَتُولِيَّةَ هِيَ

أَيْضًا فَإِنَّ السَّرْقَةَ أَمْرٌ شَرِيرٌ غَيْرَ أَنَّهَا أَقَلُّ شَرًّا مَنِ
الزَّنا، وَلَكِنَّهَا شَرٌّ مِثْلُهَا. أَرَأَيْتَ الْاِخْتِلَافَ بَيْنَ
الْخَطَايَا؟

خَطِيئَةُ عُزِّيَّا هِيَ الْكِبْرِيَاءُ

فَلَمَّا رَأَى إِنْ أَيْ خَطِيئَةً ارْتَكَبَهَا ذَلِكَ (أَيِ
عُزِّيَّا) إِذْ قِيلَ: "قَدْ ارْتَفَعَ قَلْبُهُ"^{١٤٤} فَالْجُرْحُ مُخِيفٌ،
لأنَّهَا الْكِبْرِيَاءُ، الَّتِي هِيَ مُصَدِّرُ كُلِّ الشُّرُورِ، وَلَكِي
تَعْرِفَ بِاخْتِصَارِ شَرِّ الدَّاءِ، اسْمِعِ الْآتِي. فَكُلُّ
الْخَطَايَا تَحُومُ حَوْلَ طَبِيعَتِنَا (الْبَشَرِيَّةِ)، بَيْنَمَا
الْكِبْرِيَاءُ قَدْ أَهْلَكَتْ وَهَزَمَتْ الْقُوَّةَ السَّمَاوِيَّةَ الْقَدِيمَةَ،
لأنَّ الشَّيْطَانَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي الْقَدِيمِ شَيْطَانًا، بَلْ أَنَّ
الْكِبْرِيَاءَ هِيَ الَّتِي جَعَلَتْهُ شَيْطَانًا، فَسَوْفَ اسْتَنْدَ إِلَى
شَهَادَةِ إِشْعِيَاءَ الَّذِي يَقُولُ الْآتِي بِهِذَا الشَّانِ: "أَصْعَدُ

حَالَةً أَسْمَى مِنَ الزَّوْاجِ وَهِيَ الْخَالَةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَدَمُ قَبْلَ السُّقُوطِ، غَيْرَ أَنَّ الزَّوْاجَ مُكَرَّمٌ
مِنَ اللَّهِ وَقَدْ وَهَبَ اللَّهُ الْجَنْسَ لِلْإِنْسَانِ كَعَطِيَّةٍ لِيُقَالُوا بِهِ الْمَوْتُ، وَلَيْسَ لِأَنَّهُ شَرٌّ أَوْ نَتِيجَةٌ
لِلْخَطِيئَةِ.

فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ. ^{١٤٥}
 فَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ بِسُرُورٍ النَّفَاسَ نِيرَ
 الرَّمْزِيَّةِ ^{١٤٦}، يَشْجُبُونَ شَهَادَتِي، وَلَكِنَّا إِنْ وَضَعْنَا
 بُؤْلُسَ فِي مَوْقِفِ الْمُذْعَى الْعَامِ ^{١٤٧}، فَإِنَّ أَحَدًا لَنْ
 يَعْتَرِضَ، فَمَآذَا يَكْتُوبُ إِذَنْ بُؤْلُسُ إِلَيَّ تَيْمُوثَاوُسَ؟ أَنْ
 مَنْ قَبْلَ حَدِيثِ الْكِرَازَةِ فَلَا تَقْدُهُ إِلَيَّ دَرَجَةُ الْأُسْفُفِيَّةِ
 الْجَلِيلَةِ، قَائِلًا الْآتِي: "غَيْرُ حَدِيثِ الْإِيمَانِ" ^{١٤٨} لِنَلَّا
 يَتَصَافَ فَيَسْقُطُ فِي دَيْنُونَةِ إِبْلِيسَ. ^{١٤٩} لَكِي لَا يَفْعَلُ
 نَفْسَ خَطَايَا ذَلِكَ الشَّيْطَانِ، كَمَا يَقُولُ، وَيَسْقُطُ فِي
 نَفْسِ الْكِبْرِيَاءِ كَمَا سَقَطَ ذَاكَ.

^{١٤٥} اش ١٤: ١٤

^{١٤٦} يُلْمَحُ هُنَا الْقِدِيسُ يُوحَنَّا ذَهَبِيَّ الْفَمِ إِلَى تَوَجُّهِ مَدْرَسَةِ أَنْطَاكِيَّةِ الَّتِي تَرْفُضُ التَّفْسِيرَ
 الرَّمْزِيَّ وَتُهَاجِمُهُ، عَلَى عَكْسِ مَدْرَسَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ الَّتِي تَعْتَمِدُ هَذَا الْأُسْلُوبَ فِي التَّفْسِيرِ.
^{١٤٧} خَرْفِيَا *κατήγορον* أَيِ الْمُذْعَى أَوْ النَّائِبِ الْعَامِ.

^{١٤٨} الْكَلِمَةُ الْيُونَانِيَّةُ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا الْقِدِيسُ بُؤْلُسُ هِيَ "νεόφυτον" وَالَّتِي وَرَدَتْ فِي
 تَرْجُمَةِ قَانْدَايِك: "حَدِيثُ الْإِيمَانِ"، تُعْنِي خَرْفِيَا "نَبَتْ جَدِيدٌ" وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ حَدِيثُ الْعَهْدِ فِي
 اغْتِنَاقِ الْإِيمَانِ الْمَسِيحِيِّ.

^{١٤٩} اتي ٣: ٦

عزاء الشيطان في هلاك الإنسان

٤- والأمر لا يتضح فقط من هذا (النص)، بل أيضاً مما قد نصح به ذاك الشيطان الشرير الإنسان الذي قد خلق قبل الجميع، لأنه كما أن الصالحين يعتادون أن ينصحو الآخرين بالأمور التي بواسطتها قد صاروا صالحين، فكذلك أيضاً الأشرار، ينصحون الآخرين بالأمور التي بواسطتها قد صاروا أشراراً، وهذا أيضاً يُعتبر نوعاً من الشرور، حيث يُعتبر الشياطين هلاك الآخرين نوعاً من العزاء لجحيمهم الخاص، فبماذا نصح الشيطان آدم؟ أنه سوف يقنني معرفة أعظم من طبيعته، وسوف يتطلع إلى أن يكون مساوياً لله، فكأنه يقول: وأن كنت قد طردتني من السماء فبالأولى تطرد - بشكلي مساوٍ - ذاك (الإنسان) من الفردوس، لذلك فإن سُلَيْمَانَ يَقُول: "يَقَاوُمُ اللَّهُ الْمُسْتَكَبِرِينَ"^{١٠٠} قَلِمَ يَقُولُ أَنَّ اللَّهَ يَهْجُرُ أَوْلِيَاءَكَ

^{١٠٠} راجع ام ٣: ٣٤ (سبعينية) انظر أيضاً يع ٤: ٦ و ١ بط ٥: ٥

المُسْتَكَبِرِينَ وَيَسْتَبْعِدُهُمْ مِنْ مَعُونَتِهِ، بَلْ يَقُولُ
 "يَقَاوِمُ" وَلَيْسَ مُجَرَّدَ التَّصَدِّي بَلْ أَنْ يَصِلَ الْأَمْرُ
 إِلَى قِتَالِ الْمُسْتَكَبِرِ، لِأَنَّهُ هَلْ يُوجَدُ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ
 ضَعْفًا مِنَ الْمُسْتَكَبِرِ؟ كَمَثَلِ شَخْصٍ قَدْ فَقَدَ عَيْنَيْهِ
 فَمِنْ الْمُمَكِّنِ لِلْجَمِيعِ أَنْ يَصْنَعُوا بِهِ أَيْ شَرًّا، كَذَلِكَ
 الْمُسْتَكَبِرُ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الرَّبَّ، - لِأَنَّهُ يَقُولُ "بِدءِ
 الْكِبْرِيَاءِ عَدِمُ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ"^{١٥١} لَقَدْ صِرْتَ خَاضِعًا
 لِلنَّاسِ بِسُهُولَةٍ طَالَمَا قَدْ حُرِمْتَ مِنْ هَذَا النُّورِ. وَإِنْ
 كَانَ قَوِيًّا فَلَا تُوجَدُ أَيُّ حَاجَةٍ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ نَدًا لَهُ،
 لِأَنَّ ذَاكَ الَّذِي يَكْفِيهِ فَقَطْ أَنَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِإِرَادَتِهِ،
 فَكَمْ بِالْأُولَى يَكْفِيهِ بِإِشَارَةٍ مِنْهُ أَنْ يُدْمِرَهُمْ.

الْكِتَابُ يَشْرَحُ أَسْبَابَ الْخَطِيئَةِ وَمَنْبَعَهَا.

فَلَمَّاذَا يَقُولُ إِذَنْ "يَقَاوِمُهُمْ"؟ حَتَّى يُظْهَرُ
 مَدَى نَفْوَرِهِ الشَّدِيدِ مِنَ الْمُسْتَكَبِرِ، وَأَنْ جُرْحَ
 الْكِبْرِيَاءِ مُخِيفٌ، وَيَصِيرُ مُخِيفًا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ وَمِنْ
 أُمُورٍ أُخْرَى، فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَعْرِفَ مَنْ أَيْ مَصْدَرٍ

^{١٥١} انظر يشوع بن سيراخ ١٠: ١٢

أَخْرَ يَأْتِي الْجُرْحُ. لِأَنَّهُ مِنْ عَادَةِ الْكِتَابِ (الْمُقَدَّسِ) عِنْدَمَا يَشْرَعُ فِي إِدَانَةِ شَخْصٍ مَا، فَإِنَّهُ لَا يُشِيرُ فَقَطْ إِلَى خَطِيئَتِهِ بَلْ أَنَّهُ يَشْرَحُ سَبَبَهَا، حَتَّى يَجْعَلَ الْأَصْحَاءَ (مِنِ الْخَطِيئَةِ) فِي مَأْمَنِ مِنَ السُّقُوطِ فِي نَفْسِ الْخَطَايَا. هَكَذَا أَيْضًا الْأَطِبَّاءُ، عِنْدَمَا يَذْهَبُونَ لِلْمَرْضَى، فَقَبْلَ أَنْ يَشْخِصُوا الْأَمْرَاضَ فَإِنَّهُمْ يَبْحَثُونَ عَنْ مَصْدَرِ الدَّاءِ، حَتَّى يُوقِفُوا الشَّرَّ (الْأَلَمَ) مِنْ أَصْلِهِ، لِأَنَّ مَنْ يَقْطَعِ الْبُرْعَمَ وَيُبْقِيَ الْجَذَرَ، فَإِنَّهُ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا ذَا جَنَوى. فَأَيْنَ يَأْتُرَى يُشِيرُ الْكِتَابُ إِلَى الْخَطِيئَةِ وَمَصْدَرِ عِلَّتِهَا؟ فَهُوَ يُدِينُ كُلَّ مَنْ كَانُوا يَعِيشُونَ قَبْلَ الطُّوفَانِ بِسَبَبِ الزَّيْجَاتِ الْمُخْتَاطَةِ غَيْرِ الْمَلَائِمَةِ، فَاسْمَعْ كَيْفَ يَطْرَحُ عِلَّةَ الْأَمْرِ "أَنَّ أَبْنَاءَ اللَّهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لِأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا"^{١٥٢}.

الْجَمَالَ لَيْسَ خَطِيئَةً بَلْ النَّظَرَةُ الشَّرِيرَةُ .

فَمَاذَا إِذَنْ، هَلِ الْجَمَالُ هُوَ سَبَبُ الْخَطِيئَةِ؟

حَاشَا، فَالْجَمَالُ هُوَ مَنْ صُنِعَ حِكْمَةً اللَّهِ، وَعَمَلُ اللَّهِ لَا يُمَكِّنُ أَبَدًا أَنْ يَكُونَ عِلَّةً لِلشُّرُورِ، فَمَاذَا؟، أَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي رُؤْيَتِهِمْ لَهُ؟ وَلَا هَذَا أَيْضًا. لِأَنَّ تِلْكَ الرُّؤْيَا هِيَ مَنْ دَافَعَ الطَّبِيعَةَ، فَمَاذَا إِذَنْ؟ السَّبَبُ هُوَ أَنَّهُمْ قَدْ حَدَّقُوا النَّظَرَ فِيهِ بِطَرِيقَةٍ شَرِيفَةٍ، لِأَنَّ هَذَا بِسَبَبِ الرَّغْبَةِ الْفَاسِدَةِ، لِذَلِكَ فَإِنَّ أَحَدَ الْحُكَمَاءِ يَنْصَحُ قَائِلًا: "لَا تُحَقِّقْ (تَتَفَحَّصْ) فِي الْجَمَالِ الْأَجْنَبِيِّ"^{١٥٣} لَمْ يَقُلْ "لَا تَنْظُرْ" لِأَنَّ هَذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ تَلَقُّائِيًّا، بَلْ قَالَ "لَا تُحَقِّقْ" كَيْ يَمْنَعَ الْإِصْرَارَ عَلَى الْمَلَاخَظَةِ، وَالنَّظَرَ الْمُرِيبَةَ، وَالْمُشَاهَدَةَ الشَّرِيفَةَ بِإِصْرَارٍ مِنْ نَفْسٍ فَاسِدَةٍ تُسَيِّطِرُ عَلَيْهَا الشَّهْوَةُ.

وَقَدْ يَقَالُ مَا الضَّرُّ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ مِنْ هَذَا؟ فَقُولُ "أَنَّ الْغَرَامَ يَشْتَعِلُ مِثْلَ النَّارِ"^{١٥٤} لِأَنَّهُ مِثْلُ النَّارِ الَّتِي تَصِلُ إِلَيْهَا وَرَقَةٌ أَوْ قَشَّةٌ، لَا

^{١٥٣} أنظر يشوع سيراخ ٩: ٨ أ

^{١٥٤} يشوع بن سيراخ ٩: ٨، "غَرَامٌ" فِي التَّرْجُمَةِ السِّنْعِينِيَّةِ تُسَخِّدُ كَلِمَةُ *φιλία* الَّتِي تَعْنِي حُبًّا أَوْ صَدَاقَةً، وَيُمْكِنُ أَنْ تَأْتِيَ بِمَعْنَى الْغَرَامِ وَالْمِيلِ لِلشَّهْوَةِ كَمَا فِي هَذَا الْعَدَبِ.

تَنْتَظِرُ لِقْتَرَةٍ زَمَنِيَّةٍ وَلَكِنَّ بِمَجَرَدِ وُصُولِهَا تَشْتَعِلُ
بِوَهْجٍ لَامِعٍ، وَبِالْمِثْلِ فَإِنَّ نَارَ الشَّهْوَةِ الَّتِي فِي
دَاخِلِنَا، عِنْدَمَا تُصِيبُ الْعَيْنَ الْمُحْدِقَةَ فِي مُتَعَةٍ
وَأَشْجَةِ الْجَمَالِ، فَحَالاً تَشْتَعِلُ النَّارُ فِي أَنْفُسِ
النَّاظِرِينَ. فَلَا تَنْتَظِرُ إِذَنْ لِلذُّةِ الْوَقْتِيَّةِ، النَّابِغَةِ مِنْ
الْمُشَاهَدَةِ، وَلَكِنْ تَأْمُلِ الضِّيقِ الدَّائِمِ الْآتِي مِنْ
الشَّهْوَةِ. لِأَنَّ الْأُولَى تُسَبِّبُ لَنَا الْإِصَابَةَ، فَفِي كَثِيرٍ
مِنَ الْمَرَاتِ هَذِهِ الْمُشَاهَدَةُ تَرْحَلُ مِنْ أَمَامِ أَعْيُنِنَا،
وَلَكِنْ جُرُوحُهَا لَا تَنْتَهِي، بَلْ تَبْقَى وَتُسَبِّبُ دَمَارًا
وَهَلَاكًا، مِثْلَ هَلَاكِ غَزَالٍ قَدْ أُصِيبَ بِسَهْمٍ فِي
مَنْطِقَةٍ قَاتِلَةٍ فِي جَسَدِهِ، فَحَتَّى! لَوْ قُلْتَ مَنْ يَدِ
الصَّيَّادِينَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَنْتَفِعَ شَيْئًا. هَكَذَا أَيْضًا النَّفْسُ
الَّتِي تُصَابُ بِسَهْمٍ مِنَ الْمَنَاطِرِ الْفَاسِقَةِ وَالْمُرِيْبَةِ،
حَتَّى لَوْ هَرَبَتْ مِنْ هَذَا السَّهْمِ، فَإِنَّهَا سَتَفْسَدُ وَتَهْلِكُ،
لَأَنَّهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ سَتَكُونُ فِي مَرْمَى الْعَدُوِّ. وَلَكِنْ
هَذَا مَا كُنْتُ أَقُولُهُ - لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَسْمَحَ
لِأَنْفُسِنَا بِالِاسْتِطْرَادِ فِي الْحَدِيثِ، أَنَّ الْكِتَابَ
(الْمُقَدَّسَ) يَعْتَادُ أَنْ يُشِيرَ إِلَى الْخَطَايَا وَإِلَى أَسْبَابِهَا،

فَاسْمَعْ مَاذَا يَقُولُ هُنَا بِشَأْنِ عَزِّيَّا. لِأَنَّ الْكِتَابَ لَا يُعَلِّمُنَا هَذَا فَقَطْ أَنَّهُ قَدْ تَكَبَّرَ بَلْ أَنَّهُ يُضَيِّفُ أَيْضًا بِسَبَبِ أَيِّ شَيْءٍ قَدْ تَكَبَّرَ، فَمَا هُوَ إِذَنْ سَبَبُ تَكَبُّرِهِ؟ فَيَقُولُ: "وَلَمَّا تَشَدَّدَ ارْتَفَعَ قَلْبُهُ" فَلَمْ يَحْتَمِلْ عَظَمَةَ السُّلْطَةِ، كَمَثَلِ كَثْرَةِ النِّهَمِ الَّتِي تُؤْلِدُ الْإِلْتِهَابَاتِ وَمِنْهَا الْحُمَى وَفِي عَدِيدٍ مِنَ الْمَرَاتِ يَنْتَهِي الْأَمْرُ إِلَى الْوَفَاةِ، هَكَذَا أَيْضًا فِي حَالَةِ عَزِّيَّا، فَإِنَّ صُغُودَ الْمَرءِ لِمَكَانَةِ ذَاتِ شَأْنٍ عَظِيمٍ تُسَبِّبُ الْكِبْرِيَاءَ، فَمَا يُسَبِّبُ الْإِلْتِهَابَ الْجَسَدِ، يُسَبِّبُ لِلنَّفْسِ الْكِبْرِيَاءَ. وَبَعْدَ الْكِبْرِيَاءِ، اسْتِهَاءُ أَشْيَاءٍ لَا تَلِيْقُ بِهِ.

لَا يَنْبَغِي أَنْ نَحْسَدَ مَنْ هُمْ فِي السُّلْطَةِ.

٥- وَإِطْنَاؤُنَا هَذَا لَيْسَ عِبْثًا، حَتَّى لَا تَظُنُّوا أَنَّ مَنْ يُوجَدُ فِي سُلْطَةٍ، يُحْسَدُ عَلَيْهَا، وَلَا أَنْ تُطَوَّبُوهُ عَلَيْهَا، عَارِفِينَ أَنَّ السُّلْطَةَ مُتْرَعَزَةٌ وَمَحْفُوفَةٌ بِالْمَخَاطِرِ، وَلَكِّي لَا تَعْتَبِرُوا إِطْلَاقًا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْيشُونَ فِي الْفَقْرِ وَالْمُعَانَاةِ أَنَّهُمْ تَعَسَاءُ، عَارِفِينَ أَنَّ أَوْلَئِكَ يَعْيشُونَ فِي مَأْمَنِ أَعْظَمَ. لِذَلِكَ

فَإِنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَصْرُخُ قَائِلًا: "خَيْرٌ لِي أَنَّكَ قَدْ
أَدَّلْتَنِي"^{١٥٥} فَتَأَمَّلْ كَمْ مِنَ الشَّرِّ قَدْ صَارَ بِسَبَبِ
الرِّفْعَةِ فِي الْمَنْزِلَةِ: "وَلَمَّا تَشَدَّدَ ارْتَفَعَ قَلْبُهُ إِلَى
الْهَلَاكِ"^{١٥٦}، فَمَاذَا يَغْنِي بِعِبَارَةِ "إِلَى الْهَلَاكِ"؟ مِنْ
بَيْنِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَفْكَارِ الشَّرِيرَةِ فَإِنَّ بَعْضَهَا لَا تَصُلُّ
إِلَى نُفُوسِنَا، وَحَتَّى لَوْ سَاجَدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا بِكَثِيرٍ مِنَ
الْحِمَايَةِ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَ الْأَفْكَارِ مَرَّةً أُخْرَى تَتَوَلَّدُ فِينَا
بِالتَّأَكُّيدِ، عِنْدَمَا نَكُونُ كُسَالَى فُتُنُبْتَ تِلْكَ الْأَفْكَارُ،
وَلَكِنْ عِنْدَمَا نُلَاحِظُهَا فَإِنَّهَا تَحْتَنِقُ سَرِيعًا وَتَمُوتُ^{١٥٧}،
وَالْبَعْضُ الْأُخَرُ تَتَوَلَّدُ وَتَكْبُرُ وَتُظْهِرُ بِوَاسِطَةِ
الْأَعْمَالِ الشَّرِيرَةِ وَتُدمِرُ كُلَّ صِحَّةِ نُفُوسِنَا، وَذَلِكَ
عِنْدَمَا نَسْتَسْلِمُ لِلْكَسَلِ الشَّدِيدِ. هَذَا هُوَ إِذَنْ مَا يَغْنِيهِ
بِعِبَارَةِ "ارْتَفَعَ قَلْبُهُ"، فَلَمْ يَبْقَ الْكِبْرِيَاءُ فِي دَاخِلِهِ،
وَلَا انْطَفَأَ، بَلْ قَفَزَ لِلخَارِجِ، وَطَالَ مَا أَنَّهُ تَحَوَّلَ إِلَى
عَمَلٍ شَرِيرٍ، فَقَدْ دَمَرَ كُلَّ فَضِيلَةٍ لَهُ. فَالْعَمَلُ

^{١٥٥} مز ١١٨ : ٧١ بحسب الترجمة السبعينية.

^{١٥٦} ٢ أخ ٢٦ : ١٦

^{١٥٧} حرفيًا تدفن καταχώννυνται

المطلوبُ هو ألا نقبلَ أبداً الفكرَ الشريرَ وهذا ما كان يقوله النبي: "يَا رَبُّ، لَمْ يَزْتَفِعْ قَلْبِي"^{١٥٨}، فَلَمْ يَقُلْ "إِسْتَكْبَرَ (تَفَاخَرَ) قَلْبِي وَلَكِنِّي تَحَكَّمْتُ فِيهِ" بَلْ حَتَّى لَمْ يَشْرُعْ فِي أَنْ يَسْتَكْبِرَ، أَيْ، قَدْ تَحَكَّمُ فِي نَفْسِهِ الْمُحَصَّنَةِ مِنْ كُلِّ الشُّرُورِ، فَهَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْمَطْلُوبُ (الْمُطَوَّبُ)، وَمَا يَأْتِي بَعْدَهُ هُوَ أَنَّهُ إِذْ دَخَلَتْ أَفْكَارٌ فَلْنَصُدِّهَا سَرِيعًا وَلَا نَسْذَعُهَا تَبْقَى أَكْثَرُ، كَيْ لَا نَجْعَلَهَا تَعْمَلُ فِي دَاخِلِنَا مَرَعَى شَرِيرًا. وَلَكِنَّهُ حَتَّى لَوْ وَصَلْنَا إِلَى هَذَا الْحَدِّ مِنَ التَّرَاخِي وَالْكَسَلِ، فَإِمْكَانِيَّةُ الشِّفَاءِ^{١٥٩} قَائِمَةٌ، وَذَلِكَ بِفَضْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْبَشَرِ وَصَلَاحِهِ الْعَظِيمِ وَغَيْرِ الْمُوصُوفِ، إِذْ قَدْ أَعَدَّ عِلَاجَاتٍ عَدِيدَةً لِهَذَا النُّوعِ مِنَ الْجَرَاحَاتِ.

خَاتَمَةُ عِبَارَةٍ عَنْ مُلَخَّصِ لِمُحْتَوَى الْعِظَةِ.

فَلْنَتَوَقَّفْ إِنْ عَنِ الْحَدِيثِ، كَسِي لَا يَخْدُتْ هُنَا مَا قَدْ تَخَوَّفْنَا مِنْهُ فِي الْبِدَايَةِ، فَالْكَلَامُ الْكَثِيرُ

^{١٥٨} مز ١٣٠ : ١

^{١٥٩} حرفيًا العزاء : παραμυθία

يُرْهِقُ ذَاكِرَتَكُمْ. لِذَلِكَ فَمِنَ الضَّرُورِي أَنْ نُلْخِصَ
بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ مَا قَدْ قُلْنَا، فَهَذَا مَا تَفَعَّلُهُ الْأُمَهَاتُ
عِنْدَمَا تَضَعْنَ قَوَائِمَهُنَّ أَوْ ثَمَارًا يَابِسَةً^{١٦٠} وَمَا شَابِهَهُنَّ،
فِي (الْجُيُوبِ الْمُعَلَّقَةِ عَلَى) صَدْرِ الْأَطْفَالِ لِكَيْ لَا
يَسْقُطَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الثَّمَارِ الَّتِي أُعْطَتْهَا الْأُمَهَاتُ
لَهُنَّ، بِسَبَبِ عَدِيمِ انْتِبَاهِهِنَّ، حَيْثُ جَمَعْنَهَا مِنْ كُلِّ
مَكَانٍ، وَوَضَعْنَهَا فِي السُّتْرَةِ الْبَسِيطَةِ حَرِيصَاتٍ
عَلَى رَبْطِهَا بِالْحِزَامِ، وَهَذَا مَا سَوْفَ أَفَعَلُهُ أَنَا،
فَسَوْفَ أَخْصُرُ الْكَلَامَ الَّذِي قَدْ عَرَضْتُهُ بِاسْتِيفَاضَةٍ،
وَكُلِّي ثِقَةً بِأَنَّهُ سَوْفَ يُحْفَظُ فِي الذَّاكِرَةِ.

قَدْ اسْتَمَعْتُمْ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ بَذْلُ أَيِّ جَهْدٍ لِإِظْهَارِ
أَنَّ الْكَسَلَ هُوَ شَرٌّ عَظِيمٌ، وَأَنَّهُ بِسَبَبِهِ قَدْ تَعَثَّرَ بِسُهُولَةٍ حَتَّى
ذَلِكَ الَّذِي يَعِيشُ بِحَيَاةِ التَّدْقِيقِ، وَتَعْرِفُونَ كَمْ نَحْتَاجُ إِلَى
النِّيَظَةِ، وَبِالْأَخْصِ فِي نِهَايَةِ حَيَاتِنَا، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَى مَنْ
يُحَاوِلُ التَّوْبَةَ أَلَّا يَنْيَاسَ بِسَبَبِ مَعَاصِيهِ، وَلَا ذَاكَ الَّذِي
يُمَارِسُ الْفَضِيلَةَ أَنْ يَثِقَ فِي ذَاتِهِ. فَقَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اخْتِلَافِ

^{١٦٠} المقصود هو "المكسرات" وغيرها.

الخطايا، لكي لا تَفْتَتُوا بِالْأَجْسَادِ الْبَرَّاقَةِ، وَقَدْ أَوْضَحْتُ لَكُمْ كَمْ مِنْ شَرٍّ يَأْتِي مِنْ وِرَاءِ ذَلِكَ، فَلْتَتَذَكَّرُوا كُلَّ مَا قَدْ قُلْتُهُ عَنِ الْكِبْرِيَاءِ وَعَنِ الْأَفْكَارِ الشَّرِيرَةِ. فَتَرْحَلْ مِنْ هُنَا وَنَحْنُ مُحْتَفِظُونَ بِمَا قِيلَ، وَأَفْضَلُ حِفْظًا لِهَذَا هُوَ أَنْ نَقْبَلَ بِشَكْلِ تَامٍ نَصَائِحَ الْمُعَلِّمِ الصَّالِحِ^{١٦١}، لِأَنَّ مَا يَخْصُنِي (مِنْ وَعِظٍ)، يَحْمِلُ طَابِعَ الشَّبَابِ بَيْنَمَا مَا يَخْصُ الْمُعَلِّمَ مُرَبِّينَ بِعِنَايَةِ الشُّيُوخِ، وَكَذَلِكَ مَا يَخْصُنِي يُشْبِهُ الْعَدِيرَ الَّذِي يَأْتِي مِنَ الْجُدُورِ، بَيْنَمَا مَا يَخْصُهُ يُشْبِهُ النَّبْعَ الَّذِي يَتَدَفَّقُ مِنَ الْأَنْهَارِ بِهَدُوءٍ شَدِيدٍ، الَّتِي تُحَاكِي سَرَيَانَ الزَّيْتِ وَلَيْسَ الْمَاءَ.

فَلْنَقْبَلِ الْمِيَاهَ الْمُتَدَفِّقَةَ، حَتَّى يَصِيرَ فِي دَاخِلِنَا مَصْدَرُ الْمَاءِ الَّذِي سَوْفَ تَتَدَفَّقُ مِنْهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ، الَّتِي نَتَرَجَّى أَنْ نَنَالَهَا كُلَّنَا بِنِعْمَةٍ وَمَحَبَّةِ الْبَشَرِ اللَّوَاتِي لِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي يَلْتَنِقُ بِهِ الْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالْقُوَّةُ مَعَ الْآبِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، الْآنَ وَكُلَّ آوَانٍ وَإِلَى ذَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ.

^{١٦١} المقصود بالمعلم هنا هو الأسقف "فلافيان" أنظر المقدمة ص ٣٢.

العظة الخامسة

عَنْ نِهَايَةِ عَزِّيَّا. ١٦٢

مُقَدِّمَةٌ عَنْ مَوْضُوعِ الْعِظَةِ

١- هَيَّا بَنَاتِ لِنَاتِ إِلَى نِهَايَةِ قِصَّةِ عَزِّيَّا،
وَنَضَعُ حَادًّا لِلْحَدِيثِ عَنْهُ، كَيْ لَا نَكُونُ مَوْضِعَ
سُخْرِيَةٍ، مِثْلَ ذَلِكَ الَّذِي شَرَعَ فِي بِنَاءِ الْبُرْجِ - (كَمَا
هُوَ مَذْكُورٌ) فِي الْآنَاجِيلِ - وَلَمْ يَسْتَطِعْ^{١٦٣}، أَلَعَلَّ
أَحَدًا مِنْ أَوْلِيَّكَ الْحُضُورِ يَقُولُ عَنَّا "هَذَا الْإِنْسَانُ
ابْتَدَأَ يَبْنِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكْمَلَ".^{١٦٤}، وَلَكِي بِصِيرَ
كَلَامِي أَكْثَرَ وَضُوحًا لَكُمْ، فَمِنْ الضَّرُورِيِّ أَنْ أُعَيِّدَ
عَلَيْكُمْ بَعْضًا مِمَّا قَدْ ذَكَرْتُهُ سَابِقًا، لَكِي لَا يَدْخُلَ

^{١٦٢} فِي بَعْضِ الْمَخْطُوطَاتِ يُوجَدُ عُنْوَانٌ مُخْتَلِفٌ: "عَنْ قَوْلِ إِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: " فِي
سَنَةِ وَفَاءِ عَزِّيَّا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ " (أش ٦: ١)، وَبُرْهَانُ
أَنْ عَزِّيَّا قَدْ أُصِيبَ بِالْزَّرَصِ عَنْ حَقٍّ، لِأَنَّهُ بَخَرٌ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ، الْأَمْرُ الَّذِي لَا يَجُوزُ لِلْمُلُوكِ
بَلْ لِلْكَهَنَةِ فَقَطْ."

^{١٦٣} أَنْظِرْ لَوْ ٢٨: ١٣

^{١٦٤} لَوْ ١٤: ٣٠

كَلَامِي الْمَسْرَحِ الرُّوحِي بِذُنُونِ رَأْسٍ، بِلِ لَيَاخُذْ
وَجْهَهُ الْمَأْلُوفَ، حَتَّى يَتَمَكَّنَ الْمُشَاهِدُونَ مِنْ
التَّعَرُّفِ عَلَيْهِ^{١٦٥}. وَسَوْفَ يَكُونُ الْأَمْرُ بِالتَّأَكُّدِ لِمَنْ
سَمِعُوا فِي السَّابِقِ بِمِثَابَةِ تَذْكَرَةِ، وَبِالنَّسْبَةِ لِمَنْ يَسْمَعُ
لِلْمَرَّةِ الْأُولَى تَعْلِيمًا. تَحَدَّثْنَا فِي السَّابِقِ كَيْفَ أَنَّ
عُزِّيَا كَانَ تَقِيًّا، وَقُلْنَا كَيْفَ صَارَ شَرِيرًا وَكَذَلِكَ مُنْذُ
مَتَى وَإِلَى أَيِّ مَرْحَلَةٍ مِنَ الْكِبَرِيَاءِ قَدْ سَقَطَ. الْيَوْمَ
مِنَ الْضَرُورِيِّ أَنْ نَحْدِثَكُمْ كَيْفَ أَنَّهُ دَخَلَ الْهَيْكَلَ
وَكَيْفَ شَرَعَ أَنْ يُبْخَرَ، وَكَيْفَ مَنَعَهُ الْكَاهِنُ، وَكَيْفَ
لَمْ يَتَرَاجَعَ ذَاكَ، وَكَيْفَ جَلَبَ غَضَبَ اللَّهِ، وَكَيْفَ
أَنْهَى حَيَاتِهِ وَهُوَ أَبْرَصٌ، وَلَآي سَبَبٍ تَجَاهَلَ النَّبِيُّ
أَيَّامَ حَيَاتِهِ، وَأَشَارَ إِلَى وَفَاتِهِ، قَائِلًا الْآتِي: " فِي سَنَةِ
وَفَاةِ عُزِّيَا الْمَلِكِ ". لِأَنَّا مِنْ هُنَا قَدْ بَدَأْنَا الْقِصَّةَ مِنْ
أُولَاهَا. وَلَكِنْ لِنَتَنَبَّهَ جَيِّدًا.

^{١٦٥} يُشَبِّهُ ذَهَبِي الْقَمِ الْحَدِيثَ بِذُنُونِ مُقَدِّمَةِ تَرْبِطُ مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ بِمَا سَوْفَ يَسْتَأْنِفُهُ مِنْ
كَلَامٍ، كَذُخُولِ الْمُثَلِّ لِلْمَسْرَحِ بِذُنُونِ رَأْسٍ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمُشَاهِدُونَ تَحْدِيدَ شَخْصِيَّتِهِ، فَهُوَ
يُتْرَكُ سَبَبُ تَكَرُّارِهِ لِمُقَدِّمَةِ قِصَّةِ عُزِّيَا، حَتَّى يَسْتَطِيعَ الْخُضُورُ مِثَابَةَ الْحَدِيثِ.

خطية عَزِيًّا أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ كَبِّحَ أَهْوَاهُ.

يقول (الكتاب): "لَمَّا تَشَدَّدَ عَزِيًّا الْمَلَكُ تَكَبَّرَ قَلْبُهُ بِدَرَجَةٍ قَدْ دَمَرَتْهُ، فَأَخْطَأَ قُدَّامَ الرَّبِّ إِلَهِهِ" ^{١٦٦}، وَكَيْفَ كَانَ طَرِيقُ خَطِيئَتِهِ؟ يَقُولُ: "دَخَلَ إِلَى هَيْكَلِ الرَّبِّ حَتَّى يُنْخِرَ عَلَى مَذْبَحِ الْبُخُورِ" ^{١٦٧}، كَمْ هِيَ جَرَاةٌ شَدِيدَةٌ، كَمْ هِيَ بِجَاحَةٍ، فَأُظْهِرَ تَطَاوُلًا أَمَامَ حَرَمِ الْهَيْكَلِ، أُحْتَلَّ قُدْسُ الْأَقْدَاسِ، مَكَانًا مُحَرَّمًا عَلَى الْجَمِيعِ، مَا عَدَا رَئِيسَ الْكَهَنَةِ، وَشَرَعَ فِي أَنْ يُدْنِسَهُ، وَهَكَذَا هِيَ النَّفْسُ الَّتِي تَصِلُ إِلَى الْكِبْرِيَاءِ. فَعِنْدَمَا تَنَاسُّ مِنْ خَلَاصِهَا لَا تَتَوَقَّفُ حَمَاقَتُهَا فِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ، تَارِكَةً لِحَامِ خَلَاصِهَا، مُنْقَادَةً مِنْ شَهَوَاتِهَا الْبُهْنِمِيَّةِ، كِمِثْلِ جَوَادٍ جَامِحٍ، قَدْ خَلَعَ لِحَامَهُ مِنْ فَمِهِ، وَقَذَفَ بِرَاكِبِهِ مِنْ عَلَى ظَهْرِهِ، يَخْرِي بَأَكْثَرِ تَهَوُّرًا، تَحْمِلُهُ كُلُّ رِيحٍ، وَكُلُّ مَنْ يُقَابِلُهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَكْبَحَهُ، الْجَمِيعُ يَتَجَنَّبُهُ وَلَا يَتَجَاسَرُ اخْدُ أَنْ

^{١٦٦} أش ٦: ١

^{١٦٧} مل ٢٦: ١٦

يُقَوِّضُهُ. هَكَذَا النَّفْسُ أَيْضًا عِنْدَمَا تَطْرَحُ عَنْهَا مَخَافَةَ
اللهِ الَّتِي تَكْبِخُ وَتَنْزَعُ كُلَّ فِكْرٍ يَقُودُهَا، فَإِنَّهَا تَجْرِي
وَرَاءَ أَمَاكِنِ الرَّذِيلَةِ، حَتَّى تُقَوِّضَ خَلَاصَهَا بِتَسْرُعٍ
فَتَهْوَى فِي أَعْمَاقِ الْهَلَاكِ. وَمِنْ ثَمَّ يَجِبُ أَنْ تُكْبِخَ
النَّفْسُ بِاسْتِمْرَارٍ بِأَفْكَارِ النَّقْوَى، كَمَثَلِ اللِّجَامِ، وَأَنْ
تُرَوِّضَ دَوَافِعَهَا الْبَهِيمِيَّةَ، الْأَمْرُ الَّذِي لَمْ يَقُمْ بِهِ
عَزِيًّا، بَلْ أَنَّهُ تَطَلَّوْا عَلَى هَذِهِ السُّلْطَةِ الْأَعْلَى مِنْ
أَيِّ سُلْطَةٍ أُخْرَى. لِأَنَّ الْكَهَنُوتَ أَكْثَرُ رِفْعَةً مِنْ
الْمَلِكِ نَفْسِهِ، وَسُلْطَةً أَعْظَمَ.

الكَاهِنُ يَحْتَلُ مَكَانَةً أَعْلَى مِنَ الْمَلِكِ.

فَلَا تَحْذَنِّي عَنِ الرِّدَاءِ الْأَرْجَوَانِي، أَوْ
التَّاجِ أَوْ الثِّيَابِ الذَّهَبِيَّةِ، كُلُّ هَذَا سَرَابٌ^{١٦٨} وَأَقْلُ
قِيَمَةٍ مِنْ زُهُورِ الرِّبْعِ، لِأَنَّهُ يَقُولُ: "كُلُّ مَجْدِ
الْإِنْسَانِ مِثْلُ زَهْرِ الْعُشْبِ"^{١٦٩}، وَهَكَذَا إِنْ كُنْتَ
تَتَحَدَّثُ عَنْ مَجْدِ الْمُلُوكِ فَلَا تَقُلْ لِي هَذَا، وَلَكِنْ إِنْ

^{١٦٨} حرفيًا: ظلالٌ .

^{١٦٩} أش ٤٠: ٦ بحسب الترجمة السبعينية.

سُئِلَتْ أَنْ تَعْرِفَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْكَاهِنِ وَالْمَلِكِ، فَاُنْظُرْ
إِلَى السُّلْطَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لِكُلِّ مِنْهُمَا، فَسَوْفَ تَرَى
كَيْفَ أَنَّ الْكَاهِنَ يَحْتَزُّ مَكَانَةً أَعْلَى مِنَ الْمَلِكِ، لِأَنَّهُ
إِنْ كَانَ الْعَرْشُ الْمَلَكِي يَظْهَرُ لَنَا أَكْثَرَ جَلَالاً بِسَبَبِ
الْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ الْمُرَصَّعَةِ عَلَيْهِ، وَالذَّهَبِ الَّذِي
يَرْتَدِّيهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أُسْنِدَ إِلَيْهِ تَذْيِيرُ الْأُمُورِ
الْأَرْضِيَّةِ، وَلَيْسَ لَهُ أَيُّ شَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ تِلْكَ السُّلْطَةِ،
فَإِنَّ عَرْشَ الْكَهَنُوتِ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَقَدْ
عُهِدَ إِلَيْهِ تَذْيِيرُ الْأُمُورِ السَّمَاوِيَّةِ. فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ
هَذَا؟ أَنَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ نَفْسُهُ، لِأَنَّهُ قَالَ: "كُلُّ مَا
تَرِبْطُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَاءِ،
وَكُلُّ مَا تَحْلُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي
السَّمَاءِ" ١٧٠ فَيُكْرِمُ مُسَاوِيَةً لِهَذِهِ؟ مِنَ الْأَرْضِ
تَأْخُذُ السَّمَاءُ سُلْطَةً الدِّيُونُونَةِ! لِأَنَّ الْقَاضِيَ يُقِيمُ فِي
الْأَرْضِ، وَالسَّيِّدُ يَتَّبِعُ الْعَبْدَ ١٧١، فَمَا يَقْرُرُهُ هَذَا مِنْ

١٧٠ مت ١٨: ١٨

١٧١ أي أَنَّ الرَّبَّ فِي السَّمَاءِ يَسْتَجِيبُ لِقَرَارِ الْكَاهِنِ عَلَى الْأَرْضِ بِالْحِلِّ أَوْ الرِّبْطِ.

أَسْفَلَ يُؤَيِّدُهُ ذَاكَ مِنْ أَعْلَى. فَالكَاهِنُ مَكَائُهُ بَيْنَ اللَّهِ
وَبَيْنَ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَيُنْقِلُ إِلَيْنَا الْكَرَامَاتِ الَّتِي
تَهْبِطُ عَلَيْنَا مِنْ هُنَاكَ، وَيُصْعِدُ تَضَرُّعَاتِنَا إِلَى هُنَاكَ،
وَيُتِمُّ الْمُصَالَحَةَ عِنْدَمَا يَغْضِبُ عَلَى طَبِيعَتِنَا،
وَعِنْدَمَا نَصْطَلِمُ مَعَهُ يَنْتَشِلُنَا مِنْ يَدَيْهِ، لِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ
يُخْضِرُ رَأْسَ الْمَلِكِ وَيَضَعُهَا بَيْنَ يَدِ الْكَاهِنِ (لِأَخْذِ
الْبَرَكَاتِ)، حَتَّى يُعَلِّمَنَا أَنَّهُ (أَيُّ الْكَاهِنِ) أَعْظَمُ فِي
الرِّيَاسَةِ مِنْ ذَاكَ (الْمَلِكِ). لِأَنَّ "الْأَصْغَرَ يُبَارَكُ مِنَ
الْأَكْبَرِ" ^{١٧٢}. أَمَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْكَهَنُوتِ وَعَظْمَةِ
اسْتِحْقَاقِهِ فَسَوْفَ نَتَحَدَّثُ عَنْهُ فِي فُرْصَةٍ أُخْرَى ^{١٧٣}.

أَمَا الْآنَ دَعَوْنَا نَرَى حَجْمَ ظُلْمِ الْمَلِكِ أَوْ
بِالْحَرِيِّ الطَّاعِيَةِ. فَقَدْ دَخَلَ إِلَيَّ هَيْكَلِ الرَّبِّ، وَخَفَّاهُ
عَزْرِيَا الْكَاهِنِ ^{١٧٤}، هَلْ قَدْ إِدْعَيْتَ بِالْبَاطِلِ أَنَّ الْكَاهِنَ

^{١٧٢} عب ٧: ٧

^{١٧٣} أَلْفَى الْقُدَيْسُ يُوَحِّدُنَا دَهَبِي الْفَمِ عَظَائِيَّةَ الشَّهِيدَةِ غَنِ الْكَهَنُوتِ عِنْدَمَا كَانَ شَمَاسًا،
وَذَلِكَ عَامَ ٣٨٦ وَفَقًا لِسُقْرَاطِ الْمُؤَرِّخِ H.E. VI, 3 ; PG 67, 668 ، يَتِيمًا يُخْبِرُنَا
جِيزُومُ أَنَّهُ قَدْ أَنْهَاهَا عَامَ ٣٩٢. وَرُبَّمَا أَلْفَاهَا بَعْدَ هَذِهِ الْعِظَةِ الَّتِي أَلْفِيَتْ عَامَ ٣٨٨.

^{١٧٤} راجع ٢٦: ١٦-١٧

أَعْلَى مَقَامًا مِّنَ الْمَلِكِ؟ وَلَكِنْ قَدْ أَتَى الْكَاهِنُ كَي
يُخْرِجَهُ لَيْسَ كَمَلِكٍ، بَلِ كَعَبْدٍ هَارِبٍ وَجَاحِدٍ، وَهَجَمَ
عَلَيْهِ مَثَلُ كَلْبٍ شُجَاعٍ عَلَى وَخَشٍ نَجَسٍ لِكَي
يُخْرِجَهُ مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ.

جَسَارَةُ الْكَاهِنِ فِي الْحَقِّ ١٧٥.

٢- أَرَأَيْتَ نَفْسَ الْكَاهِنِ وَهِيَ مُمْتَلِئَةٌ جَسَارَةً
شَدِيدَةً مَعَ حُسْنِ التَّصَرُّفِ؟ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى حَجَمِ
السُّلْطَةِ، لَمْ يُفَكِّرْ فِي مَادَا يَعْنِي أَنْ يَكْبَحَ نَفْسًا مُقْعَمَةً
بِالشَّهْوَةِ، لَمْ يُبَلِّ بِمَا قَالَهُ سُلَيْمَانُ: "كَزَمَجَرَةَ الْأَسَدِ
حَنَقَ الْمَلِكِ" ١٧٦، مُحَصِّنًا نَفْسِهِ مِنْ تِلْكَ الْإِفْكَارِ،
مُسْرِعًا إِلَى مُوَاجَهَةِ الطَّاعِنَةِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ بَلَّ
وَيَعْلَمُ جَيْدًا، أَنَّ حَنَقَ الْمَلِكِ كَزَمَجَرَةَ اللَّيْثِ لِأَوَّلِيكَ
الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَرْضِ. وَلَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لِلْإِنْسَانِ

١٧٥ قَارَنَ بَيْنَ مَوْقِفِ وَشَجَاعَةِ زَكْرِيَّا رَئِيسِ الْكَهَنَةِ أَمَامَ الْمَلِكِ عَزْرِيَّا وَبَيْنَ مَوْقِفِ
الْقُدِّيسِ يُوْحَنَّا دَهَبِي الْفَمِّ مَعَ الْإِمْبِرَاطُورَةِ أُنْثُوكِيْسِيَا، عِنْدَمَا لَمْ يَتَرَدَّدْ فِي مَنَعِهَا مِنْ دُخُولِ
الْكَنِيسَةِ لِاسْتِثْلَانِهَا عَلَى حَقْلِ امْرَأَةٍ ظَلَمًا، بَعْدَ رَفْضِهَا كُلَّ مُحَاوَلَاتِهِ مَعَهَا بِالْهُدُوءِ.

الذي يَتَطَلَّعُ إِلَى السَّمَاءِ فَهُوَ مُسْتَعِدٌّ أَنْ يَبْذُلَ نَفْسَهُ
دَاخِلَ الْحَرَمِ الْمُقَدَّسِ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَنْغَاضِيَ عَنْ
انْتِهَاكِ الشَّرَائِعِ الْمُقَدَّسَةِ. أَمَّا ذَلِكَ (الْمَلِكُ) فَكَانَ اتَّقَاهُ
مَنْ أَيْ كُلِّبٍ. لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَكْثَرُ ضَعْفًا مِنْ تَجَاوُزِ
الشَّرَائِعِ الإِلَهِيَّةِ، وَبِالْمِثْلِ لَا يُوجَدُ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْ
الَّذِي يُدَافِعُ عَنِ الشَّرَائِعِ الإِلَهِيَّةِ، (لَأَنَّهُ قِيلَ) " إِنَّ
كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيئَةِ " ^{١٧٧}، حَتَّى لَوْ
أَنَّ ذَاكَ (الْمَلِكُ) كَانَ عِنْدَهُ تَيْجَانٌ لَا حَصْرَ لَهَا عَلَى
رَأْسِهِ، وَلَكِنْ مَنْ يَعْمَلُ الْبِرَّ فَإِنَّهُ أَكْثَرُ مُلْكًا مِنَ الْمَلِكِ
ذَاتِهِ (مُلْكُهُ أَعْظَمُ)، حَتَّى لَوْ كَانَ فِي مَوْضِعِ الْأَخِيرِ
فِي كُلِّ شَيْءٍ. إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيَدْعُو لِلتَّأَمُّلِ فِي ذَاكَ
الكَاهِنِ النَّبِيلِ الَّذِي وَاجَهَ الْمَلِكَ.

اللطْفُ مَطْلُوبٌ عِنْدَ التَّوْبِيخِ.

هَيَّا بِنَا نَدْخُلْ نَحْنُ أَيْضًا، إِنْ أُمَكُنْ ذَلِكَ،
لِنَرِيَ مَاذَا قِيلَ لِلْمَلِكِ، لِأَنَّهُ لَا يَسِيءُ فَائِدَةً هِينَةً أَنْ
نَرَى مَلِكًا يُتَوَبَّخُ مِنْ قِبَلِ كَاهِنٍ، فَمَاذَا قَالَ

إِنَّ الْكَاهِنَ: "«لَيْسَ لَكَ يَا عَزْرِيَا أَنْ تُوقِدَ لِلرَّبِّ»" ١٧٨
 فَلَمْ يُسَمِّهِ مَلَكًا، وَلَمْ يَدْعُهُ بِاسْمِ سُلْطَتِهِ، لِأَنَّهُ قَدْ سَبَقَ
 وَجَرَّدَ ذَاتَهُ مَنْ أَيِّ كَرَامَةٍ. فَهَلْ رَأَيْتَ جَسَارَةَ
 الْكَاهِنِ؟ فَانْظُرِ الْآنَ وَدَاعَتَهُ، لِأَنَّنَا لَا نَحْتَاجُ فَقَطُ
 الْجَرَأَةِ بَلْ بِالْأَكْثَرِ الْوَادَعَةَ عِنْدَمَا يَنْطَلُبُ الْأَمْرُ
 التَّوْبِيخَ، لِأَنَّ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُخْطِئُونَ لَا يُمَقِّتُونَ وَلَا
 يَكْرَهُونَ إِنْسَانًا بِشِدَّةٍ أَكْثَرَ مِنَ الَّذِي يُوَبِّخُهُمْ،
 وَيَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَجِدُوا حُجَّةً حَتَّى يَقْلُتُوا هَرَبًا مِنَ
 الْمَلَامَةِ، لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ نُحِيطَهُمْ بِالْوَدَاعَةِ
 وَالْإِعْتِدَالِ، لِأَنَّ الْأَمْرَ الْمُخْزِنَ وَالسَّيِّئَ بِالنِّسْبَةِ
 لِمُرْتَكِبِي الْخَطِيئَةِ لَيْسَ فَقَطُ صَوْتِ مَنْ يُوَبِّخُهُمْ بَلْ
 فَقَطُ مُجَرَّدِ مَنْظَرِهِ أَمَامَهُمْ، لِأَنَّهُ يَقُولُ: "بَلْ مَنْظَرُهُمْ
 تَقْوِيلٌ عَلَيْنَا" ١٧٩ لِذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَخَلَّى بِوَدَاعَةٍ
 كَثِيرَةٍ. فَإِنَّ كَلِمَةَ (الْكِتَابِ) قَدْ قَدَمَتْ لَنَا مَنْ أَخْطَأَ
 وَمَنْ وَبَّخَهُ عَلَى خَطِيئَتِهِ، لِأَنَّهُ كَمَسَا أَنَّ الْأَطْبِيسَاءَ

١٧٨ مل ٢٦: ٨

١٧٩ حكمة سليمان ٢: ١٥

الْحُكَمَاءَ، عِنْدَمَا يَشْرَعُونَ فِي قَطْعِ الْأَعْضَاءِ
 الْفَاسِدَةِ، أَوْ يَنْزَعُونَ شَوَائِبَ قَدْ غُرِزَتْ فِي مَسَامِ
 الْجَسَدِ، أَوْ يُصَلِّحُونَ أَيَّامَ مِنَ الْعُيُوبِ الطَّبِيعِيَّةِ
 الْآخَرَى، فَلَا يَأْخُذُونَهُ فِي رُكْنٍ (زَاوِيَّةٍ)، بَلْ فِي
 السَّاحَةِ وَيَتَجَمَّعَ حَوْلَهُ الْمُشَاهِدُونَ مِنَ الْحُضُورِ،
 وَهَكَذَا يُتِمُّونَ عَمَلِيَّةَ الْبَثْرِ، وَهَذَا يَفْعَلُونَهُ لَا لِكَيْ
 يُشْهِرُونَ بِمَعَانَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، بَلْ لِكَيْ يَغْنِثِي جَيِّدًا كُلَّ
 وَاحِدٍ بِصِحَّتِهِ. وَبِالْمِثْلِ هَذَا مَا يَفْعَلُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ،
 فَعِنْدَمَا يَتِمُّ الْإِمْسَاكُ بِشَخْصٍ مِنْ أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ
 يُخْطِئُونَ فَإِنَّ الْكِتَابَ يَضَعُهُ عَلَى مَنْبَرٍ عَالٍ، وَلَكِنْ
 لَيْسَ فِي وَسْطِ سَاحَاتٍ عَامَةٍ^{١٨٠} بَلْ فِي وَسْطِ
 الْأَرْضِ (كُلِّهَا)، وَطَالَ مَا وَقَفَ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ
 مَسَرِّحِ الْمَسْكُونَةِ، حِينَئِذٍ يُقَدِّمُ الْكِتَابَ الشِّفَاءَ، مُعَلِّمًا
 إِيَّانَا أَنْ نَكُونَ أَكْثَرَ حِرْصًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورِ
 خَلَاصِنَا.

^{١٨٠} حرفيا (الأسواق): ἀγορά

عَزْرِيَا الْكَاهِنُ يَسْتَعْمِلُ اللَّطْفَ مَعَ التَّوْبِيخِ.

فَلِنَنْظُرْ بِأَيِ طَرِيقَةٍ شَرَعَ الْكَاهِنُ حِينَئِذٍ يُقَوِّمُ
حَالَهُ، فَلَمْ يَقُلْ لَهُ: "أَيُّهَا الدِّيسُ النَّجَسُ، قَدْ انْقَلَبْتَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَتَمَادَيْتَ إِلَيَّ أَفْصَى دَرَجَةٍ مِنْ عَدَمِ
التَّقْوَى" وَلَمْ يَسْتَرْسِلْ فِي تَوْجِيهِهِ عِبَارَاتٍ مُطَوَّلَةً مِنْ
الْإِتْهَامَاتِ، وَلَكِنْ كَمَثَلِ الْجِرَاحِيِّ يُسْرِعُونَ فِي
عَمَلِ الْجِرَاحَةِ سَرِيعًا، وَبِسُرْعَةٍ إِجْرَائُهَا يَحْدُونَ مِنَ
الْإِم (الْمَرِيضِ). وَكَذَا ذَاكَ (الْكَاهِنُ) بِاخْتِصَارِهِ فِي
الْحَدِيثِ قَدْ أَوْقَفَ هَيَاجَ الْمَلِكِ وَوَقَّاحَتَهُ عِنْدَ حَدُّهُمَا،
لَأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَثْرَ نَافِعٌ لِلْجِرَاحِ كَذَلِكَ التَّوْبِيخُ
لِلْخُطَاةِ. لَأَنَّهُ أَظْهَرَ رَافَقَتَهُ بِإِجْرَائِهِ فِي الْكَلَامِ، أَمَّا
مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَرَى الْبَثْرَ فِي كَلَامِهِ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ
كَيْفَ أَنَّهُ أَخْفَى السَّكِينِ الْحَادِ^{١٨١}؟، اسْمَعْ مَا يَقُولُهُ:
"لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُبْخِرَ لِلرَّبِّ بِلِ الْكَهَنَةِ مِنْ نَسْلِ
هَارُونَ الْمُقَدِّسِينَ"، هُنَا أُعْطِيَ الطَّعْنَةُ، بِأَيِ طَرِيقَةٍ؟

^{١٨١} حرفياً: أخفى السكين. τὸ σιδήριον ἐνέκρυπτεν، والمقصود لم يكن حاداً في

كلامه.

سَوْفَ أَخْبِرُكَ.

قِصَّةُ قُورَحَ وَدَاثَانَ وَأَبِيرَامَ.

لأنَّه لَمْ يَقُلْ فَقَطِ "الْكَهَنَةُ" بَلْ زَادَ قَائِلًا :
 "مِنْ نَسْلِ هَارُونَ" الَّذِي كَانَ أَوَّلَ رِئِيسِ كَهَنَةٍ وَفِي
 عَهْدِهِ قَدْ حَدَثَ مِثْلُ هَذَا التَّطَاوُلِ، لِأَنَّ قُورَحَ وَدَاثَانَ
 وَأَبِيرَامَ، قَدْ قَامُوا ضِدَّهُ، مَعَ قَوْمِ آخَرِينَ، وَأَرَادَ
 أُولَئِكَ أَنْ يَكْهَنُوا، غَيْرَ أَنَّ الْأَرْضَ قَدْ فَتَحَتْ فَأَهَا
 وَابْتَلَعَتْ بَعْضًا مِنْهُمْ، وَنَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ
 وَأَحْرَقَتْ قَوْمًا آخَرِينَ مِنْهُمْ، فَأَرَادَ الْكَاهِنُ أَنْ يُذَكِّرَهُ
 بِهَذِهِ الْقِصَّةِ، فَأَشَارَ إِلَى هَارُونَ الَّذِي قَدْ ظَلِمَ، حَتَّى
 يَجْعَلَهُ يُوْجِهُ عَقْلَهُ لِلْكَارِثَةِ الَّتِي حَلَّتْ بِأُولَئِكَ
 الظَّالِمِينَ، وَلَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ أَكْثَرَ مِنْ قِبَلِ الْكَاهِنِ بَلْ
 مِنْ قِبَلِ وَقَاحَةِ الْمَلِكِ. لِأَنَّهُ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَمْدَحَ
 الْكَاهِنَ وَأَنْ يَشْكُرَهُ عَلَى النِّصِيحَةِ، أَمَا ذَاكَ (الْمَلِكُ)
 فَقَدْ حَنَقَ - كَمَا يَقُولُ الْكِتَابُ - وَجَعَلَ جُرْحَهُ

مُخِيفًا^{١٨٢}، لِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَسْوَأُ مِنَ الْخَطِيئَةِ سِوَى
الْوَقَاحَةِ مَنْ بَعْدَ فِعْلِهَا. لَكِنَّ دَاوُدَ لَمْ يَفْعَلْ هَكَذَا، فَبَعْدَ
إِدَانَتِهِ مِنْ قَبْلِ نَاتَّانَ (النَّبِيِّ) بِسَبَبِ بِنْتِشَبِعَ قَالَ
"أَخْطَأْتُ لِلرَّبِّ"^{١٨٣}.

٣- أَرَأَيْتَ قَلْبًا مُنْسِحِقًا؟ أَرَأَيْتَ نَفْسًا مُتَضِيعَةً؟
أَرَأَيْتَ كَيْفَ أَنَّ سَقَطَاتِ الْقِدِّيسِينَ بِهَيْئَةٍ^{١٨٤}؟ لِأَنَّهُ كَمَا
أَنَّ الْأَجْسَادَ الْجَمِيلَةَ فِي حَالِ مَرَضِهَا تُرِينَا أَثَارَ
حُسْنِهَا الْعَظِيمَةِ، هَكَذَا فَإِنَّ أَنْفُسَ الْقِدِّيسِينَ أَيْضًا
بِمَثَلِ تِلْكَ الْخَطَايَا (التَّعْدِيَاتِ) يُظْهِرُونَ لَنَا مَلَامِحَ
فَضَائِلِهِمْ. وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ذَاكَ (أَيَّ دَاوُدَ) قَدْ قَبِلَ
الْإِدَانَةَ مِنْ قَبْلِ النَّبِيِّ فِي الْقُصُورِ وَأَمَامَ الْكَثِيرِينَ،
إِلَّا أَنَّ هَذَا (أَيَّ غُزِّيَا) كَانَ الْحَرَمُ دَاخِلَ الْهَيْكَلِ دُونَ
أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ شَاهِدٌ وَاجِدٌ، لَكِنَّهُ وَلَا حَتَّى فِي هَذِهِ
الْحَالِ إِحْتِمَالِ التَّائِيِبِ. فَمَاذَا حَدَّثَ يَا ثُرَى؟ هَلْ بَقِيَ

^{١٨٢} المقصود: تَفَاقَمَتْ خَطِيئَتُهُ

^{١٨٣} مل ١٢: ١٣

^{١٨٤} بِسَبَبِ أَنَّهُ يَتَّبِعُهَا ثَوْبَةٌ عَظِيمَةٌ وَمُشْرِقَةٌ كَثُوبَةٌ دَاوُدَ.

بِلا شِفَاءٍ؟ إِبْلَاقًا لِأَنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْبَشَرِ، وَلَكِنْ كَمَا
فِي حَالَةِ الشَّابِّ الَّذِي كَانَ بِهِ صَرَعٌ، عِنْدَمَا لَمْ
يَسْتَطِعِ التَّلَامِيذُ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهُ الشَّيْطَانَ، قَالَ
الْمَسِيحُ: " قَدِّمُوهُ إِلَيَّ هَهُنَا! " ^{١٨٥} وَهَكَذَا أَيْضًا،
عِنْدَمَا لَا يَسْتَطِيعُ الْكَاهِنُ أَنْ يَنْزِعَ الْمَرَضَ الْأَكْثَرَ
ثَقُلًا مِنْ أَيِّ شَيْطَانٍ أَيْ الْخَطِيئَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ بِنَفْسِهِ
يَتَعَهَّدُ هَذَا الْمَرِيضَ. فَمَاذَا فَعَلَ؟ أَصَابَهُ بِالْبَرَصِ فِي
جَبْهَتِهِ، فَيَقُولُ الْكِتَابُ أَنَّهُ عِنْدَمَا هَدَدَ الْكَاهِنُ ظَهَرَ
بَرَصٌ فِي جَبْهَتِهِ، وَخَرَجَ عَلَى الْفُورِ كَمَثَلِ أَوْلِيكَ
الَّذِينَ يُسَافِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ، الَّذِينَ تَوَضَّعُ عَلَى
أَفْوَاهِهِمْ حَبَالٌ، عَلَامَةٌ عَلَى قَرَارِ الْإِدَانَةِ، وَبِالْمَثَلِ
فَذَلِكَ ظَهَرَ عَلَى جَبْهَتِهِ عَلَامَةٌ خَزِيَّةٌ، دُونَ أَنْ يَجْرَهُ
الْجَلَادُونَ، وَلَكِنَّ الَّذِي سَحَبَهُ هُوَ الْبَرَصُ ذَاتَهُ الَّذِي
ضَرَبَ رَأْسَهُ بَدَلًا مِنَ الْجَلَادِينَ. دَخَلَ لَيْسَتْخُودٌ
عَلَى الْكَهَنُوتِ فَخَسِرَ مُلْكُهُ، دَخَلَ لِيَكُونَ أَكْثَرَ وَقَارًا،
فَخَرَجَ أَكْثَرَ بَشَاعَةً، لِأَنَّهُ كَانَ فِي وَضْعٍ شَائِنٍ أَكْثَرَ

مِنْ أَيِّ قَرْدٍ نَجِسٍ، فَكَمْ هُوَ شَيْءٌ سَيِّئٌ أَلَا تَبْقَى فِي
الْحُدُودِ الَّتِي أَقَامَكَ اللَّهُ فِيهَا، سَوَاءً كَانَتْ لِرُتْبَةٍ
وَزَيْفَةٍ أَوْ لِعَمَلٍ خَاصٍ بِالْمَعْرِفَةِ. أَلَا تَرَى هَذَا
الْبَحْرَ وَكَيْفَ لَا يُقَاوِمُ بِجَبَرُوتِهِ، وَكَمْ يَزْتَفِعُ
بِالْأَمْوَاجِ، وَلَكِنَّهُ بِالرُّغْمِ مِنْ إِرْتِفَاعِهِ لِمُسْتَوَى عَالٍ
وَسَرِيَانِهِ السَّرِيعِ بَغْضَبٍ مَهُولٍ إِلَّا أَنَّهُ عِنْدَمَا يَصُلُّ
إِلَى الْمُسْتَوَى الَّذِي حَدَّدَهُ لَهُ اللَّهُ، فَإِنَّ أَمْوَاجَهُ تَنْحَلُّ
وَتَتَحَوَّلُ لِرَغْوَةٍ وَتَأْتِي عَلَى أَعْقَابِهَا. فَمَاذَا يَأْتُرِي
أَضْعَفُ مِنْ رِمْلِ الْبَحْرِ؟ لَكِنَّ لَيْسَ هُوَ الَّذِي يُعِيقُ
الْأَمْوَاجَ وَلَكِنَّ مَخَافَةَ ذَلِكَ الَّذِي قَدْ وَضَعَ لَهَا
حَدًّا^{١٨٦}، وَلَكِنَّ إِنْ لَمْ تَنْتَعْظِ^{١٨٧} مِنْ هَذَا الْمَثَلِ،
فَلَأَعْلَمَكَ مَا قَدْ حَدَثَ لِعُزِّيَّا الَّذِي تَحَدَّثْتُ عَنْهُ.

^{١٨٦} انظر الهوس الرابع : مز ١٤٨ : ٤-٦ " سَبِّحِي يَا سَمَاءُ السَّمَاوَاتِ، وَيَا أَيُّهَا الْمِيَاهُ
الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ. لِيُسَبِّحَ اسْمَ الرَّبِّ لِأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ، وَبَنَيْتُهَا إِلَى الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ، وَضَعَ لَهَا
حَدًّا فَلَنْ تَنْتَعِذَ".

^{١٨٧} حرفيا: تصوير حكيما σωφρονίζει

عُقُوبَةُ اللَّهِ رَحِيمَةٌ

ولكن طالَمَا رَأَيْنَا غَضَبَ اللَّهِ وَالْجَزَاءَ
 الْمُسْتَحَقَّ، فَهِيَ بِنَا نَرَى مَحَبَّتَهُ لِلْبَشَرِ، وَلَنَعْرِضَ
 جَزِيلَ رَأْفَتِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَجِبُ أَنْ نَتَحَدَّثَ فَقَطُ عَنْ
 غَضَبِهِ^{١٨٨}، بَلْ أَيْضًا عَنْ صَلاَحِهِ، حَتَّى لَا نَقُودَ
 مُسْتَمْعِينًا إِلَى الْيَأْسِ أَوْ الْكَسَلِ، وَهَكَذَا قَدْ فَعَلَ
 بُولُسُ، فَقَدْ دَمَجَ نَصِيحَتَهُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ قَائِلًا:
 "فَهُوَ ذَا لُطْفٍ اللَّهُ وَصَرَامَتُهُ"^{١٨٩}، حَتَّى يُقِيمَ مَنْ قَدْ
 سَقَطَ بِالْمَخَافَةِ وَبِالرَّجَاءِ الَّذِي لَا يَخِيبُ، أَرَأَيْتَ
 صَرَامَةَ اللَّهِ؟ فَانْظُرْ أَيْضًا صَلاَحَهُ؟ وَلَكِنَّ كَيْفَ
 سَنَرَى صَلاَحَهُ؟ فَإِنْ كُنَّا نَعْرِفُ أَيَّ شَيْءٍ كَانَ عُزِّيًّا
 يَسْتَحِقُّهُ. وَأَيَّ الْعُقُوبَاتِ كَانَ مُسْتَوْجِبًا؟ فَبِمَجَرَّدِ أَنْ
 مَرَّ مِنَ الرِّوَاقِ الْمُقَدَّسِ كَانَ مُسْتَحِقًّا الْبَرْقِ الَّذِي لَا
 يُخْصَى وَالْعَوَاقِبَ وَالْجَزَاءَ الْمُرَوَّعَ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ
 الْأَوَّلُونَ (قُورُخُ وَأَصْحَابُهُ) الَّذِينَ قَدْ تَجَاسَرُوا بِذَاتِ

^{١٨٨} التعبير باليونانية: περί τῆς ὀργῆς

^{١٨٩} روم ١١: ٢٢

الْفِعْلَةَ، قَدْ عُقِبُوا بِهَذَا الْجَزَاءِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ كَسَانِ
يَجِبُ أَنْ يُعَاقَبَ هُوَ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ، إِذْ لِمَ يَتَعَظُّ مِمَّا
حَلَّ مِنْ مَصَائِبَ عَلَى أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ. لَكِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ وَجَّهَ إِلَيْهِ مِنْ خِلَالِ الْكَاهِنِ كَلَامًا مُمْتَأَنًا
تَسَامَحًا (رَاقَةَ)، وَهَذَا مَا نَصَحَ بِهِ الْمَسِيحُ النَّاسَ أَنْ
يَفْعَلُوهُ عِنْدَمَا يُخْطِئُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ اللَّهُ
مَعَ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّهُ يَقُولُ: "وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ
فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَخُذْكُمَا".^{١٩٠} . وَهَكَذَا
عَاتَبَ اللَّهُ هَذَا الْمَلَكَ. وَالْمَسِيحُ يَقُولُ "وَإِنْ لَمْ
يَسْمَعْ، ... فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَتِيِّ وَالْعَشَّارِ".^{١٩١} ،
وَلَكِنَّ اللَّهَ مِنْ مَحَبَّتِهِ لِلْبَشَرِ قَدْ تَخَطَّى شَرَائِعَهُ، فَلَمْ
يُشَقِّهِ، فَإِنْ كَانَ قَدْ أَظْهَرَ الْعِصْيَانَ وَالسُّخْطَ، فَلَمْ
يَرْفُضْهُ بَلْ قَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَأَدَّبَهُ بِقُصْدٍ أَنْ يُصْلِحَ حَالَهُ
بِالْحَرِيِّ بَدَلًا مِنْ عِقَابِهِ، فَلَمْ يُسْقِطْ عَلَيْهِ بَرْقًا وَلَمْ
يُحْرِقْ رَأْسَهُ الْوَقْحَةَ، وَلَكِنْ أَدَّبَهُ فَقَطْ بِالْبَرَصِ.

^{١٩٠} مت ١٨ : ١٥

^{١٩١} انظر مت ١٨ : ١٦ و ١٧

الحِمْيَةُ مَنْ طَرَدَ الْأَبْرَصَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ

وَمَا يَتَعَلَّقُ بِعُزِّيَّا كَانَ هَذَا، غَيْرَ أَنِّي سَوْفَ
أُضَيِّفُ شَيْئًا وَاحِدًا وَبَعْدَهَا سَوْفَ أَتَوَقَّفُ عَنِ
الْكَلَامِ، فَمَا هُوَ؟ هُوَ أَمْرٌ قَدْ نَاقَشْنَاهُ سَابِقًا فِي الْبِدَايَةِ،
أَلَا وَهُوَ أَنَّهُ بَيْنَمَا فِي الْأُمُورِ الْعَالَمِيَّةِ وَفِي النُّبُوءَاتِ
يَعْتَادُ الْجَمِيعُ أَنْ يُؤَرِّخُوا الْأَزْمَنَةَ بِحَيَاةِ الْمُلُوكِ، لَكِنْ
فِي هَذِهِ الْحَالَةِ تَرَكُّوا هَذَا الْأَمْرَ وَأَشَارُوا إِلَى زَمَانٍ
وَقَاةٍ عُزِّيَّا، فَيَقُولُ الْكِتَابُ: "فِي سَنَةِ وَقَاةٍ عُزِّيَّا
الْمَلِكِ"^{١٩٢}، وَإِنْ كَانَ بِالطَّبَعِ قَادِرًا عَلَى ذِكْرِ عَامٍ
مُلْكِهِ، الْأَمْرُ الَّذِي قَدْ اعْتَادَهُ كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ، فَلِمَ إِذَا يَأْتُرَى؟ بِجَسَبِ النَّامُوسِ الْقَدِيمِ
فَبِإِنَّ الْأَبْرَصَ يَجِبُ أَنْ يُخْرَجَ مَنْ خَارِجَ الْمَدِينَةِ،
حَتَّى يَكُونَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي مَأْمَنِ وَلَكِّي لَا يُعْطَى
لِمَنْ يُرِيدُونَ تَحْقِيقَ دَافِعِ السُّخْرِيَةِ وَالتَّهْكُمِ. فَيَبْقَى
خَارِجَ الْمَدِينَةِ، حَتَّى تَكُونَ وَخَدُّهُ سَاطِرًا عَلَى نَكْبَتِهِ.
وَهَذَا مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهُ هَذَا الْمَلِكُ مِنْ بَعْدِ

الْبَرَصِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُعَانِ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ
كَانُوا يَخْتَرِمُونَهُ لِمَكَانَتِهِ، فَمَكَثَ فِي بَيْتِهِ مُخْتَبَأًا، مِمَّا
أَدَّى إِلَى غَضَبِ اللَّهِ وَمَنْعِ النُّبُوَّةِ، مِثْلَمَا حَدَّثَ هَذَا
فِي عَهْدِ عَلِيِّ (الْكَاهِنِ)، (إِذْ يَقُولُ الْكِتَابُ):
"وَكَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ عَزِيزَةً فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ. لَمْ تَكُنْ
رُؤْيَا كَثِيرًا." ١٩٣

أَمَّا أَنْتَ فَمَنْ فَضِّلِكَ، إِنْتَبِهْ هُنَا إِلَى مَحَبَّةِ
اللَّهِ لِلْبَشَرِ، لِأَنَّهُ لَمْ يُقْلِبِ الْمَدِينَةَ، وَلَمْ يَقْتُلْ سُكَّانَهَا،
بَلْ فَعَلَ كَمَا يَفْعَلُ الْأَصْدِقَاءُ مَعَ أَنْدَادِهِمْ مِنَ
الْأَصْحَابِ، عِنْدَمَا يَكُونُ لَهُمْ حَقٌّ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ
يُعَاتِبُونَهُمْ فِي صَمْتٍ. وَهَكَذَا فَعَلَ اللَّهُ مَعَ الْأُمَّةِ
(الْيَهُودِيَّةِ) الَّتِي كَانَتْ مُسْتَحَقَّةً جَزَاءً وَعِقَابًا عَظِيمًا،
فَكَانَهُ يَقُولُ: أَنَا قَدْ أَخْرَجْتُهُ مِنَ الْهَيْكَلِ أَمَّا أَنْتُمْ فَلَمْ
تُخْرِجُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، أَنَا قَدْ أَصَبْتُهِ بِالْبَرَصِ، وَقَدْ
سَلَّمْتُهُ لَكُمْ كَمِثْلِ عَوَامِ النَّاسِ، أَمَّا أَنْتُمْ وَلَا حَتَّى
سَيَظِرُّمْ عَلَيْهِ، بَلْ أَنَّ هَذَا الَّذِي قَدْ أَدْنَتْهُ أَنَا، لَمْ تَكُنْ

عِنْدَكُمْ الشَّجَاعَةُ أَنْ تُخْرِجُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَأَيُّ
 مَلِكٍ^{١٩٤} هَذَا سَوْفَ يَقْبَلُ هَذَا (العَصِيَّانِ) بِوَدَاعَةٍ وَلَا
 يَقْلِبُ الْمَدِينَةَ مِنْ أَسَاسِهَا عِنْدَمَا يَرَى مَنْ أَمَرَ أَنْ
 يُهَاجَرَ خَارِجَ حُدُودِ الْمَدِينَةِ، مَا كُنَّا فِيهَا؟ وَلَكِنَّ اللَّهَ لَمْ
 يَفْعَلْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ إِلَهٌ وَلَيْسَ إِنْسَانًا، فِعِنْدَمَا انْقَضَتْ حَيَاةُ
 الْمَلِكِ تَوَقَّفَ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى الشَّعْبِ، وَفَتَحَ أَبْوَابَ
 النَّبَوءَاتِ، وَعَادَ مَرَّةً أُخْرَى بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ. أَمَا أَنْتَ
 فَإِنَّتَبِهْ لِطَرِيقَةِ الْمَصَالِحَةِ وَمَدَى مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلنَّاسِ،
 لِأَنَّهُ إِنْ فَحَصَ أَحَدٌ جَانِبَ الْحَقِّ فَحِينَئِذٍ أَيْضًا مَا كَانَ
 يَجِبُ أَنْ تَحْدُثَ مُصَالِحَةٌ، لِمَذَا؟ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُنْجِزُوا
 مُهِمَّةَ إِخْرَاجِ عَزِّيَّا، لِأَنَّ أَوْلَيْنَكَ لَمْ يَأْخُذُوا بِهِ كَمَا
 يُخْرِجُوهُ بَلْ مَنْ قَامَ بِهِذِهِ الْمُهْمَةِ هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي
 مَنْ نَامَوْسِ الطَّبِيعَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يُدَقِّقُ (فِي حِسَابِهِ)
 مَعَنَا إِلَى هَذَا الْحَدِّ، وَلَكِنَّ شَيْئًا وَاحِدًا يُطْلَبُ مِنَّا هُوَ
 حُجَّةٌ أَوْ ذَرِيعَةٌ حَتَّى نَتَصَالَحَ مَعَهُ.

^{١٩٤} المقصود بالملك هنا الله الذي أمر بإخراج عَزِّيَّا الأبرص، وليس عزيا.

خاتمة.

لأجل ذلك فلنشكركم، فلنمجّد محبّته للبشر
غير الموصوفة، التي أتمني أن نكون جديرين كلّنا
بها بالنعمة ورأفة الابن الوحيد وربنا يسوع
المسيح، الذي يلبّق المجد والقوة والكرامة مع
الأب والروح القدس، الآن وكلّ أوانٍ وإلى دهر
الدهور. آمين.

العظة السادسة

عَنِ الْقَوْلِ "وَكَانَ فِي سَنَةٍ وَقَاةٍ غَزِيًّا
الْمَلِكِ،..."^{١٩٥} وَعَنِ التَّوْبَةِ.^{١٩٦}

مُقَدِّمَةٌ

هَاقَدْ اِنْتَهَيْنَا مِنَ الْإِبْحَارِ عَلَى شَوَاطِئِ
غَزِيًّا وَعَبَّرْنَا لِلتَّوْلِ لَيْسَ بِسَبَبِ طُولِ الطَّرِيقِ بَلِ
بِسَبَبِ مَحَبَّتِكُمُ لِلْمَعْرِفَةِ، كَمَثَلِ رُبَّانِ السَّفِينَةِ الَّذِي
يَبْحَرُ بِقَوْمٍ مِنَ الرُّكَّابِ الْأَعْزَاءِ، وَهُمْ يَرِغَبُونَ فِي
رُؤْيَةِ الْمُدُنِ الْغَرِيبَةِ، غَيْرَ أَنَّ الطَّرِيقَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ
يَكُونَ فِي مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَهَكَذَا حَتَّى لَوْ أَنَّ
الْمَسَافَةَ تَسْتَغْرِقُ يَوْمًا وَاحِدًا فَقَطْ، لِأَنَّ رَسْوَ
الْمَرْكَبِ فِي كُلِّ مَيْتَاءٍ وَالسَّمَاحِ بِالذَّهَابِ لِكُلِّ مَدِينَةٍ
يَحْتَاجُ وَقْتًا أَطْوَلَ، لَكِي يُرْضِيَ بِأَيِّ شَكْلِ رَغْبَةٍ
الرُّكَّابِ. وَهَذَا بِالتَّمَامِ مَا قَدْ فَعَلْتُهُ أَنَا، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ

^{١٩٥} أش ١: ٦

^{١٩٦} فِي بَعْضِ الْمَخْطُوطَاتِ يَرُدُّ عُنْوَانُ الْعِظَةِ (عَنِ السَّرَافِيم) كَمَا فِي نَسْخَةِ PG.

أُبْحَرَ إِلَى جُزُرٍ، وَلَمْ أَظْهَرْ لَكُمْ الْمَرَافِيءَ أَوِ الْمَوَاقِي
وَالْمُدُنَ، بَلْ تَأَمَّلْتُ قَضِيَّةَ يَتِمُّهَا رِجَالٌ، وَكَسَلَتْ
آخِرِينَ قَدْ إِرْتَكَبُوا الْخَطِيئَةَ، وَوَقَّاحَةَ مَلَكٍ وَجَرَّاءَ
كَاهِنٍ، وَغَضَبَ اللَّهِ وَمَحَبَّتَهُ لِلْبَشَرِ، وَ هَذَانِ الْأَمْرَانِ
قَدْ صَارَا لِلإِصْلَاحِ وَالتَّقْوِيمِ.

مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي لَا يَزِيدُ ثِيَابَ الْعَرَسِ.

بَعْدَ أَنْ وَصَلْنَا الْآنَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمَلَكِيَّةِ،
فَدَعُونَا مِنَ الْأُمْبَالَةِ، بَلْ أَوَّلًا عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَنِي
بِأَنْفُسِنَا كَمَا يَلِيقُ لِكِي نَدْخُلَ الْمَدِينَةَ، هَكَذَا دَعُونَا
نَصْعَدُ إِلَى الْإِنْبَارَشِيَّةِ السَّامَوِيَّةِ، إِلَى أَوْرُشَلِيمَ، أَمِنَا
كُلَّنَا، الْخُرَّةَ، هُنَاكَ حَيْثُ يُوجَدُ السَّرَافِيمُ، هُنَاكَ حَيْثُ
يُوجَدُ الشَّارُوبِيمُ، هُنَاكَ حَيْثُ يُوجَدُ الْأَلَّافُ مَنْ
رُؤَسَاءِ الْمَلَائِكَةِ، وَالْمَلَائِكَةِ الَّتِي لَا تُحْصَى، هُنَاكَ
حَيْثُ يُوجَدُ الْعَرْشُ الْمُؤَكِّي. حَيْثُ لَا يُوجَدُ دَنَسٌ أَوْ
نَجِسٌ، لِأَنِّي أَتَطَّلَعُ لِأَنَّ أَحْكِي الْقِصَصَ السَّرَائِرِيَّةَ
(الرُّوحِيَّةَ) وَلَا يُوجَدُ مَنْ هُوَ نَجِسٌ أَوْ غَيْرُ مُسْتَحَقٍّ
لِلِاسْتِمَاعِ لَهَا أَوْ الْأَفْضَلُ فَلْيَحْضُرِ النَّجِسُ وَالِدَنَسُ

ولكنَّ لِنُطْرَحَ عَنْهُ خَارِجًا نَجَاسَتَهُ وَشَرَّهُ، حِينَئِذٍ
فَلْيَدْخُلْ. لِأَنَّ ذَٰلِكَ الَّذِي كَانَ مُرْتَدِّيًا ثِيَابًا دَنَسَةً قَدْ
طَرَدَهُ أَبُو الْعَرِيسِ خَارِجَ الْعُرْسِ وَالزِّفَافِ الْمُقَدَّسِ،
وَذَلِكَ لَيْسَ لِأَنَّ ثِيَابَهُ مُتَسَخَّةٌ، بَلْ لِأَنَّهُ حَاوَلَ الدُّخُولَ
وَهُوَ يَرْتَدِّيها، فَلَمْ يَقُلْ لَهُ: "لِمَاذَا لَا تَمْلِكُ ثِيَابَ
الْعُرْسِ؟" بَلْ "لِمَاذَا دَخَلْتَ بِذُنُوبِ ثِيَابِ الْعُرْسِ؟" ١٩٧
وَيَقُولُ (أَيْضًا): كُنْتُ تَقِفُ فِي الطَّرِيقَاتِ تَتَسَوَّلُ فَلَمْ
أَخْجَلْ مِنْ فَقْرِكَ، وَلَمْ أَشْمِزْ مِنْ عَارِكَ، طَالَمَا قَدْ
حَرَّرْتُكَ مِنْ ذَٰلِكَ التَّدْنِي، وَقَدْ وَضَعْتُكَ فِي الْعُرْسِ
الْمُقَدَّسِ، وَقَدْ جَعَلْتُكَ مُسْتَحِقًّا بَأَنَّ تَتَكَيَّ فِي الْعِشَاءِ
الْمُلُوكِي، وَأَنْ أَرْفَعَكَ إِلَى الْكَرَامَةِ السَّمَاوِيَّةِ، أَنْتَ يَا
مَنْ كُنْتَ تَسْتَحِقُّ أَقْصَى عِقَابًا، أَمَا أَنْتَ فَلَا حَتَّى
بِالْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ كُنْتَ سَتُصْبِحُ أَفْضَلَ، بَلْ كُنْتَ
سَتُنَبِّئِي فِي الشُّرُورِ الْمُعْتَادِ عَلَيْهَا، فإِذَا دَرَيْتَ بِالْعُرْسِ
وَأَزْدَرَيْتَ بِالْعَرِيسِ، فَأَذْهَبَ حَالًا وَلَتَسْتَحَقَّ الْعِقَابَ
الَّذِي يُنَاسِبُ تَبْلُذَكَ هَذَا.

فَلْيَنْتَبِهْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا، رُبَّمَا يَسْمِعُ هَذَا
الصَّوْتُ وَطَالَمَا يَطْرُدُ كُلَّ فِكْرٍ لَا يَسْتَحِقُّ التَّعَالِيمَ
الرُّوحِيَّةَ، حِينَئِذٍ فَلْيَأْخُذْ نَصِيبًا فِي الْمَائِدَةِ الْمُقَدَّسَةِ.
فيقول " "فِي سَنَةِ وَقَاةٍ عَزِيًّا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ
جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ" ^{١٩٨}، كَيْفَ رَأَيْ؟
لَا أَعْلَمُ، لَأَنَّ مَا رَأَهُ قَدْ تَحَدَّثَ عَنْهُ، أَمَا كَيْفَ رَأَهُ؟
فَهَذَا قَدْ صَمَتَ عَنْ شَرْحِهِ، أَقْبَلُ مَا قَدْ تَحَدَّثَ عَنْهُ،
وَلَا أَشْغَلُ نَفْسِي بِمَا صَمَتَ عَنْهُ، أَفَهُمْ مَا قَدْ كُشِفَ
عَنْهُ، وَلَا أَتَقَبُّ عَمَّا قَدْ حَجَبَهُ، فَهَذَا السَّبَبُ قَدْ
أَخْفَيْتُ، فَقَصَّصِ الْكِتَابِ هِيَ سُتْرَةٌ مُطَرَّرَةٌ مِنْ
الذَّهَبِ، فَالْسَّيِّدُ مِنَ الذَّهَبِ وَاللُّحْمَةُ مِنَ الذَّهَبِ،
فَلَا أَحِينُكَ أَنْسِجَةَ مِنْ خُيُوطِ الْعَنْكَبُوتِ. فَإِنِّي أَعْرِفُ
عَدَمَ قُدْرَةِ أَفْكَارِي، (فَالْكِتَابُ يَقُولُ): "لَا تَنْقُلِ
التُّخَمَ" ^{١٩٩} الْقَدِيمَ الَّذِي وَضَعَهُ أَبَاوُك. ^{٢٠٠} فَلَيْسَ مِنْ

^{١٩٨} أش ١: ٦

^{١٩٩} التُّخَمُ هِيَ الْحُدُودُ أَوْ الْمَعَالِمُ الَّتِي تُوضَعُ لِتَقْسِيمِ الْأَرْضِ وَفَصْلِ حُدُودِهَا، وَقَدْ
قَسَمَتْ الْأَرْضُ فِي (يش ١٣-٢١) وَوُضِعَتْ عِلَامَاتُ التُّخَمِ لِكُلِّ سَبْطٍ. وَكَانَتْ الشَّرِيعَةُ قَدْ
حَدَرَتْ الشَّعْبَ مُسَبِّقًا مِنْ أَنَّهُمْ عِنْدَمَا يَصْلَوْنَ إِلَى أَرْضِ الْمَوْعِدِ، عَلَيْهِمْ أَلَّا يَنْشُوا حَيْزَ أَنَّهُمْ

الْأَمَانَةِ أَنْ نَنْقُلَ النُّحْمَ فَكَيْفَ لَنَا أَنْ نَنْقُلَ مَا قَدْ
وَضَعَهُ لَنَا اللَّهُ؟

الزَّوْاجَ لَيْسَ عَائِقًا لِلتَّقَدُّمِ فِي الْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ

هَلْ تَرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ رَأَى (إِسْعِيَاءُ
النَّبِي) الله؟ فَلْتَصِرْ أَنْتِ أَيْضًا نَبِيًّا، وَلَكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ:
كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لِي زَوْجَةٌ وَأَعْتَنِي بِإِعَالَةِ
أَوْلَادِي؟ مِنَ الْمُمْكِنِ عَزِيزِي أَنْ أُرِدَّتْ ذَلِكَ، لِأَنَّ ذَاكَ
(النَّبِي) كَانَ لَهُ زَوْجَةٌ وَطِفْلَانِ، وَلَمْ يُعْشَهُ شَيْءٌ مِنْ
هَذَا كُلِّهِ، لِأَنَّ الزَّوْاجَ لَيْسَ بِعَائِقٍ فِي طَرِيقِنَا إِلَى
السَّمَاءِ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ عَائِقًا وَالزَّوْجَةُ تَتَأَمَّرُ عَلَيْنَا، مَا
كَانَ قَدْ خَلَقَهَا اللَّهُ مِنْذُ الْبَدءِ وَدَعَاها "مُعِينًا".

طَبِيعَةُ اللَّهِ فَائِقَةٌ عَنِ الْوَصْفِ

وَأَوَدُ أَنْ أَقُولَ شَيْئًا آخَرَ عَمَّا يَعْزِي أَنْ اللَّهَ
كَانَ جَالِسًا، فَاللَّهُ لَا يَجْلِسُ، فَفِي الْحَقِيقَةِ هَذَا الْأَمْرُ

يَنْقُلُ أَحْجَارَ الثُّخُومِ لِيَأْخُذُوا أَرْضًا أَكْثَرَ وَيَثْرَكُوا لِجَنَرَانِهِمْ أَرْضًا أَقَلَّ (تث ١٩: ١٤، ٢٧:

(١٧).

٢٠٠ أم ٢٢: ٢٨

يُخْصَ ذَوِي الْأَجْسَادِ أَمَّا اللَّهُ فَلَا جَسَدَ لَهُ.

٢- وَكُنْتُ أَرْغَبُ فِي أَنْ أَقُولَ مَاذَا يَعْزِي عَرْشُ اللَّهِ، لَيْسَ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَخُذُهُ (يُحِيطُهُ) عَرْشٌ، لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ الْإِلَهِيَّةَ غَيْرُ مَوْصُوفَةٍ. وَلَكِنِّي أَخْشَى الْإِسْتِرْسَالَ فِي هَذِهِ التَّعَالِيمِ فَلَا أَوْدُ أَنْ أَتَأَخَّرَ فِي إِيْقَاءٍ وَاجِبِي نَحْوَكُمْ^{٢٠١}.

عَوْدَةٌ لِلْحَدِيثِ عَنِ السَّرَافِيمِ.

لَأَنِّي أَرَأَاكُمْ كُلُّكُمْ تُخْدِقُونَ فِي السَّرَافِيمِ بِأَفْوَاهٍ مَفْتُوحَةٍ، لَيْسَ فَقَطُ الْيَوْمِ بَلٍ وَمَنْ أَوَّلَ يَوْمٍ بَدَأْنَا حَدِيثَنَا، لِذَلِكَ فَهَذَا الْحَدِيثُ، الَّذِي نُقَدِّمُ فِيهِ حَشْدًا مِنَ الْمَعَانِي يُشَبِّهِ حَشْدًا مِنَ الْبَشَرِ يَتَزَاحَمُونَ بِإِنْدِفَاعٍ شَدِيدٍ، يَسْتَعْجِلُ فِي الْإِتْيَانِ إِلَى ذَلِكَ السَّرْدِ النَّصْبِيِّ الْمَكْتُوبِ: "وَالسَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ حَوْلَهُ"^{٢٠٢} هَا هُمْ السَّرَافِيمُ، الَّذِينَ مِنَ الْقَدِيمِ تَشْتَهُوْنَ أَنْ تَرَوْهُمْ، فَأَنْظَرُوْهَا إِذَنْ وَأَرْضَوْا شَهْوَتَكُمْ، وَلَكِنْ لَيْسَ

^{٢٠١} حرفيًا : ديوني لكم.

^{٢٠٢} اش ٦: ٢ بحسب الترجمة السبعينية.

بِضُوضَاءٍ وَلَا يَفْكِرُ مُتَسَرِّعٍ، الْأَمْرُ الَّذِي يَخْدُثُ فِي
مَوْكِبِ الْمُلُوكِ، لِأَنَّهُ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَخْدُثَ ذَلِكَ فِي
حَالَةِ الْمُلُوكِ، لِأَنَّ الْخُرَاسَ لَا يَعْطُونَ فُرْصَةً لِأَيِّ
شَخْصٍ يَزْعَبُ فِي مُشَاهَدَةِ الْمَوْكِبِ وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ
يُظْهَرُ حَسَنًا أَمَامَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ يُجْبِرُونَهُمْ أَنْ
يَعْبُرُوا سَرِيعًا. أَمَّا هُنَا فَلَا يَخْدُثُ مِثْلُ هَذَا، بَلْ قَدْ
تَوَقَّفَ حَدِيثِي عِنْدِ الرُّؤْيَةِ حَتَّى تَقْتَرِبُوا مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ، عَلَى قَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ لِلْمَرَّةِ أَنْ يَقْتَرِبَ.

عَظْمَةُ السَّرَافِيمِ لَيْسَتْ فِي طَبِيعَتِهِمْ بَلْ فِي وُجُودِهِمْ بِجَوَارِ
الْعَرْشِ.

"وَالسَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ حَوْلَهُ" ٢٠٣، قَبْلَ الْكَلَامِ
عَنْ كَرَامَةِ طَبِيعَتِهِمْ فَإِنَّهُ يُعَلِّمُنَا مِنْ خِلَالِ اقْتِسَارِ ابِهِمْ
نَحْوَ عَرْشِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَوَّلًا مِنْ هُمْ السَّرَافِيمُ بَلْ
يَذْكُرُ الْمَكَانَ الَّذِي يَقِفُونَ فِيهِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْمَكَانَةَ أَعْظَمُ
مِنْ تِلْكَ. كَيْفَ؟ لِأَنَّ كَيْفُونَتَهُمْ سَرَافِيمَ لَا تَوْضِحُ
أَنَّهُمْ قُتُوبَاتٌ عَظِيمَةٌ كَمَا لَمْ كَوْنِهِمْ يَقِفُونَ بِجَوَارِ

الْعَرْشِ الْمُلُوكِي، وَبِالْمِثْلِ فَنَحْنُ أَيْضًا، نَعْتَقِدُ أَنَّ
هَؤُلَاءِ الْحُرَاسِ مُبْجَلُونَ، نَرَاهُمْ يُمِرُّونَ وَهُمْ
مُمْتَطَوْنَ الْخَيْلَ فِي مَوَكِبٍ مُؤَلَّفٍ مِنْ زَوْجَيْنِ
بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَرْكِبَةِ الْمُلُوكِيَّةِ، هَكَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْقَوَاتِ
غَيْرِ الْجَسَدِيَّةِ فَإِنَّ أَوْلَئِكَ أَكْثَرُ جَلَالًا، كُلَّمَا اقْتَرَبُوا
مِنَ الْعَرْشِ. لِذَلِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ قَدْ تَخَطَّى الْحَدِيثَ عَنْ
طَبِيعَتِهِمُ الْخَاصَّةِ وَحَدَّثَنَا أَوَّلًا عَنْ مَكَانِهِمُ الْعَظِيمِ،
مُقَرًّا بِأَنَّ هَذَا يُمَثِّلُ أَعْظَمَ زِينَةٍ لَهُمْ لِأَنَّهَا تُشَكِّلُ
بِهَاءَهُمْ، وَلِأَنَّ هَذَا يَغْنِي لَهُمُ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَكُلَّ
أَمَانٍ أَنْ يَظْهَرُوا حَوْلَ ذَلِكَ الْعَرْشِ.

وَهَذَا مَا يُمَكِّنُ أَنْ نَرَاهُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، لِأَنَّ
أَوْلَئِكَ حِينَ أَرَادَ الْمَسِيحُ أَنْ يُظْهِرَهُمْ بِأَنَّهُمْ عُظَمَاءُ،
لَمْ يَقُلْ عَنْهُمْ فَقَطْ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ وَصَمَّتْ، بَلْ قَالَ عَنْهُمْ
"إِنَّ مَلَائِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلِّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ
أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ."^{٢٠٤}، لِأَنَّ كَوْنَهُمْ يَنْظُرُونَ
وَجْهَ الْآبِ لَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ كَوْنِهِمْ مَلَائِكَةً، وَهَكَذَا

الْحَالُ مَعَ السَّرَافِيمِ فَأَلْوُفُوفٌ بِجِوَارِ الْعَرْشِ وَأَنْ
يَكُنْ هَذَا الْعَرْشُ فِي وَسْطِهِمْ أَعْظَمَ مِنْ كَوْنِهِمْ
سَرَافِيمَ.

الْإِنْسَانُ يُمَكِّنُ أَنْ يَنَالَ مَا لِلسَّرَافِيمِ مِنْ عَظَمَةٍ وَبَهَاءٍ.
وَلَكِنَّ الْعَظَمَةَ هِيَ لَكَ مُمَكِّنَةٌ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ
تَنَالَهَا، لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ فِي وَسْطِ السَّرَافِيمِ، بَلْ فِيْنَا نَحْنُ
أَنْفُسِنَا، إِنْ أَرَدْنَا. إِذْ يَقُولُ: "لَأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ
أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي فَهَنَّاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ" ٢٠٥،
وَأَيْضًا: "قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ مِنَ الْمُتَكَبِّرِي الْقُلُوبِ،
وَيُخَلِّصُ الْمُتَسَحِّقِي الرُّوحِ." ٢٠٦ لَذَلِكَ فَبُولَسُ
يَصْرُخُ: "فَاطْلُبُوا مَا فَوْقَ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ
يَمِينِ اللَّهِ." ٢٠٧، أَتَرَى كَيْفَ أَقَمْنَا مَعَ السَّرَافِيمِ، مُقَرَّبًا
إِيَّانَا مِنَ الْعَرْشِ الْمُتَوَكِّي؟

٢٠٥ مت ١٨ : ٢٠

٢٠٦ مز ٣٤ : ١٨

٢٠٧ كو ٣ : ١

أَجْنَحَةُ السَّرَافِيم .

وَبَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: " لِكُلِّ وَاحِدٍ سِنَّةٌ
أَجْنَحَةٌ"^{٢٠٨} فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَذُلُ تِلْكَ الْأَجْنَحَةُ السِّنَّةُ؟
إِنِّهَا تَذُلُ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الطَّبَائِعَ سَامِيَةً وَطَائِرَةً
وَحَقِيقَةً، وَسَرِيعَةً. لِأَجْلِ ذَلِكَ فَإِنَّ جِبْرَائِيلَ يَنْزِلُ كَمَا
لَوْ كَانَ لَهُ أَجْنَحَةٌ، لَيْسَ لِأَنَّهُ يُوجَدُ أَجْنَحَةٌ لِتِلْكَ الْقُوَّةِ
غَيْرِ الْمُتَجَسِّدَةِ، بَلْ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ نَزَلَ مَنْ تِلْكَ
الْأَمَاكِنِ الْعُلُويَّةِ جِدًّا، وَوَصَلَ إِلَى الْأَرْضِ تَارِكًا
إِقَامَتَهُ فِي السَّمَاءِ.

وَلَكِنَّ مَا هِيَ غَايَتُهُ فِي أَنْ يُوضِحَ لَنَا عَدَدَ
الْأَجْنَحَةِ؟ وَهَذَا لَا يَحْتَاجُ تَفْسِيرِي الْخَاصِّ، لِأَنَّ
الْحَدِيثَ يُفَسِّرُ نَفْسَهُ شَارِحًا لَنَا فَإِدَّتْهَا، لِأَنَّهُ يَقُولُ:
"بِإِثْنَيْنِ يُعْطَى وَجْهَهُ"^{٢٠٩} كَأَنَّهُمَا سِتَارَتَانِ يُعْطِيَانِ
وَجْهَهُ، لِأَنَّهُمْ لَا يَتَحَمَّلُونَ اللَّمْعَانَ الْمُنبِعِثَ مَنْ ذَلِكَ

^{٢٠٨} أش ٢: ٦

^{٢٠٩} أش ٢: ٦

المَجْدِ. "وَبِأَتْنَيْنِ يُعْطَى رِجْلَيْهِ،" ٢١٠، تَحْتَ تَأْتِيرِ
نَفْسِ الْإِنْبَهَارِ، لَأَنَّا أَنْفُسَنَا عَادَةً عِنْدَمَا يُسَاطُ عَلَيْنَا
جِسْمٌ بَاهِرٌ، فَإِنَّا نُنْكَشُ وَنُخْفِي كُلَّ مَكَانٍ فِي
جَسَدِنَا. وَلَمَّاذَا أَتَحَدَّثُ فَقَطُ عَنِ الْجَسَدِ، طَالَمَا أَنَّ
النَّفْسَ ذَاتَهَا عِنْدَمَا يَحْدُثُ لَهَا ذَلِكَ الْأَمْرُ فِي تَجَلِّيَاتِهَا
السَّامِيَةِ، تَجْذِبُ كُلَّ طَاقَاتِهَا ثُمَّ تَجْمَعُ ذَاتَهَا ضَاغِطَةً
إِيَّاهَا يَغْمُقُ فِي الْجَسَدِ كَمَا لَوْ كَانَ هَذَا الْجَسَدُ مَلْبَسًا
لِهَا؟ وَحِينَ يَسْمَعُ أَحَدُ الْإِنْدِهَاشِ وَالْإِنْبَهَارِ لَا يَظُنُّ
أَنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْ صِرَاحٍ مُقَرَّرٍ لِلنَّفْسِ لِأَنَّهُ مَعَ هَذَا
الْإِنْدِهَاشِ تُوجَدُ نَشْوَةٌ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ لَا تُحْتَمَلُ مَنْ
عَظَمَتِهَا. "وَبِأَتْنَيْنِ يَطِيرُونَ" ٢١١ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ
دَائِمًا يَشْتَهُونَ الْعُلُويَّاتِ وَلَا يَنْظُرُونَ لِأَسْفَلِ أَبَدًا،
"وَهَذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ
رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلءُ كُلِّ الْأَرْضِ»" ٢١٢، وَهَذَا
الصُّرَاخُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ لَنَا عَلَى

٢١٠ اش ٦: ٢

٢١١ اش ٦: ٢

٢١٢ اش ٦: ٣

تَعْجَبُ بِهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يُسَبِّحُونَ فَقَطْ بَلْ يَصْرُخُونَ بِشِدَّةٍ،
وَلَا يَصْرُخُونَ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِلا
انْقِطَاعٍ.

مُعَايِنَةُ الْمَجْدِ الْإِلَهِيِّ

لَأَنَّ الْأَجْسَادَ الْبَرَّاقَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُنِيرَةً بِشَكْلِ
عَظِيمٍ، حِينَئِذٍ فَإِنَّهَا عَادَةً مَا تَثِيرُ دَهْوَانَا لَمَّا نُشَاهِدُهَا
لِلْمَرَّةِ الْأُولَى بَعُيُونِنَا، وَلَكِنْ إِنْ وَاصَلْنَا التَّلَاطُعَ فِيهَا
أَكْثَرَ فَبِالْعَوْدِ سَوْفَ يَنْتَهِي إِندَهَاشُنَا، لِأَنَّ عُيُونَنَا قَدْ
إِعْتَادَتْ عَلَى تِلْكَ الْأَجْسَادِ.

لِذَلِكَ فَعِنْدَمَا نَرَى أَيْقُونَةَ مُلُوكِيَّةٍ، وَقَدْ تَمَّ
تَكْرِيسُهَا (تَجْهِيْزُهَا) حَدِيثًا وَهِيَ تَزْهُو بِالْأَلْوَانِهَا، فَهِيَ
تَثِيرُ إِعْجَابَنَا وَلَكِنْ بَعْدَ يَوْمٍ وَيَوْمَيْنِ يَرْزُلُ إِعْجَابُنَا
هَذَا. وَلَكِنْ لِمَاذَا أَتَحَدَّثُ عَنْ أَيْقُونَةِ مُلُوكِيَّةٍ، طَالَمَا
أَنَّ الْأَمْرَ ذَاتَهُ يَخْدُتُ لَنَا مَعَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ، عَلَى
الرُّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ جِسْمٌ أَكْثَرُ لَمَعَانًا مِنْهَا؟
وَهَكَذَا فَايَ جَسَدٍ بِسَبَبِ الْإِعْتِيَادِ (عَلَى النَّظَرِ) إِلَيْهِ
يَذْهَبُ الْإِعْجَابُ بِهِ. غَيْرَ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ فَيَمَّا

يَتَعَلَّقُ بِمَجْدِ اللَّهِ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ تَمَامًا، لِأَنَّهُ كُلَّمَا
وَأَصَلَتْ تِلْكَ الْقُوَاتُ (السَّمَانِيَّةُ) فِي النَّظَرِ إِلَى ذَلِكَ
الْمَجْدِ كُلَّمَا انْبِهَرَتْ بِالأَكْثَرِ وَازْدَادَ تَعَجُّبُهَا، لِذَلِكَ
فَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ يَرُونَ ذَلِكَ الْمَجْدَ مُنْذُ خَلَقْتَهُمْ حَتَّى
الآنَ، فَلَا يَتَوَقَّعُونَ عَنِ الصَّرَاحِ بِانْبِهَارٍ، لِأَنَّ مَا
نُعَانِي مِنْهُ وَيَحْدُثُ لَنَا فِي بُرْهَةٍ قَصِيرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ،
عِنْدَمَا يَأْتِي عَلَيْنَا ضِيَاءٌ سَاطِعٌ، يَحْدُثُ لَتِلْكَ الْقُوَاتِ
الْقَائِمَةِ قُدَّامَهُ بِاسْتِمْرَارٍ وَبَلَا انْقِطَاعٍ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ
ذَلِكَ يَظْهَرُونَ لَذَّةَ مَا وَتَعَجَّبُوا. لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا فَقَطْ
يَصْرُخُونَ، بَلْ يَفْعَلُونَ هَذَا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَهَذِهِ عَلَامَةٌ
عَلَى أَنَّهَا شَيْءٌ الدَّائِمِ، وَهَذَا نَفْسُهُ مَا يَحْدُثُ لَنَا عِنْدَمَا
نَسْمَعُ رَعْدًا أَوْ زَلْزَالًا يَهْزُ الأَرْضَ، لَيْسَ فَقَطْ نَقْفِزُ
وَنَصْرُخُ، بَلْ نُسْرِعُ بِالهَرَبِ الْوَاحِدِ إِلَى الْآخِرِ إِلَى
بَيْتِهِ، وَهَذَا مَا يَفْعَلُهُ السَّرَافِيمُ، لِذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ
يَصْرُخُ نَحْوَ الْآخِرِ قَائِلًا: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ،
قُدُّوسٌ".

تَسْبِيحَةُ السَّرَافِيم.

٣- هَلْ تُذَرِّكُون أَيَّ صَوْتٍ هَذَا يَا ثَرَى؟
 هَلْ يَأْثُرِي هُوَ صَوْتُ يَخْضُنَا أَمْ صَوْتُ السَّرَافِيم؟
 صَوْتُنَا وَصَوْتُ السَّرَافِيم هُوَ لِتَسْبِيحِ الْمَسِيحِ الَّذِي
 أزالَ الْحَاجِزَ الْمُتَوَسِّطَ وَأَحْلَلَ السَّلَامَ بَيْنَ السَّمَاوِيَّاتِ
 وَالْأَرْضِيَّاتِ، وَتَسْبِيحٍ لِذَلِكَ الَّذِي جَعَلَ الْاِثْنَيْنِ وَاحِدًا
 لِأَنَّهُ فِي السَّابِقِ كَانَتْ هَذِهِ التَّسْبِيحَةُ فَقَطْ تُرْتَلُّ فِي
 السَّمَاوَاتِ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا قَبِلَ السَّيِّدُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى
 الْأَرْضِ قَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ التَّرَنِيمَةُ أَيْضًا إِلَيْنَا، لَذَلِكَ
 رَنَسُ الْكَهَنَةِ الْعَظِيمِ هَذَا عِنْدَمَا يَقِفُ عَلَى الْمَائِدَةِ
 الْمُقَدَّسَةِ (الْمَذْبَحِ) مُقَدِّمًا الْعِبَادَةَ الْعَقْلِيَّةَ، وَالذَّبِيحَةَ
 غَيْرَ الدَّمَوِيَّةِ لَا يَحْتَنَا مُبَاشَرَةً عَلَى هَذَا الْهَتَافِ
 الْمُبْهَجِ، بَلِ أَوَّلًا يُشِيرُ إِلَى الشَّارُوبِينَ ثُمَّ يَذْكُرُ
 السَّرَافِيمَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَحْثُ الْجَمِيعُ أَنْ يُصْعِدُوا
 أَصْوَاتَهُمَ الْجَهْورِيَّةَ، يَصْرِفُونَ أَذْهَانَنَا عَنْ كُلِّ مَا
 هُوَ أَرْضِيٌّ بِتَذْكَارِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ يُرْتَلُونَ مَعًا. وَكَأَنَّهُمْ
 يُنَادُونَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ فِينَا، قَائِلِينَ مَعَ السَّرَافِيم: رَتِّلْ
 مَعَ السَّرَافِيم جَنِّبًا إِلَى جَنِّبٍ وَمَعَهُمْ افْتَحْ جَنَاحِيكَ

وَحَلَّقَ مَعَهُمْ حَوْلَ الْعَرْشِ الْمُلُوكِيِّ.

الإفخارستيا تُميزُ الإنسانَ عن الملائكة.

وَلَكِنَّ يَا لَهُ مِنْ عَجَبٍ أَنْ تَقِفَ بِجَوَارِ
السَّرَافِيمِ، عِنْدَمَا لَا يَجْرُؤُ السَّرَافِيمُ أَنْ يَمْسُؤُوا هَذِهِ
(العطايا)، الَّتِي قَدْ أَعْطَاهَا إِلِيكَ اللَّهُ بِسَخَاءٍ.

"فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ
قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبُحِ"^{٢١٣}، ذَلِكَ الْمَذْبُحُ
(السَّمَائِيُّ) هُوَ نُمُودَجٌ وَمِثَالٌ لِهَذَا الْمَذْبُحِ (فِي
الْكَنِيسَةِ)، وَتِلْكَ النَّارُ هِيَ مِثَالٌ لِهَذِهِ النَّارِ الرُّوحِيَّةِ،
غَيْرَ أَنَّ السَّرَافِيمَ لَمْ يَجْرُؤُوا أَنْ يَمْسِكُوهَا بِأَيْدِيهِمْ بَلْ
بِمِلْقَطٍ،، بَيْنَمَا أَنْتَ تَمْسِكُهَا بِيَدِكَ^{٢١٤}، فَإِنْ كُنْتَ تَبْحَثُ
فِي قِيَمَةِ الْعَطَايَا الْحَاضِرَةِ فَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ جَمْرَةٍ
السَّرَافِيمِ، وَلَكِنْ إِنْ تَأَمَّلْتَ فِي مَحَبَّةِ سَيِّدِكَ لِلبَشَرِ
وِنِعْمَةِ الْعَطَايَا الْحَاضِرَةِ فَلَنْ تَخْجَلَ مَنْ أَنْ يَنْزِلَ

^{٢١٣} أش ٦: ٦

^{٢١٤} الْحَدِيثُ هُنَا إِبْرَارَةٌ إِلَى الْإِفْخَارِسْتِيَا حَيْثُ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَتَنَاوَلُونَهَا فِي رَاحَةِ الْيَدِ

خِصْبِ الطُّفْسِ الْقَدِيمِش.

سَيِّدُكَ! إِلَى عَالَمِنَا الْفَانِي^{٢١٥}.

إِفْتِرَانِ الْإِفْخَارِسْتِيَا بِالصَّوْمِ لِتُطَهِّرَ النَّفْسَ.

فَإِفْهَمْ هَذَا يَا إِنْسَانُ وَفَكِّرْ فِي حَجْمِ الْعَطِيَةِ!
وَأَنْهَضْ وَتَحَرَّرْ مِنَ الْأَرْضِ وَأَصْعَدْ إِلَى السَّمَاءِ،
وَلَكِنْ هَلْ يَجْذِبُكَ الْجَسَدُ وَيُجْبِرُكَ عَلَى الْبَقَاءِ أَسْفَلَ؟
وَلَكِنْ هَا قَدْ إِفْتَرَبْتَ الْأَصْوَامَ الَّتِي تَجْعَلُ أَجْزَاةَ
النَّفْسِ تَعْمَلُ بِخَفِيَةٍ، وَالَّتِي تُخَفِّفُ مِنْ ثِقَلِ الْجَسَدِ،
حَتَّى وَلَوْ اِلْتَقَتِ بِأَجْسَادٍ أَثْقَلَ مِنَ الرَّصَاصِ. وَلَكِنْ
حَدِيثُ الصَّوْمِ يُمْكِنُ أَنْ يَنْتَظِرَ بَيْنَمَا حَدِيثُ الْأَسْرَارِ
الَّتِي لِأَجْلِهَا قَدْ صَارَتِ الْأَصْوَامُ فَلْتَتَحَرَّكَ مِنْ الْآنِ،
لَأَنَّهُ كَمَا فِي الْمُبَارَايَاتِ الْأُولُمْبِيَّةِ يَكُونُ هَدَفُ
الْمُتَسَابِقِينَ هُوَ الْإِكْلِيلُ، كَذَلِكَ فَإِنَّ غَايَةَ الْأَصْوَامِ أَنْ
تَنْتَازِلَ مِنَ الْإِفْخَارِسْتِيَا وَنَحْنُ أَطَهَارُ، وَإِنْ لَمْ نَفْعَلْ
ذَلِكَ كُلَّ الْأَيَّامِ نَكُنْ قَدْ أَجْهَدْنَا أَنْفُسَنَا بِاطِلًا وَبِلَا
طَائِلٍ، وَنَكُنْ قَدْ اِرْتَحَلْنَا مِنْ حَلَبَةِ الصَّوْمِ بِلَا إِكْلِيلٍ
أَوْ مُكَافَأَةٍ، لَذَلِكَ فَإِنْ أَبَاعْنَا قَدْ أَطَالُوا فَتَرَاتِ

^{٢١٥} عالمنا الفاني حرفياً : عدمننا

الصَّوْمُ، مُعْطَيْنَ إِيَّانَا الْمُهْلَةَ حَتَّى نَتُوبَ، حَتَّى نَتَقَدَّمَ
(لِلْمَائِدَةِ الْمُقَدَّسَةِ) طَالَمَا تَطَهَّرْنَا أَوَّلًا وَغَسَلْنَا أَنْفُسَنَا.

وَجُوبُ الإِسْتِعْدَادِ لِلْإِفْخَارِ سِتِينًا.

لِذَلِكَ فَإِنِّي مَنْ هُنَا أَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِي،
إِنِّي أحتاجُ وَأَتَوَسَّلُ وَأَتَرَجَّى أَلَّا نَدْخُلَ لِهَذِهِ الْمَائِدَةِ
الْمُقَدَّسَةِ بِتِلْكَ الْبُقْعِ^{٢١٦}، وَلَا بِضَمِيرٍ شَرِيرٍ، لِأَنَّ هَذَا
لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مُفِيدًا وَلَا هَذِهِ شَرِكَةٌ حَقِيقِيَّةٌ
وَهَكَذَا فَإِنْ تَنَاوَلْنَا بِكَثْرَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْجَسَدِ الْمُقَدَّسِ
فَكَأَنَّنَا نَتَنَاوَلُ دَيْنُونَةً وَجَحِيمًا إِرْذِيَادًا فِي الْعُقُوبَةِ.
لِذَلِكَ فَعَلَى أَيِّ خَاطِيٍّ أَلَّا يَتَقَدَّمَ، وَالْأَفْضَلُ أَلَّا أَقُولَ
أَيِّ خَاطِيٍّ، لِأَنِّي أَنَا نَفْسِي سَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُسْتَبَعْدُ
مِنَ الْمَائِدَةِ الإِلَهِيَّةِ، بَلْ أَقْصِدُ أَنَّهُ مَنْ يَبْقَى فِي
خَطِيئَتِهِ فَلَا يَتَقَدَّمُ لِلْمَائِدَةِ.

لِذَلِكَ فَإِنِّي أَحْذَرُ مِنَ الْآنِ، حَتَّى عِنْدَمَا
تَأْتِي الْمَائِدَةُ الْمُلُوكِيَّةُ إِلَيْنَا، وَنَصْلُ إِلَى الْمَسَاءِ

^{٢١٦} المقصود: هذه الأديانس

الْمُقَدَّسِ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ: "قَدْ أَتَيْتُ غَيْرَ
مُسْتَعِدٍّ، وَمُسْتَبْعِدٍّ (مِنْ شَرِكَةِ الْإِفْخَارِسْتِيَا)، وَهَذَا
التَّخْذِيرُ كَانَ يَجِبُ أَنْ تَقُولَهُ مُسَبِّقًا: لِأَنَّهُ لَوْ كُنْتُ قَدْ
سَمِعْتُ ذَلِكَ مُبَكِّرًا لَكُنْتُ قَدْ تَغَيَّرْتُ بِالتَّمَامِ، وَكُنْتُ
قَدْ طَهَرْتُ نَفْسِي أَوْ لَا قَبْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ (لِلْمَائِدَةِ)". لَكِي
لَا يَخْتِجُ أَحَدٌ وَيَعْتَرِضُ مِنَ الْآنَ فِإَرْجُوكُمْ أَنْ
تُظْهِرُوا تَوْبَةً جَدِيَّةً، أَعْرِفُ أَنَّكُمْ جَمِيعًا مُسْتَحِقُّونَ
التَّائِيِبِ، وَأَنْ أَحَدًا لَنْ يَفْتَخِرَ أَنْ لَهُ قَلْبًا نَقِيًّا، فَلَيْسَتْ
الْمُعْضِلَةُ أَنَّكُمْ لَا تَمْلِكُ قَلْبًا نَقِيًّا، بَلْ أَنَّكُمْ بَيْنَمَا لَا تَمْلِكُ
قَلْبًا نَقِيًّا فَإِنَّكُمْ أَيْضًا لَا تَقْتَرِبُ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ
أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَكُمْ. لِأَنَّهُ (اللَّهُ) يَسْتَطِيعُ إِنْ أَرَادَ، فَهُوَ
يُرِيدُ بِالْأُخْرَى أَكْثَرَ مِنْكُمْ، وَلَكِنَّهُ يَنْتَظِرُ حَتَّى يَأْخُذَ
دَافِعًا بَسِيطًا مِنْكُمْ يَكِلُنَا عَلَيْهِ.

مَثَلُ الْفَرِيسِيِّ وَالْعَشَارِ.

مَنْ كَانَ أَكْثَرَ خَطِيئَةً مِنَ الْعَشَارِ؟ وَلَكِنْ

فَقَطْ بِقَوْلِهِ: " اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئُ"^{٢١٧}. قَدْ
نَزَلَ مُبَرَّرًا أَكْثَرَ مِنَ الْفَرِيسِيِّ، فَأَيَّةُ قُوَّةٍ كَانَتْ تَكْمُنُ
فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ! وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ السَّبَبُ فِي
تَطْهَرِهِ، وَلَكِنَّ النِّيَّةَ الَّتِي بِهَا قَدْ تَفَوَّهَ بِهِذِهِ الْكَلِمَةُ،
وَالْأَصَحُّ وَلَا حَتَّى نَبَيَّتُهُ بَلْ قَبْلَ هَذِهِ النِّيَّةِ مَحَبَّةُ اللَّهِ
لِلْبَشَرِ.

التَّوْبَةُ تَحْتَاجُ دَافِعًا بَسِيطًا مِنَّا.

٤- فَقُلْ لِي، أَيُّ تَعَبٍ وَأَيُّ جَهْدٍ يَحْتَاجُهُ
الْخَاطِئُ كَيْ يُقْنِعَ نَفْسَهُ حَتَّى يَقُولَ إِنَّهُ خَاطِئٌ وَأَنْ
يَقُولَ هَذَا اللَّهُ؟ أَنْظُرْ فَإِنِّي لَمْ أَقُلْ بَاطِلًا أَنْ دَافِعًا
صَغِيرًا يَطْلُبُهُ مِنَّا وَحَالًا سَوْفَ يُقَدِّمُ لَنَا كُلَّ شَيْءٍ
لَأَجْلِ خَلَاصِنَا، فَلْنَتَّبِعْ إِذِنْ، لِنَبْكِ، لِنَتَّجِبْ (عَلَى
خَطَايَانَا)، فَعِنْدَمَا يَفْقِدُ شَخْصٌ إِبْنَتَهُ فَإِنَّهُ فِي عَدِيدِ
مِنَ الْحَالَاتِ يَمْضِي مُعْظَمَ حَيَاتِهِ فِي رَنَاءٍ وَدُمُوعٍ،
أَمَا نَحْنُ فَنَحْسِرُ نُفُوسَنَا وَلَا نَبْكِي، نَفْقِدُ خَلَاصَنَا^{٢١٨}

^{٢١٧} لو ١٨: ١٣

^{٢١٨} حرفياً: "سقطنا من الخلاص" σωτηρίας ἐξέπεσομεν في الترجمة الفرنسية

وَلَا تَقْرَعُ صُدُورَنَا، وَمَا بَالِي أَتَحَدَّثُ عَنِ النَّفْسِ
وَالْخَلَاصِ؟ لَقَدْ أَغْضَبْنَا السَّيِّدَ الْوَدِيعَ الْهَادِيَّ، وَلَمْ
نُذِرْ أَنْفُسَنَا بِالرَّمَادِ فِي الْأَرْضِ، وَهَوَ لَيْسَ فَقَطْ سَيِّدًا
يَزْعَى بَلْ أَبْ حُنُونٌ وَأُمُّ تُحِبُّ أَوْلَادَهَا لِأَنَّهُ بِرِعَايَتِهِ
لَنَا يُفُوقُ كُلَّ عِنَايَةٍ، فَيَقُولُ الْكِتَابُ: "هَلْ تَنْسَى
الْمَرْأَةَ رَضِيعَهَا فَلَا تَرْحَمُ ابْنَ بَطْنِهَا؟ حَتَّى هُوَ لَا
يَنْسَى، وَأَنَا لَا أَنْسَاكَ."^{١١٦}، وَهَذَا الْإِعْلَانُ هُوَ بِكُلِّ
تَأْكِيدٍ جَدِيرٌ بِالثِّقَةِ وَقَبْلَ أَنْ يُقَدِّمَ بُرْهَانًا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ
لِأَنَّهُ صَادِرٌ مِنَ اللَّهِ، وَلِكِنْ دَعْنَا نُقَدِّمَ دَلِيلًا مَنْ وَقَعَ
الْأُمُورِ.

رِفْقَةً أَخَذَتْ لَعْنَةً يَغْفُوبَ بِالْكَلامِ أَمَّا الْمَسِيحُ فَأَخَذَ لَعْنَتَنَا
بِالْفِعْلِ.

فَفِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ قَدْ حَرَضْتُ رِفْقَةً ابْنَهَا
أَنْ يُخَادِعَ بِالتَّظَاهِرِ حَتَّى يَسْرِقَ الْبَرَكَةَ، وَإِذْ كَانَتْ
قَدْ أَمَنَتْهُ جَيِّدًا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَأَلْبَسَتْهُ قِنَاعَ أَخِيهِ،

"قد ضللتنا عن طريق الخلاص".

^{١١٦} اش ٤٩: ١٥

وَلَكِنَّهَا لَمَّا رَأَتْهُ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتَشَجَّعْ بَعْدُ وَأَرَادَتْ أَنْ
تَنْزِعَ عَنِ الْوَلَدِ الرَّهْبَةَ، قَالَتْ: "لَعْنُكَ عَلَيَّ يَا
ابْنِي."^{٢٢٠}، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ كَلِمَةٌ أَمْ مُتْلَهْفَةٌ عَلَى
إِبْنِهَا، أَمَّا الْمَسِيحُ فَلَمْ يَقُلْ هَذَا فَحَسِبَ بَلْ فَعَلَهُ أَيْضًا،
فَهُوَ لَمْ يُوعِذْ فَقَطْ (بِحِمْلِ اللَّعْنَةِ عَنَّا) بَلْ تَمَّمَ ذَلِكَ
عَمَلِيًّا، لِذَلِكَ يَصْرُخُ بُولُسُ قَائِلًا: "الْمَسِيحُ أَقْتَدَانَا
مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجَانَا"^{٢٢١}، فَقُلْ لِي
هَلِ سَوْفَ نُغْضِبُهُ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا مُخِيفًا أَكْثَرَ مِنَ
الْجَنِيمِ ذَاتِهِ، وَمِنَ الدُّودِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَمِنَ النَّارِ
الَّتِي لَا تَنْطَفِئُ.

تَحْذِيرٌ مِنَ التَّنَاولِ بِدُونِ تَوْبَةٍ.

فَعِنْدَمَا تَشْرَعُ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنَ الْمَائِدَةِ
الْمُقَدَّسَةِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تُؤْمِنَ أَنَّ مَلِكَ الْجَمِيعِ حَاضِرٌ
هُنَاكَ، لِأَنَّهُ فِي الْوَاقِعِ يَجِبُ أَنْ يَفْحَصَ كُلُّ وَاحِدٍ
نِيَّتَهُ بِحِرْصٍ، وَيَنْظُرَ كَيْفَ يَتَقَدَّمُ (لِلْمَائِدَةِ)، سِوَاءَ

^{٢٢٠} تِك ٢٧: ١٣

^{٢٢١} غلا ٣: ١٣

مَنْ يَتَّقَدِّمُ بِالْقَدِاسَةِ الْوَاجِبَةِ أَوْ مَنْ يَتَّقَدِّمُ بِضَمِيرٍ
شَرِيرٍ وَبِفَكْرٍ نَجِسٍ وَقَذِيرٍ وَبِأَعْمَالٍ دَنَسَةٍ. فَإِنْ وُجِدَ
أَحَدٌ مِثْلُ هَذَا فَيَهُ، فَلَيْسَ لَهُ مَبَاشَرَةٌ لِمَحْكَمَةِ الضَّمِيرِ،
ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِذَا تَسَلَّمَ الضَّمِيرُ وَجَلَدَهُ بِالْأَفْكَارِ
وَجَعَلَهُ أَفْضَلَ، فَلْيَقْبَلْهُ مَرَّةً أُخْرَى وَلَكِنْ إِذَا مَا بَقِيَ
بِدُونِ تَقْوِيمٍ، حِينَئِذٍ يَقَعُ بِالْأَكْثَرِ فِي يَدِ اللَّهِ كَجَاحِدٍ
وَنَاكِرٍ لِلْجَمِيلِ، فَكَمْ هُوَ مُخِيفٌ هَذَا الْأَمْرُ فَاسْمِعِ
بُؤْسَ وَهُوَ يَقُولُ: "مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللَّهِ
الْحَيِّ!"^{٢٢٢}، أَعْرِفْ أَنَّ كَلِمَاتِي مُؤَلِّمَةٌ وَلَكِنْ مَسَادًا
أَفْعَلُ؟! لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَضَعِ الدَّوَاءَ الْمُرَقَّ فَإِنَّ الْجُرُوحَ لَنْ
تَنْدَمِلَ. وَإِنْ وَضَعْتُ مَزِيدًا مِنَ الْمُرِّ فَإِنَّكُمْ لَنْ
تَخْتَمِلُوا الْأَلَمَ، فَأَنَا مُحَاصِرٌ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَلَكِنْ مَنْ
الضَّرُورِي أَنْ أَكْفَ يَدَيَّ لِأَنَّ مَا قَدْ قُلْتُهُ كَافٍ لِتَقْوِيمِ
أُولَئِكَ الْمُتَنَبِّهِينَ.

مُلَخَّصُ الْعِظَةِ.

وَلَكِنْ لَكِي يَكُونُ حَدِيثُنَا مُؤِيدًا لَيْسَ لَكُمْ فَقَطْ

بَلْ وَلِلْآخَرِينَ أَيْضًا، فَلِنُخَصَّ مَا قُلْنَا مِنْ جَدِيدٍ، فَقَدْ
تَحَدَّثْنَا عَنِ السَّرَافِيمِ، وَأَوْضَحْنَا كَيْفَ أَنَّ مَكَانَتَهُم
عَظِيمٌ حَيْثُ يَقِفُونَ بِجِوَارِ الْعَرْشِ الْمُلُوكِيِّ، وَأَنَّهُ مِنْ
الْمُمْكِنِ لِلْبَشَرِ أَنْ يَصِلُوا إِلَهِيهِ الْمَكَانَةِ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا
عَنِ الْأَجْنَحَةِ وَعَنِ الْمَجْدِ الْإِلَهِيِّ غَيْرِ الْمُقْتَرَبِ
مِنْهُ^{٢٢٢}، وَعَنْ مَحَبَّتِهِ لَنَا نَحْنُ الْبَشَرِ، وَتَابِعْنَا الْحَدِيثَ
عَنْ سَبَبِ صُرَاحِهِمْ وَتَعْجُوبِهِم الدَّائِمِ، وَكَيْفَ أَنَّ عَدَمَ
إِنْقِطَاعِ الْمَشْهَدِ (الْإِلَهِيِّ) سَبَبٌ فِي عَدَمِ انْقِطَاعِ
تَمَجُّدِ السَّرَافِيمِ أَيْضًا، وَقَدْ ذَكَّرْتُكُمْ مَعَ أَيِّ جُوعَةٍ قَدْ
شَارَكْنَا، وَمَعَ مَنْ قَدْ رَتَلْنَا لِسَيِّدِنَا كُنَّا، وَقَدْ أَضَفْنَا
حَدِيثًا عَنِ التَّوْبَةِ، وَفِي النِّهَايَةِ قَدْ أَوْضَحْنَا كَيْفَ هُوَ
شَرٌّ أَنْ نَتَّقَدَمَ لِلْأَسْرَارِ بِضَمِيرٍ شَرِيرٍ، وَأَنَّهُ مِنْ غَيْرِ
الْمُمْكِنِ أَنْ يَنْجُو (مِنَ الْعُقُوبَةِ) مَنْ يَبْقَى مَعُوجًا.

هَذَا، فَلَتَتَعَلَّمِ الْمَرْأَةُ مِنْ رَجُلِهَا، وَالابْنُ مِنْ

^{٢٢٢} هكذا في النص المحقق SC: τοῦ Θεοῦ δόξης τῆς ἀπροσίτου بينما في
النص التقليدي PG: القوة الإلهية غير المقترَب منها. τῆς ἀπροσίτου δυνάμεως.
τοῦ Θεοῦ.

أَبِيهِ، وَالْخَادِمُ مَنْ سَيِّدِهِ، وَالْجَارُ مِنْ جَارِهِ،
وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدِيقِهِ، وَبِالْحَرِيِّ فَلْتُنْتَاقِشْ فِيهِ مَعَ
أَعْدَائِنَا، لِأَنَّنَا مَسْئُولُونَ عَنْ خَلَاصِ أَوْلِيَّائِكَ، لِأَنَّهُ
طَالَمَا كَانَ عِنْدَنَا وَصِيَّةٌ أَنْ نُقِيمَ دَوَابَّهُمْ عِنْدَمَا تَسْقُطُ
(عَلَى الْأَرْضِ) وَأَنْ نُنْقِذَهَا عِنْدَمَا تَضِلُّ الطَّرِيقَ
وَأَنْ نُزَجِّعَهَا، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَنْ نَرُدَّ نَفُوسَهُمْ عِنْدَمَا
تَضِلُّ وَأَنْ نُقِيمَهَا عِنْدَمَا تَسْقُطُ. فَإِنْ نَظَمْنَا مَا يُخْصُنَا
هَكَذَا وَمَا يَخْصُ قَرِيبِنَا، فَسَوْفَ نَقْدِرُ بَجَرَاةٍ أَنْ نَقِفَ
أَمَامَ مَنبَرِ الْمَسِيحِ، الَّذِي يَلِيقُ بِهِ الْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ
وَالْقُدْرَةُ مَعَ الْآبِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْمُحْيِيِّ، الْآنَ
وَكُلَّ آوَانَ وَإِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ.

العظة الرابعة^{٢٢٤}

عَنْ نَصِ سِفْرِ إِشْغِيَاءِ الَّذِي يَقُولُ: "فِي سَنَةِ وَفَاةٍ غَزِيًّا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عِبَالٍ وَمَزْتَفِعٍ"^{٢٢٥}، ومديح عن مدينة أنطاكية^{٢٢٦}، وأدلة من النصوص الموحى بها من الله ضد الذين يمنعون الزواج.

مقدمة عن مديح المدينة وأهلها

١- المَشْهَدُ الْيَوْمَ صَارَ مُشْرِقًا وَالتَّجْمَعُ مُفْرِحًا، فَمَا هُوَ سَبَبُ ذَلِكَ؟ الْحَصَادُ الْيَوْمَ هُوَ ثَمَرَةٌ بِذَارِ الْأَمْسِ، فَالْبَارِحَةُ قَدْ زَرَعْنَا وَالْيَوْمَ نَحْصَدُ، فَنَحْنُ لَا نُفْلِحُ أَرْضًا مَائِنَةً، حَتَّى تَتَأَخَّرَ (فِي مَحْصُلِهَا)، بَلِ أَنَّهَا أَنْفُسٌ عَاقِلَةٌ، فَالطَّبِيعَةُ يَتَأَخَّرُ (إِثْمَارُهَا) بَيْنَمَا النِّعْمَةُ حَيَّةٌ وَشَوْغُنَا مُنْضَبِطٌ،

^{٢٢٤} بخصوص أصالة هذه العظة أنظر المقدمة: ص ٢٩، ٣٦-٣٨.

^{٢٢٥} أش ٦: ١

^{٢٢٦} أنظر المقدمة: ص ٣٧، حيث يري بعض الباحثين أن حديث القديس يوحنا لا يخص مدينة أنطاكية بل القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية.

وَالْجُمُوعُ مُحِبَّةٌ لِلإِصْغَاءِ، الْبَارِحَةَ قَدْ تَمَّتْ دَعْوَتُنَا
وَالْيَوْمَ نُكَلِّلُ، فَتْمَرَةً وَعُظَّ الْبَارِحَةِ هِيَ طَاعَةُ الْيَوْمِ.
لَذَلِكَ فَإِنِّي بِحِمَاسَةٍ أُلْقِي الْبِذَارَ، لِأَنَّنِي أَرَى الْحَقْلَ
وَقَدْ تَمَّتْ تَنْقِيئُهُ، فَلَا تُوجَدُ فِي أَيِّ مَكَانٍ أَشْوَاكٌ
تَخْنِيقُ السَّنَابِلَ، حَيْثُ لَا طَرِيقَ يُدَاسُ (مِنْ عَابِرِي
السَّبِيلِ)، وَلَا صَخْرَةٌ عَقِيمَةٌ، بَلْ حَقْلٌ خَصِيبٌ
وَمُسْتَزْرَعٌ بَعْمَقٍ، الَّذِي بِمُجَرَّدِ أَنْ يَقْبَلَ الْبِذَارَ، حَالًا
يَمْنَحُنَا السَّنَابِلَ، هَذَا مَا أَقُولُهُ دَائِمًا وَلَنْ أَتَوَقَّفَ أَنْ
أُرِيدَهُ، إِنَّ فَخْرَ (زَهُو) مَدِينَتِنَا، لَيْسَ فَقَطٍ أَنَّ بِهَا
مَجْلِسًا لِلشَّيُوخِ^{٢٢٧} وَأَنَّ عِنْدَنَا (كَثِيرًا مِنْ) الْقَنَاصِلِ
يُمْكِنُنَا عُدُّهُمْ، وَالْعِدِيدَ مِنَ التَّمَائِيلِ، وَوَفْرَةَ مِنَ
الْبَضَائِعِ، وَأَنَّ لَهَا مَوْقِعًا (جُغْرَافِيًّا) مُنَاسِبًا، إِنَّمَا لِأَنَّ
لَهَا شَعْبًا مُحِبًّا لِلْإِنْصَاتِ (لِكَلِمَةِ الْوَعْظِ)، وَكُنَائِسُ
اللَّهِ مُمْتَلِئَةٌ، وَالْكَنِيسَةُ تَتَمَتَّعُ يَوْمِيًّا بِالْعِظَاطِ الَّتِي
تَتَدَفَّقُ بِسُرُورٍ وَأَشْوَاقٍ لَا تَشْبَعُ أَبَدًا، إِذْ أَنَّ الْإِعْجَابَ
بِالْمَدِينَةِ لَا يَكُونُ بِمَبَانِيهِهَا الْمُشَيَّدَةِ بَلْ بِسُكَّانِهَا، فَلَا

تَقُلْ لِي أُنْ مَدِينَةً رَوَمَا أَكْبَرُ فِي حِجْمِهَا، بَلْ أُرْنِي
هُنَاكَ شَعْبًا مَثَلْ هَذَا مُحِبًّا لِلْإِنْصَاتِ (لِلوَعْظِ). لِأَنَّ
سَدُومَ كَانَ لَهَا أَبْرَاجٌ، بَيْنَمَا إِبْرَاهِيمُ كَانَ يَمْلِكُ
كُوحَا، وَلَكِنْ عِنْدَمَا جَاءَتِ الْمَلَائِكَةُ تَخَطَّتْ سَدُومَ
وَأَقَامَتْ فِي الْكُوحِ، لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ تَبْحَثُ عَنْ رَوْعَةِ
الْمَنَازِلِ بَلْ عَنْ الْفَضِيلَةِ وَجَمَالِ النَفْسِ، وَهَكَذَا
أَيْضًا كَانَتْ بَرِيَّةُ يُوْحُنَا (الْمَعْمِدَانِ) عَلَى عَكْسِ
مَدِينَةِ هِيرُودَسَ، لِذَلِكَ كَانَتْ الْبَرِيَّةُ أَكْثَرَ رَوْعَةً مِنَ
الْمَدِينَةِ.

فَلَمَّاذَا إِذَنْ؟ لِأَنَّ النُّبُوءَةَ لَا تُوجَدُ فِي الْمَبَانِي
الْمُشَيِّدَةِ. وَأَقُولُ هَذَا حَتَّى لَا نَمْتَدِّحَ مَدِينَةً تُنْقَضُ إِلَى
أُطْلَالٍ، لِأَنَّكَ تَذْكُرُ لِي مَبَانِي مُشَيِّدَةً وَعَمْدَانًا، فَهَذِهِ
تُنْقَضُ مَعَ تِلْكَ هُنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ. أَدْخُلْ إِلَى الْكَنِيسَةِ
وَأَنْظُرْ أَدَبَ وَتُبُلَّ الْمَدِينَةِ، أَدْخُلْ إِلَى الدَّخْلِ وَأَنْظُرِ
الْفُقَرَاءَ يَبْتَغُونَ هُنَاكَ مِنْ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ حَتَّى مَطْلَعِ
الْفَجْرِ، أَنْظُرِ الْكَهَنَةَ فِي اللَّيَالِي الْمُتَأَخِّرَةِ يُوَاصِلُونَ

النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، أَنْظَرُ شَعْبًا مُحِبًّا لِلْمَسِيحِ،^{٢٢٨}، فَلَا
يَخْشَى مَنْ وَطْأَةُ الْجُوعِ نَهَارًا، وَلَا مِنْ طُغْيَانِ
النَّعَاسِ لَيْلًا. مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ وَعَاصِمَةُ الْمَسْكُونَةِ، فَكَمْ
مِنْ أَسْقَفٍ، وَكَمْ مِنْ مُعَلِّمٍ، قَدْ أَتَوْا هُنَا بَعْدَمَا تَعَلَّمُوا
دُرُوسًا مِنْ شَعْبِهَا، يَرْخَلُونَ مُسْتَعِدِّينَ أَنْ يَنْقَلُوا
الْعَرَسَ وَالنَّامُوسَ الْفِطْرِي (لِهَذَا الشَّعْبِ) فِي مَكَانٍ
آخَرَ، وَإِنْ ذَكَرْتَ لِي الْاِمْتِيَازَاتِ^{٢٢٩} وَالْأَمْوَالَ
الطَّائِلَةَ، فَإِنَّكَ كَمَنْ يَمْدَحُ الشَّجَرَةَ بِسَبَبِ أَوْاقِهَا
وَلَيْسَ ثِمَارِهَا، أَقُولُ هَذَا لَيْسَ لَكَي أَتَمَلِّقَ مَحَبَّتَكُمْ،
بَلْ لَكَي أُعْلِنَ فَضِيلَتَكُمْ، فَإِنِّي مُطَوِّبٌ بِسَبَبِكُمْ كَمَا
أَنْتُمْ مُطَوِّبُونَ بِسَبَبِ أَنْفُسِكُمْ، "طَوِّبِي لِمَنْ يَتَحَدَّثُ
فِي أُذُنٍ مَنْ يَنْصِتُونَ"^{٢٣٠} وَهَكَذَا فَقَدْ صَرْتُ مُطَوِّبًا،
"طَوِّبِي لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ لِأَنَّهُمْ

^{٢٢٨} أَنْظَرُ شَعْبًا مُحِبًّا لِلْمَسِيحِ: بحسب النص المحقق في SC فلا وجود لها في النص

التقليدي PG.

^{٢٢٩} باليونانية: ἀξιώματα

^{٢٣٠} أنظر يشوع بن سيراخ ٢٥: ١٢

يُسَبِّعُونَ." ٢٣١ هَلْ رَأَيْتُمْ كَيْفَ صِرْتُمْ مُطَوِّبِينَ بِسَبَبِ
أَنْفُسِكُمْ؟ فَطُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَشْتَأِقُ لِلْأَحَادِيثِ
الرُّوحِيَّةِ، وَهَذَا مَا يُمَيِّزُنَا عَنِ الْحَيَوَانَاتِ الْعَجَمَاءِ ،
فَالْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ بِنَشَابِهِ الْجَسَدِ بَيْنَهُمَا ٢٣٢ ، وَلَيْسَتْ فِي
أَنَّا نَأْكُلُ وَنَشْرَبُ، أَوْ أَنَّا نَتَرَيُّضُ، وَلَا أَنَّنَا نَعِيشُ،
فَكُلِّ هَذِهِ جَمِيعًا نَشْتَرِكُ فِيهَا مَعَ الْحَيَوَانَاتِ الْعَجَمَاءِ،
وَلَكِنْ فِي مَاذَا يَخْتَلِفُ الْإِنْسَانُ عَنْ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ؟
يَخْتَلِفُ فِيمَا يُخَصُّ النُّطْقَ الْعَاقِلَ، لِذَلِكَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ
حَيَوَانٌ نَاطِقٌ (عَاقِلٌ) ٢٣٣ ، لِأَنَّهُ كَمَا تَتَغَذَّى الْأَجْسَادُ
كَذَلِكَ تَتَغَذَّى النَّفْسُ، غَيْرَ أَنَّ الْجَسَدَ يَتَغَذَّى بِالْخُبْزِ
أَمَّا النَّفْسُ فَتَتَغَذَّى بِالْكَلِمَةِ. فَإِنْ رَأَيْتَ إِنْسَانًا يَأْكُلُ
الْحَبَابَةَ، فَهَلْ سَتَقْدِرُ أَنْ تَدَّعِي أَنَّهُ إِنْسَانٌ؟ هَكَذَا

٢٣١ مت ٥ : ٦

٢٣٢ باليونانية: ἡ τοῦ σώματος ἀναλογία والمقصود أن التمييز بين الإنسان
والحيوان غير متعلق فقط بامتلاكهما ذات الجسد.

٢٣٣ الكلمة حيوان هنا تعني كائنًا حيًا ζῷον ، وكلمة λογικὸν تعني: نطقًا وعقلًا
معًا، وفي هذه الفقرة يتلاعب القديس يوحنا بالمعنى المُزدوج لهذه الكلمة.

أَيْضًا فَإِنْ رَأَيْتَهُ لَا يَتَعَذَّى بِالْكَلِمَةِ إِنَّمَا بِالْهَمْجِيَّةِ^{٢٣٤}،
فَيُوفِّ تَقُولُ إِنَّهُ قَدْ قَدَّ إِنْسَانِيَّتُهُ، لِأَنَّ التَّنَشِئَةَ تُظْهِرُ
الْأَصْلَ الشَّرِيفَ^{٢٣٥} لِلْإِنْسَانِ.

لِأَنَّ مَسَرَّحَنَا مُمْتَلِئًا، وَعِنْدَنَا أَيْضًا بَحْرٌ،
تَرْتَطِّمُ أَمَوَاجُهُ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ سَكِينَةً، وَأَيْضًا الْمُحِيطُ
عَاصِفٌ، وَهَادِئٌ، فَلَنَدْخُلْ وَنَشْدِ السَّفِينَةَ، وَلَنَفْتَحْ بَدَلًا
مِنَ الشِّرَاعِ اللِّسَانَ، وَبَدَلًا مَنِ أَنْ نَدْعُو الرِّيحَ
الْعَرَبِيَّةَ، نَدْعُو نِعْمَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، بِدَلًا مِنْ إِسْتِخْدَامِ
زِرَاعِ الدَّافَةِ نَسْتَخْذِمُ دَفَّةَ الصَّالِبِ^{٢٣٦}، إِنَّهُ الْبَحْرُ بِهِ
مَاءٌ مَالِحٌ أَمَّا هُنَا فَيُوجَدُ الْمَاءُ الْحَيُّ، هُنَاكَ يُوجَدُ
الْحَيَوَانَاتُ الْعَجَمَاءُ، بَيْنَمَا هُنَا أَنْفُسٌ عَاقِلَةٌ، هُنَاكَ
يَبْحَرُونَ إِلَى الْمَرْسَاةِ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَرِّ، بَيْنَمَا هُنَا

^{٢٣٤} العبارة باليونانية: $\mu\eta\ \lambda\acute{o}\gamma\omega\ \tau\rho\epsilon\phi\acute{o}\mu\epsilon\nu\text{,}\ \acute{\alpha}\lambda\lambda'\ \acute{\alpha}\lambda\omicron\gamma\acute{\iota}\alpha$ ، وهُنَا يَعْمَلُ
الْقُدُّوسُ تَضَادًا بَيْنَ $\lambda\acute{o}\gamma\omega$ الَّتِي تُعْنِي كَلِمَةً أَوْ مَنْطِقًا وَ $\acute{\alpha}\lambda\omicron\gamma\acute{\iota}\alpha$ الَّتِي تُعْنِي: غَيْمَ الْكَلَامِ
غِيَابَ الْمَنْطِقِ، حَمَاقَةً، لَا عَقْلَانِيَّةً، هَمْجِيَّةً. يُمَكِّنُ أَنْ تُتَرْجَمَ الْعِبَارَةُ: "لَا يَتَعَذَّى بِالْكَلِمَةِ بَلْ
بِالصَّمْتِ" كَمَا فِي التَّرْجُمَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ وَالْفَرَنْسِيَّةِ فِي SC.

^{٢٣٥} الْكَلِمَةُ الْيُونَانِيَّةُ $\tau\eta\nu\ \epsilon\upsilon\gamma\epsilon\nu\epsilon\iota\alpha\nu$ تُعْنِي أَدَبٌ أَوْ سُمُو الْمَنْشَأِ nobility of birth.

^{٢٣٦} حَرْفِيًّا: نَسْتَخْذِمُ الصَّلِيبَ كَرْبَانَ.

كُلُّ مَنْ يَبْحُرُونَ مِنَ الْأَرْضِ تَكُونُ مِرْسَاتُهُمْ فِي
السَّمَاءِ، هُنَاكَ تُوجَدُ السُّفُنُ أَمَّا هُنَا فَتُوجَدُ الْعِظَاتُ
الرُّوحِيَّةُ، هُنَاكَ الشَّرَاعُ أَمَّا هُنَا اللَّسَانُ (لُغَةُ الْكَلَامِ)،
هُنَاكَ هُبُوبُ الرِّيحِ الْغَرِيبَةِ، بَيْنَمَا هُنَا أَنْسَاكُ
الرُّوحِ، هُنَاكَ الرُّبَانُ هُوَ الْإِنْسَانُ بَيْنَمَا هُنَا الرُّبَانُ
هُوَ الْمَسِيحُ، لِذَلِكَ فَالَسَّفِيَّةُ تَعْصِفُ بِهَا الْأَمْوَاجُ
وَلَكِنَّهَا لَا تَغْرُقُ، وَكَانَ بِالْإِمْكَانِ أَنْ تَنْثَقِلَ لِلْإِبْحَارِ
بِهَذُوءٍ (فِي طَقْسٍ مُخْتَلَفٍ)، غَيْرَ أَنَّ الرُّبَانَ لَا يَسْمَحُ
بِذَلِكَ، حَتَّى يَرَى صَبْرَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُبْحِرُونَ
وَيَتَحَقَّقُ جَبْدًا مِنْ تَعَقُّلِ الرُّبَانِ.

حَدِيثٌ عَنِ الْكَنِيسَةِ وَصُمُودِهَا أَمَامَ الطَّعَاةِ

٢- فَلْيَنْصِبِ الْيُونَانِيُّونَ، وَلْيَسْمَعِ الْيَهُودُ
لِإِنْجَارَاتِنَا وَلِسُلْطَانِ الْكَنِيسَةِ، فَكَمْ مِنَ النَّاسِ قَدْ
حَارَبُوا الْكَنِيسَةَ، وَلَا أَحَدًا مِنْهُمْ انْتَصَرَ عَلَيْهَا؟ كَمْ
مِنَ الطَّعَاةِ، كَمْ مِنَ السُّلَاطَةِ؟ كَمْ مِنَ الْمُلُوكِ،
أَغُسْطُسَ، طِيبِيَارِيُوسَ، غَايُوسَ، كُلُودِيُوسَ، نَيْرُونَ،
أُنَاسٌ مَشْهُورُونَ بِالْخُطَابَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَأَقْوِيَاءَ قَدْ

حَارَبُوهَا بِشِدَّةٍ، وَهِيَ لَمْ تَزَلْ حَدِيثَةَ الْعَهْدِ، وَلَمْ
يَسْتَطِيعُوا اقْتِلَاعَهَا، وَهَؤُلَاءُ الَّذِينَ حَارَبُوهَا سَادَ
عَلَيْهِمُ الصَّمْتُ وَذَهَبُوا فِي طَيِّ النَّسِيَانِ، أَمَّا هِيَ
فَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا قَدْ حُرِبَتْ إِلَّا أَنَّهَا ارْتَفَعَتْ فَوْقَ
السَّمَاءِ. أَرْجَوْكَ، أَلَا تَرَى! فَالْكَنِيسَةُ مُوجُودَةٌ عَلَى
الْأَرْضِ وَلَكِنَّ حَيَاتَهَا فِي السَّمَاءِ. وَلَكِنَّ أَيْنَ يَظْهَرُ
هَذَا؟ يَظْهَرُ ذَلِكَ مِنْ سَرْدِ الْأَحْدَاثِ، فَقَدْ حَارَبُوا اثْنَيْ
عَشَرَ تِلْمِيزًا، فَالْمَسْكُونَةُ بِأَسْرِهَا قَدْ حَارَبَتْهُمْ، وَلَكِنَّ
هَؤُلَاءِ الْاثْنَيْ عَشَرَ قَدْ انْتَصَرُوا، وَأُولَئِكَ الَّذِينَ
حَارَبُوهُمْ قَدْ مُحِیُوا مِنَ الْوُجُودِ. فَالْحِمْلَانِ قَدْ
انْتَصَرَتْ عَلَى الذِّئَابِ، أَرَأَيْتَ رَاعِيًا يُرْسِلُ حَمْلَانًا
فِي وَسْطِ الذِّئَابِ؟ حَتَّى أَنَّهُمْ وَلَوْ هَرَبُوا فَلَنْ
يَسْتَطِيعُوا النِّجَاةَ؟ فَأَيُّ رَاعٍ قَدْ عَمَلَ هَذَا؟ إِنَّهُ
الْمَسِيحُ الَّذِي قَدْ فَعَلَهَا. لَكِي يَبِينُ لَكَ كَيْفَ أَنَّ
الْإِنْجَارَاتِ لَا تَصْنَعُ بِالنَّسْلِ الطَّبِيعِيِّ لِلْأُمُورِ،
وَلَكِنَّ بِشَكْلِ يَفُوقُ الطَّبِيعَةَ وَتَسْلُسِلُ الْأُمُورِ، لِأَنَّ
الْكَنِيسَةَ جُذُورَهَا بِالْحَرِيِّ فِي السَّمَاءِ.

الْكَنِيسَةُ أَعْظَمُ مِنَ السَّمَاءِ.

وَلَكِنْ رَبِّمَا يَتَّهَمُونِي الْيُونَانِيُّ ^{٢٣٧} بِالْهَرَاءِ.
فَلْيَنْتَظِرْ سَرْدَ الْأَحْدَاثِ، حَتَّى يَعْلَمَ قُوَّةَ الْحَقِّ، أَنَّهُ مِنَ
الْأَسْهَلِ أَنْ تَنْطَفِئَ الشَّمْسُ عَنْ أَنْ تَزُولَ الْكَنِيسَةُ.
وإِنْ قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يُكْرِزُ بِذَلِكَ؟ (فَأَجِيبْ) ذَاكَ
الَّذِي أَسَّسَهَا. "السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ وَلَكِنْ
كَلَامِي لَا يَزُولُ". ^{٢٣٨} وَهَذَا لَمْ يَقُلْهُ فَقَطْ بَلْ قَدْ تَمَّمَهُ.
فَلَمَّاذَا إِذِنْ قَدْ أَسَّسَ الْكَنِيسَةَ أَعْظَمَ مِنَ السَّمَاءِ؟
لأنَّهَا مَكْرَمَةٌ أَكْثَرُ ^{٢٣٩} مِنَ السَّمَاءِ. لَمَّاذَا تُؤْجَذُ
السَّمَاءُ؟ لِأَجْلِ الْكَنِيسَةِ وَلَيْسَ الْكَنِيسَةُ لِأَجْلِ
السَّمَاءِ. وَالسَّمَاءُ قَدْ صَارَتْ لِأَجْلِ الْإِنْسَانِ وَلَيْسَ
الْإِنْسَانُ لِأَجْلِ السَّمَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ مِنْ كُلِّ مَا
فَعَلَهُ (الْمُخْلِصُ). لِأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَتَّخِذْ جَسَدًا
سَمَاوِيًّا.

^{٢٣٧} المقصود باليوناني ὁ Ἑλλην الشخص الوثني.

^{٢٣٨} مت ٢٤: ٣٥

^{٢٣٩} التعبير باليونانية τιμιωτέρα

مَائِدَةُ الْكَلَمَةِ الْفَاحِشَةِ!

وَلَكِنِّي لَا تُطِيبُ فِي الْحَدِيثِ كَثِيرًا وَنَرَحَلُ
 الْيَوْمَ أَيْضًا وَنَحْنُ مَذْيُونُونَ لَكُمْ - لَأَنِّي أَعَرَفْتُ مَا
 قَدْ وَعَدْتُكُمْ بِهِ بِالْأَمْسِ - فَلْنَحَاوِلْ أَنْ نُنْتِمِمَهُ، لَأَنَّنِي قَدْ
 أَرْجَأْتُ الْحَدِيثَ بِسَبَبِ غِيَابِ الْبَعْضِ، فَطَالَ مَا قَدْ
 أَوْفَى الْعَائِبُونَ بِوَاجِبِهِمْ، وَبِخُضُورِهِمْ قَدْ أَنْعَمُوا
 عَلَيْنَا بِمَائِدَةٍ مُمَثِّلَةٍ وَفَاحِشَةٍ، تَعَالِ الْآنَ لِنُقَدِّمَ الطَّعَامَ
 الشَّهِي، وَهُوَ شَهِيٌّ غَيْرُ تَالِفٍ، لَأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ
 مِنَ الْأَمْسِ فَهُوَ لَيْسَ تَالِفًا، لَأَنَّهُ لَيْسَ لُحُومًا حَتَّى
 يَفْسَدَ، وَلَكِنَّهُ مَعَانٍ تَزْدَهَرُ بِاسْتِمْرَارٍ، فَلَمَّاذَا يَأْ
 تُرَى؟ لَأَنَّ اللَّحُومَ تَتَلَفُ (تُبَادُ) لَأَنَّهُمَا أَجْسَادٌ، وَلَكِنْ
 الْمَعَانِي تَبْقَى، بَلْ وَيَبْقَى عِطْرُهَا فَوَاحًا. فَمَا هِيَ
 الْأُمُورُ الَّتِي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ بِهَا الْبَارِحَةَ؟ لَأَنَّنَا قَدْ
 اسْتَمْتَعْنَا الْبَارِحَةَ بِالْمَائِدَةِ وَالْعَائِبُونَ لَنْ يُصَابُوا بِأَيِّ
 ضَرَرٍ.

كرامة الزواج

: «فِي سَنَةِ وَفَاةٍ عُزِّيَا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ

جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلَأُ
 الْهَيْكَلَ»^{٢٤٠} فَمَنْ قَالَ هَذَا؟ إِنَّهُ إِشْعِيَاءُ الَّذِي رَأَى
 السَّرَافِيمَ، الَّذِي اخْتَبَرَ الزَّوْاجَ وَلَمْ يَفْقِدِ النِّعْمَةَ. لَقَدْ
 انْتَبِهْتُمْ لِنَبِيِّ وَقَدْ سَمِعْتُمْ النَّبِيَّ الْيَوْمَ: اخْرُجْ أَنْتَ
 وَشَارَ يَأْشُوبَ ابْنُكَ^{٢٤١} أَنَّهُ لِمَنْ الضَّرُورِيُّ أَلَا
 نَتَجَاوَزَ هَذَا (الْقَوْلَ) : "اخْرُجْ أَنْتَ وَابْنُكَ" هَلْ كَانَ
 لِنَبِيِّ ابْنٍ؟ إِذَنْ فَإِنْ كَانَ لَهُ ابْنٌ، فَلَهُ زَوْجَةٌ، حَتَّى
 نَعْلَمَ أَنَّ الزَّوْاجَ لَيْسَ شَرًّا وَلَكِنَّ الزِّنَا هُوَ الشَّرُّ.
 وَلَكِنْ غَدِمًا نَتَحَدَّثُ مَعَ كَثِيرِينَ، وَنَقُولُ لَهُمْ: لِمَاذَا
 لَا تَحْيَا بَاسْتِقَامَةٍ، لِمَاذَا لَا تَعِيشُ بِحَيَاةِ التَّذَقُّقِ؟
 فَيَقُولُ: لَا أَسْتَطِيعُ، طَالَمَا أَنَّنِي لَا أَتَخَلَّى عَنْ
 زَوْجَتِي، وَلَا عَنْ أَوْلَادِي، وَلَا أَتَخَلَّى عَنْ أَمْلَاكِي!
 فَمَا هُوَ السَّبَبُ؟ هَلِ الزَّوْاجُ عَائِقٌ؟ فَالْمَرَأَةُ قَدْ
 أُعْطِيَتْ لَكَ كَمُعِينٍ وَلَيْسَ كَعَدُوٍّ، أَلَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ
 زَوْجَةٌ؟ وَلَمْ يَصِرِ الزَّوْاجُ عَائِقًا لِلرُّوحِ الْقُدُّوسِ، بَلْ

^{٢٤٠} أش ٦: ١

^{٢٤١} انظر أش ٧: ٣

كَانَ يُمَارِسُ الْعِلَاقَةَ الزَّوْجِيَّةَ مَعَ امْرَأَتِهِ^{٢٤٢} بَيْنَمَا
كَانَ نَبِيًّا. أَلَمْ يَكُنْ لِمُوسَى زَوْجَةً؟ وَشَقَّ الصُّخُورَ
وغيرَ اثِّجَاءِ الرِّيحِ، وَقَدْ كَانَ يَتَحَدَّثُ مَعَ اللَّهِ،
وَالْغَضَبُ الَّذِي كَانَ يُرْسِلُهُ اللَّهُ كَانَ مُوسَى
(بِصِلَاتِهِ) يُنْطَلِّهُ. وَإِبْرَاهِيمُ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ زَوْجَةً؟ أَلَمْ
يَصِرْ أَبًا لَأُمَمٍ كَثِيرَةٍ وَلِلْكَنِيسَةِ، أَلَمْ يَكُنْ لَهُ ابْنٌ هُوَ
إِسْحَاقُ الَّذِي صَارَ لَهُ بِسَبَبِ تَقْوَاهُ؟ أَلَمْ يُقَدِّمِ ابْنَهُ،
الَّذِي صَارَ ثَمَرَةً زَوَاجِهِ؟ أَلَمْ يَصِرْ أَبًا وَمُحِبًّا لِلَّهِ^{٢٤٣}
(فِي نَفْسِ الْوَقْتِ)؟ أَكَانَ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ نَرَى
شَخْصًا وَهُوَ يَصِيرُ كَاهِنًا مِنْ أَحْسَانِهِ (بِتَقْدِيمِ ابْنِهِ
ذَبِيحَةً)^{٢٤٤}؟ كَاهِنًا وَأَبًا؟ طَبِيعَةً مَهْزُومَةً، وَتَقْوَى لَهَا
السِّيَادَةُ،^{٢٤٥} أَحْسَاءٌ يُدَاسُ عَلَيْهَا وَأَعْمَالُ التَّقْوَى

^{٢٤٢} التعبير باليونانية : ὁμίλει τῇ γυναίκι ، أي "كان يتصل بزوجه".

^{٢٤٣} مُحِبًّا لِلَّهِ : φιλόθεος

^{٢٤٤} "صار كاهنًا مِنْ إِحْسَانِهِ" صُورَةٌ بِلَاغِيَّةٌ يُقَدِّمُهَا الْقِدِّيسُ يُوْحَنَّا ذَهَبِيُّ الْفَمِ، عَنْ تَقْدِيمِ

إِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ إِسْحَاقَ- فَلَدَةً كَبْدَةً- ذَبِيحَةً.

^{٢٤٥} التعبير باليونانية : φύσιν νικωμένην καὶ εὐλάβειαν κρατοῦσαν :

وهو كَنَائَةٌ عَنْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدْ هَزَمَ غَرِيزَةَ الْأَبُوَّةِ بِتَقْوَاهُ.

تَنْتَصِرُ، الْأَبُوَّةُ تَذُوبُ وَمَحَبَّةُ اللَّهِ مُكَالَّةٌ! أَلَمْ تَرَ كُلَّ
مَحَبَّتِهِ لِابْنِهِ وَلِلَّهِ (مَعًا)، فَهَلْ مَنَعَهُ الزَّوْاجُ؟

الْمَرْأَةُ الْمَكَائِيَّةُ نَمُودَجٌ لِلزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ.

وَمَاذَا أَيْضًا عَنْ امْرَأَةِ الْمَكَائِيَّةِ^{٢٤٦}؟ أَلَمْ
تَكُنِ امْرَأَةً؟ أَلَمْ تُقَدِّمِ أَبْنَاءَهَا السَّبْعَةَ إِلَى مَصَافٍ
الْقَدِيسِينَ؟ أَلَمْ تَرَهُمْ وَهُمْ يَسْتَشْهِدُونَ؟ أَلَمْ تَقِفْ مِثْلَ
الْجَبَلِ دُونَ أَنْ تَهْتَزَّ؟ أَلَمْ تَقِفْ بِجَوَارِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ
هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ، وَهِيَ أُمُّ الشُّهَدَاءِ، بَلِ أَلَمْ تَسْتَشْهِدْ
هِيَ سَبْعَ مَرَّاتٍ؟ لِأَنَّهُ عِنْدَمَا كَانَ يُعَذِّبُ هَؤُلَاءِ كَانَتْ
هِيَ الَّتِي تَشْعُرُ بِالْجَرَاحَاتِ، إِذْ أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ تُقْبَلُ مَا
يَخْذُتُ لَهُمْ بَلَاءَ أَلَمٍ، بَلِ لَأَنَّ إِزْدِرَاءَهَا الطَّبِيعَةَ قَدْ
أَظْهَرَ قُوَّتَهَا^{٢٤٧}، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَتَوَهَّقِرْ. لَقَدْ كَانَتْ مِثْلَ
بَخْرٍ وَأَمْوَاجٍ، وَمِثْلَمَا يَهْدَأُ الْبَحْرُ الْمُضْطَرَبُّ، هَكَذَا
فَإِنَّ طَبِيعَتَهَا الْمُنْفَعِلَةَ قَدْ تَمَّ ضُبُّطُهَا بِوَاسِطَةِ مَخَافَةِ

^{٢٤٦} انظر ٢ مكا ٧: ١-٤٢

^{٢٤٧} أي أَنَّ الْأَلَمَ كَانَ يَغْصَرُهَا وَهِيَ تُتَابِعُ تَغْذِيبَ أَوْلَادِهَا وَقَتْلَهُمْ وَلَكِنْ إِرْتِفَاعُهَا عَنْ
طَبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ هُوَ الَّذِي جَعَلَهَا تَتَقَبَّلُ ذَلِكَ.

الله، فكيف ربت أولادهما؟ كيف قامت بتنشيتهم؟
كيف قدمت لله سبعة هياكل؟ وكأنها تماثيل من
ذهب، بل وأعظم قيمة من الذهب!

٣- فالذهب ليس مثل هذا، ليس مثل نفس
الشهداء، فالطاغية قد قام ورحل مهزوماً من امرأة،
ذاك كان يحاصر بالأسلحة وهذه قد انتصرت
بتأهبها، ذاك كان يشعل الآتون وهذه قد أشعلت
فضيلة الروح، فذاك كان يحفر القوات أما هذه
فانتقلت إلى الملائكة، كانت تنظر لأسفل لتري
الطاغية، وتفكر في الملك السماوي، فكانت تنظر
العذاب الأرضي وأيضاً تحسب المكافأة السماوية،
كانت تنظر هنا الجحيم الحاضر وتتطلع إلى الخلود
الآتي، لذلك قبّوس يقول " ونحن غير ناظرين إلى
الأشياء التي ترى، بل إلى التي لا ترى." ^{٢٤٨} أعل
الزواج كان عائقاً لها؟

القديس بطرس كَانَ رَجُلًا مُتَزَوِّجًا

فَمَاذَا فَعَلَ بَطْرُسُ أَسَاسُ الْكَنِيسَةِ^{٢٤٩}،

العاشقُ بهُوسِ المسيح، الذي لَمْ يَذِرِ الْبَلَاغَةَ، وَقَدْ
إِنْتَصَرَ عَلَى الْخُطَبَاءِ، غَيْرِ الْمُتَعَلِّمِ الَّذِي سَدَّ أَفْوَاهَ
الْفَلَاسِفَةِ، ذَاكَ الَّذِي مَزَّقَ الْعِبَادَةَ الْيُونَانِيَّةَ كَمَثَلِ
خُيُوطِ الْعَنْكَبُوتِ، الَّذِي جَالَ فِي الْمَسْكُونَةِ بِأَسْرِهَا،
فَتَنَ الْبَحَرَ (أَيَ الْعَالَمِ) وَصَادَ الْمَسْكُونَةَ، أَلَمْ تَكُنْ لَهُ
هُوَ أَيْضًا زَوْجَةً؟ بَلَى كَانَتْ لَهُ، اسْتَمِعْ لِقَوْلِ الْبَشِيرِ:
"إِنْ يَسُوعُ قَدْ آتَى إِلَيَّ حَمَاةَ بَطْرُسَ الَّتِي قَدْ إِعْتَرَتْهَا
حُمَى"^{٢٥٠}، فَطَالَمَا كَانَتْ هُنَاكَ حَمَاةٌ قِبَالِي كَانَتْ
لَهُ زَوْجَةً، وَكَذَلِكَ يُوجَدُ زَوَاجٌ، وَمَاذَا عَنْ فِيلِبُّسَ؟
أَلَمْ تَكُنْ لَهُ أَرْبَعُ بَنَاتٍ، وَبِالتَّالِي هُنَاكَ زَوْجَةً
وَزَوَاجٌ.

^{٢٤٩} التَّعْبِيرُ بِالْيُونَانِيَّةِ هُوَ ἡ κρηπίς τῆς Ἐκκλησίας، وَهَذَا التَّعْبِيرُ لَيْسَ مِنْ وَضَعِ
القَدِيسِ يُوْحَنَّا بَلْ مِنْ مُخَرِّرِ هَذِهِ الْعِظَةِ، رَاجِعْ دِرَاسَتَنَا عَنْ هَذَا التَّعْبِيرِ فِي الْمَقْدِمَةِ.

^{٢٥٠} رَاجِعْ مَرَّةً ١: ٣٠ وَلَوْ ٤: ٣٨

السيد المسيح كَرَّمَ الزَّوْجَ فِي عُرْسِ قَانَا الْجَلِيلِ

وَمَاذَا عَنِ الْمَسِيحِ؟ فَقَدْ وَلِدَ مَنْ عَذْرَاءٍ
وَلَكِنْ ذَهَبَ إِلَى عُرْسٍ وَقَدَّمَ هَدِيَّةً^{٢٥١} لِأَنَّهُ قِيلَ:
"لَيْسَ عِنْدَهُمْ خَمْرٌ"^{٢٥٢} فَحَوَّلَ الْمَاءَ خَمْرًا، مُكْرِمًا
مَعَ الْبَنُوْلِيَّةِ الزَّوْجَ، فَبِهَذِهِ الْعَطِيَّةِ قَدْ جَعَلَ حَدَثَ
الْعُرْسِ مَوْضِعَ إِخْتِرَامٍ، كَيْ لَا تُبْغِضَ الزَّوْجُ بَلْ
لِتُكْرَمَ الزَّيْنَاءُ، وَمَنْ وَاقَعَ مَسْئُولِيَّتِي أَضْمَنْ لَكَ
الْخَلَاصَ إِنْ كَانَ لَكَ زَوْجَةٌ.

نَمَازُجُ لِنِسَاءٍ صَالِحَاتٍ وَطَالِحَاتٍ

انْتَبِهْ لِدَلِكْ، فَالْمَرْأَةُ إِنْ كَانَتْ صَالِحَةً فَهِيَ
مُعِينٌ لَكَ، وَلَكِنْ مَا هِيَ الْحَالُ إِنْ لَمْ تَكُنْ صَالِحَةً؟
اجْعَلْهَا صَالِحَةً، أَلْعَلَّهُ لَمْ تُوجَدْ نِسَاءً صَالِحَاتُ
وَطَالِحَاتُ، حَتَّى لَا يَكُونَ لَكَ عَذْرٌ؟ فَمِنْ أَيِّ نَوْعٍ
كَانَتْ زَوْجَةٌ أَيُّوبُ؟ أَمَا سَارَةُ فَكَانَتْ صَالِحَةً.
سَارِيكَ أَمْرًا شَرِيرَةً وَدَنِيئَةً. أَلَمْ تُؤْذِ أَمْرًا أَيُّوبَ

^{٢٥١} هدية أو عطية δῶρον، والمقصود تحويله الماء لخمر.

^{٢٥٢} راجع يو ٢: ٣

رُجُلُهَا؟ فَقَدْ كَانَتْ شَرِيرَةً وَخَسِيسَةً إِذْ نَصَحْتُهُ بِأَنْ
يُجَدَّفَ، فَمَاذَا فَعَلْتَ؟ هَلْ هَزَّتِ الْبَرْجُ؟ هَلْ أَطَاعَتْ
بِالْمَاسِ عَلَى الْأَرْضِ؟ هَلْ هَزَمَتِ الصَّخْرَةَ؟ هَلْ
جَرَحَتِ الْجُنْدِي؟ هَلْ ثَقَبَتِ السَّفِينَةَ؟ هَلْ قَلَعَتِ
الشَّجِرَةَ؟ لَمْ يَحْدُثْ أَيُّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا، فَتَأَلَّكَ قَدْ
تَحَطَّمَتْ وَلَكِنَّ الْبَرْجَ صَارَ أَكْثَرَ ثَبَاتًا، هِيَ هَيَّجَتْ
الْأَمْوَاجَ وَلَكِنَّ السَّفِينَةَ لَمْ تَغْرُقْ، بَلْ أَبْحَرَتْ مَعَ
الرِّيَّاحِ الْهَادِئَةِ، فَقَدْ قُطِفَتِ الثَّمَرَةُ وَالشَّجَرَةُ لَمْ
تَتَزَحْزَحْ، سَقَطَتْ أَوْرَافُهَا وَلَكِنَّ جُذُورَهَا بَقِيَ ثَابِتَةً،
وَهَذَا أَفْؤَلُهُ حَتَّى لَا يَتَذَرَعَ أَحَدٌ بِشُرُورِ زَوْجَتِهِ، هَلْ
هِيَ شَرِيرَةٌ؟ فَلْتَصْلِحْ مِنْ حَالِهَا، وَلَكِنَّ يَقُولُ قَائِلٌ :
قَدْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ الْفَرِيُوسِ. لَكِنَّ أَيْضًا رَفَعْتُكَ إِلَى
السَّمَاءَاتِ، فَلَهَا نَفْسُ الطَّبِيعَةِ بِالتَّيَكُّيدِ وَلَكِنَّ
الْإِرَادَةَ^{٢٥٣} مُخْتَلَفَةً، وَلَكِنَّ هَلْ كَانَتْ امْرَأَةُ أَيُّوبَ
دَنِيَّةً؟ غَيْرَ أَنَّ سَوْسَنَةَ كَانَتْ صَالِحَةً، هَلْ كَانَتْ

^{٢٥٣} الكلمة اليونانية γνώμη تعني رأي، موافقة، فكر، إرادة. في الترجمة الإنجليزية

تُرجمت إرادة will بينما في الفرنسية تُرجمت الفكر la pensée.

الْمَصْرِيَّةُ فَاسِيقَةٌ؟^{٢٥٤} وَلَكِنَّ سَارَةَ كَانَتْ عَظِيمَةً، هَلْ رَأَيْتَ تِلْكَ؟ فَانْظُرْ هَذِهِ أَيْضًا. لِأَنَّهُ أَيْضًا قِيمًا بَيْنَ الرِّجَالِ بَعْضُهُمْ أَدْنَىءَ، وَبَعْضُهُمْ جَدِيرُونَ بِالتَّقْدِيرِ (عُظْمَاءُ)، كَمَا أَنَّ يُوسُفَ صَالِحًا بَيْنَمَا الشَّيْخَانِ^{٢٥٥} كَانَا فَاسِقَيْنِ، أَرَأَيْتَ فِي كُلِّ مَكَانٍ الشَّرَّ وَالْفَضِيلَةَ؟ (فَالْبَشَرُ) لَا يُدَانُونَ بِسَبَبِ طَبِيعَتِهِمْ (ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى)، بَلْ بِأَفْكَارِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ يَتَمَيِّزُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَهَلْ مِنْ دَاعٍ لِلْأَعْدَارِ؟

عَلَّةُ تَارِيخِ رُؤْيَا إِسْغِيَاءِ بَوَقَاةِ الْمَلِكِ غُرِّيًّا.

وَلَكِنْ دَعُونَا نَعُودُ إِلَى دِينِنَا عَلَيْكُمْ كَمَا نُوفِي بِهِ.^{٢٥٦} «وَحَدَّثَ فِي سَنَةِ وَقَاةِ غُرِّيَّا الْمَلِكِ»^{٢٥٧} سَوْفَ أَقُولُ لِمَاذَا يَهْتَمُّ النَّبِيُّ أَنْ يَذْكُرَ زَمَانَ الْحَدَثِ،

^{٢٥٤} الْمُقْصُودَةُ بِالْمَصْرِيَّةِ هِيَ امْرَأَةٌ فُوطُيفَارَ (رَاجِعْ تَك ٣٩: ٧)، فَمِنْ الْمُسْتَبْعَدِ أَنْ يَكُونَ الْمُقْصُودُ هَاجِرَ الْمَصْرِيَّةِ.

^{٢٥٥} πρεσβύτεροι شيوخ، وَأَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّ الْمُقْصُودَ هُمَا الشَّيْخَانِ الْوَارِثَانِ فِي قِصَّةِ سُوْسَنَةَ الَّتِي أُشَارَ إِلَيْهَا.

^{٢٥٦} الْمُقْصُودُ بِالَّذِينَ وَعَدَهُ لَهُمُ بِالْحَدِيثِ عَنْ غُرِّيَّا الْمَلِكِ.

^{٢٥٧} رَاجِعْ أَش ٦: ١

الْبَارِحَةَ قَدْ تَحَدَّثْتُ لِمَاذَا يُورَخُ كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ زَمَنِ
حَيَاةِ الْمُلُوكِ، وَهَذَا خُرُوجٌ عَنِ الْعَادَةِ، فَهَوَ لَا يَقُولُ
:"فِي أَيَّامِ عَزِيًّا" بَلْ "عِنْدَ وَفَاةِ عَزِيًّا" وَهَذَا مَا أُرِيدُ
إِبْضَاحَهُ الْيَوْمَ، فَإِنْ كَانَ الْقَيْظُ شَدِيدًا فَإِنَّ نَدَى الْكَلِمَةِ
أَعْظَمُ^{٢٥٨}، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْجَسَدُ يُفْهَرُ وَيُوهَنُ، فَإِنَّ
النَّفْسَ تَرْدَهُرُ وَتُنَبِّسُطُ، فَلَا تُحَدِّثُنِي عَنِ الْقَيْظِ
وَالْعَرَقِ، فَإِنْ كَانَ الْجَسَدُ مُصِيبًا بِالْعَرَقِ، فَتَنْظِفُ
نَفْسَكَ. لِأَنَّ الْفَتْيَةَ الثَّلَاثَةَ كَانُوا فِي أَتُونِ النَّارِ وَلَمْ
يُعَانُوا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ، بَلْ أَنَّ الْأَتُونَ قَدْ تَحَوَّلَ مَثَلُ
نَدَى، فَعِنْدَمَا يَجُولُ بِخَاطِرِكَ الْعَرَقُ، فَتَفَكَّرْ فِي
الْمُكَافَاةِ وَالْجِزَاءِ، لِأَنَّ رَجُلَ السَّبَاحَةِ لَا يَتَجَاسَرُ أَنْ
يَغْطَسَ فِي عُمُقِ الْبَحْرِ لِأَيِّ سَبَبٍ سِوَى أَنْ يَخْصِلَ
عَلَى الْحَبَارَةِ الْكَرِيمَةِ، الَّتِي تُمَثِّلُ دَافِعَ جَهَادِهِ، لَا
أَدِينُ بِالتَّكَايُفِ الْمَادَّةِ، وَلَكِنَّ الْفِكْرَ الْفَاسِقَ، وَأَنْتَ
أَيْضًا لَكِي تَكْسِبَ كِنْزًا لَا يَفْنَى، وَحَتَّى تَنْبُتَ كَرَمَةٌ

^{٢٥٨} عَلَى مَا يَبْدُو فَإِنَّ الْعِظَةَ قَدْ أُلْقِيَتْ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ، فَيَطَالِبُ الْقَدِيسُ دَهْبِيُّ الْفَمِ

الْخُصُورَ بِتَحْمِلِ خَرَارَةِ الْجَوِّ.

فِي نَفْسِكَ، أَفَلَا تَتَحَمَّلُ الْقَيْظَ، وَكَذَلِكَ الْعَرَقَ؟ أَلَا تَرَى أُولَئِكَ الَّذِينَ يَجْلِسُونَ فِي الْمَسَارِحِ كَيْفَ يَعْرِفُونَ وَتَسْطَعُ عَلَيْهِمْ أَشْعَةُ الشَّمْسِ وَهُمْ غُرَاءُ الرُّؤُوسِ، كَيْ يَصْنُرُوا سَبَايَا الْمَوْتِ، وَحَتَّى يَنْبُحُونَا عَيْنِدَا لِلزَّانِيَةِ! أُولَئِكَ يُعَانُونَ لِأَجْلِ هَلَاقِهِمْ، وَأَنْتَ تَتَخَلَّى عَنْ خَلَاصِكَ، إِنَّكَ مُصَارِعٌ وَجُنْدِيٌّ.

كِبْرِيَاءُ عَزِيًّا.

فَمَنْ هُوَ عَزِيًّا هَذَا وَلِمَاذَا يَذْكُرُ مَوْتَهُ هَذَا؟ لَقَدْ كَانَ عَزِيًّا هَذَا مَلَكًا وَرَجُلًا بَارًّا، وَكَانَ لَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْفَضَائِلِ، وَلَكِنْ فِيمَا بَعْدُ قَدْ أَصَابَتْهُ الْعَطْرَسَةُ (الكِبْرِيَاءُ)، وَهِيَ أُمُّ كُلِّ الشُّرُورِ، وَالْعَجْرَفَةُ الْمُمْتَلِئَةُ إِضْطِرَابًا، وَالْكِبْرِيَاءُ، (الَّتِي سَبَّبَتْ) هَلَاقَ الشَّيْطَانِ، وَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ أَسْوَأَ مِنَ الْكِبْرِيَاءِ، وَالْبَارَحَةُ قَدْ اسْتَنْفَذْنَا الْحَدِيثَ بِأَكْمَلِهِ فِي الْكَلَامِ عَنْهُ، وَعَلَّمْنَا عَنِ الْإِتِّصَاعِ.

مَثَلُ الْفَرِيسِيِّ وَالْعَشَارِ.

٤- فَهَلْ أَحْكَمِي لَكَ كَمْ هُوَ صَالِحُ الْاِتِّصَاعِ
وَكَمْ هُوَ شَرُّ الْكَبْرِيَاءِ؟ فَشَخَصُ خَاطِي قَدْ هَزَمَ آخَرَ
بَارًّا^{٢٥٩}، (أَفْصِدْ) الْعَشَارَ الَّذِي هَزَمَ الْفَرِيسِيَّ،
وَالْأَقْوَالُ هَزَمَتِ الْأَفْعَالُ، فَكَيْفَ اِنْتَصَرَتِ الْأَقْوَالُ؟
فَالْعَشَارُ قَالَ: "اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِي".^{٢٦٠}
بَيْنَمَا الْفَرِيسِيُّ يَقُولُ " أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ
الْخَاطِطِينَ الظَّالِمِينَ"^{٢٦١} وَمَاذَا أَيُّضًا؟ " أَصُومُ
مَرَّتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ، وَأَعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ."^{٢٦٢}
فَالْفَرِيسِيُّ قَدَّمَ أَعْمَالَ بَرٍّ، بَيْنَمَا الْعَشَارُ تَحَدَّثَ
بِكَلِمَاتٍ اِتِّصَاعٍ، فَهَزَمَتِ الْكَلِمَاتُ الْأَعْمَالَ، فَالْكَنْزُ
الْعَظِيمُ قَدْ تَبَخَّرَ (تَبَدَّدَ)، الْفَقْرُ الْمُدْفِعُ قَدْ تَحَوَّلَ
لِغْنَى^{٢٦٣}، فَقَدْ أَتَتْ سَفِينَتَانِ كَانَتَا مُحْمَلَتَيْنِ بِالْبَضَائِعِ،

^{٢٥٩} الْمُقْصُودُ بَارٌّ فِي عَيْنِي نَفْسِهِ.

^{٢٦٠} لَوْ ١٨: ١٣

^{٢٦١} لَوْ ١٨: ١١

^{٢٦٢} لَوْ ١٨: ١٢

^{٢٦٣} الْمُقْصُودُ بِالْكَنْزِ أَعْمَالُ التَّقْوَى الظَّاهِرَةِ لِلْفَرِيسِيِّ، وَالْمُقْصُودُ بِالْفَقْرِ هُوَ فَقْرُ

وَقَدْ دَخَلَ كِلَاهُمَا الْمِينَاءَ، غَيْرَ أَنَّ الْعَشَارَ قَدْ رَسَا
 آمِنًا فِي الْمِينَاءِ، بَيْنَمَا الْفَرِيسِيُّ فَقَدْ عَانَى مِنَ الْعَرَقِ،
 كَيْفَ تَعْرِفُ كَمْ هُوَ شَرُّ الْكِبْرِيَاءِ. هَلْ أَنْتَ بَارٌّ؟ فَلَا
 تَعْتَبِرْ أَخَاكَ أَذْنَى مِنْكَ. هَلْ عِنْدَكَ وَفْرَةٌ مِنْ أَعْمَالِ
 التَّقْوَى؟ فَلَا تَسَخَرْ مِنْ قَرْنِيكَ فَتَقْلَلُ مِنْ ثَنَائِكَ عَلَيْهِ،
 فَكُلَّمَا كُنْتَ عَظِيمًا فَالْتَضِعْ، وَلِتَحْتَرِسَ جَيِّدًا عِنْدَ
 حَبِيبِكَ، يَا حَبِيبِي، فَبِالْحَرِيِّ يَخْشَى الصَّدِيقُ مِنَ
 الْكِبْرِيَاءِ أَكْثَرَ مِنَ الْخَاطِئِ، وَهَذَا قَدْ قُلْتُهُ بِالْأَمْسِ
 وَأَكْرَرَهُ الْيَوْمَ لَمَْنْ كَانَ غَائِبًا، لِأَنَّ الْخَاطِئَ عِنْدَهُ
 وَازِغٌ مَنْ ضَمِيرُهُ يُدِئُهُ وَيَذْفَعُهُ لِلاتِّضَاعِ بَيْنَمَا الْبَارُّ
 يَقْتَحِرُ بِأَعْمَالِهِ.

الشَّيَاطِينُ لَا يَهَاجِمُونَ الْخُطَاةَ بَلِ الْأَبْرَارَ.

وَكَمَا يَحْدُثُ فِي السُّفُنِ، فَالَّذِينَ عِنْدَهُمْ سَفِينَةٌ
 قَارِغَةٌ، لَا يَخْشَوْنَ مِنْ هُجُومِ الْقَرَّاصِينَةِ، لِأَنَّهُمْ لَنْ
 يَأْتُوا لِلسَّطْوِ عَلَى سَفِينَةٍ خَاوِيَةٍ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ، بَيْنَمَا
 الَّذِينَ يَمْلِكُونَ سَفِينَةً مُمْتَلِئَةً مِنَ الْبَضَائِعِ، يَخْشَوْنَ

العشار في تلك الإغمال.

الْقَرَّاصِنَّةَ، لَأَنَّ الْقَرَّاصِنَّةَ يَسْتَهْدِفُونَهَا حَيْثُ يُوجَدُ
الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالْحَجَارَةُ الْكَرِيمَةُ، وَهَكَذَا أَيْضًا
الشَّيْطَانُ لَا يَهَاجِمُ بِبَسَاطَةِ الْخَاطِئِ بَلِ الْبَارِ، حَيْثُ
يُوجَدُ الْغِنَى الْعَظِيمُ، لِأَنَّهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ يَأْتِي
الْكِبْرِيَاءُ مِنْ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ. وَمِنْ الضَّرُورِيِّ أَنْ
نَكُونُ حَرِصِينَ، فَكُلَّمَا كُنْتَ عَظِيمًا كُلَّمَا وَجِبَ
عَلَيْكَ الْإِضْغَاعُ، فِعِنْدَمَا تَرْتَفِعُ عَلِيًّا وَجِبَ عَلَيْكَ أَنْ
تُؤْمِنَ نَفْسَكَ، كَيْ لَا تَسْقُطَ. لَذَلِكَ فَرَبُّنَا يَقُولُ لَنَا:
"مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أَمَرْتُ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدُ
بَطَّالُونَ"^{٢٦٤} فَلَمَّاذَا تَتَكَبَّرُ طَالَمَا أَنْتَ (مُجَرَّدَ) إِنْسَانٍ
يَنْتَمِي (لِثَرَابِ) الْأَرْضِ، وَمَنْ نَفْسِ جَوْهَرِ الرَّمَادِ
وَلَا تَعْمَلْ حِسَابَ التَّغْيِرَاتِ الْحَادِثَةِ^{٢٦٥} فِي طَبِيعَتِكَ
وَفِي فِكْرِكَ وَفِي إِيخْتِيَارَاتِكَ لِلْأُمُورِ؟ فَالْيَوْمَ أَنْتَ
ثَرِيٌّ وَغَدًا فُقِيرٌ، الْيَوْمَ أَنْتَ فِي صِحَّةٍ وَغَدًا
مَرِيضٌ، الْيَوْمَ سَعِيدٌ وَغَدًا حَزِينٌ، الْيَوْمَ فِي مَجْدٍ

^{٢٦٤} لو ١٧: ١٠

^{٢٦٥} تُعَبِّرُ "لَا تَعْمَلْ حِسَابَ التَّغْيِرَاتِ" حَسَبَ النِّصِّ الْمَحْقُوقِ SC وَلَا وَجُودَ لَهَا فِي

وَعَدًا فِي عَارٍ، الْيَوْمَ شَابَ وَغَدًا كَهْلٌ، أَوَاتِظُنُّ أَنَّهُ
يُوجَدُ شَيْءٌ ثَابِتٌ فِيمَا يَخْصُ الطَّبِيعَةَ الْبَشَرِيَّةَ؟ فَهِيَ
تُشَبِّهُ تَدْفَقُ تَيَّارَاتِ الْأَنْهَارِ، بِمَجَرَدِ أَنْ تَظْهَرَ تَتَبَدَّدُ
بَشَكْلٍ أَسْرَعَ مِنَ الظِّلِّ، فَلِمَ إِذَا تَتَكَبَّرُ إِذَنْ أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ، فَأَنْتَ كَمِثْلِ الدُّخَانِ سُرْعَانَ مَا
تُضْمَحِلُّ؟^{٢٦٦} لِأَنَّ الْإِنْسَانَ أَشَبَّهُ بِالْعَدَمِ، وَأَيَّامُهُ مِثْلُ
الْعُشْبِ، ذَبُلَ الْعُشْبُ وَسَقَطَ زَهْرُهُ.^{٢٦٧}

كِبْرِيَاءُ غُزِّيًّا قَادَهُ إِلَى إِعْتِصَابِ الْكُهُنُوتِ.

هَذَا قَوْلُهُ لَكُمْ، لَيْسَ لَتَحْقِيقِ الطَّبِيعَةِ
الْبَشَرِيَّةِ، بَلِ الْكِبْرِيَاءِ جِمَاحِ الْكِبْرِيَاءِ، "لِأَنَّ الْإِنْسَانَ
عَظِيمٌ وَالرَّجُلَ الرَّحِيمَ مُكْرَمٌ"^{٢٦٨} وَلَكِنَّ غُزِّيًّا هَذَا
كَمَلِكَ كَانَ مُرْتَدِّيًا تَأَجَّ الْمُلْكِ، وَلِأَنَّهُ كَانَ بَارًا، فَقَدْ
تَمَلَّكَهُ الْعَظَمَةُ عَلَى نَحْوِ مَا، وَشَعَرَ بِالْعُرُورِ، فَدَخَلَ

^{٢٦٦} انظر (مز ١٠٢: ٣): "لأنَّ أَيَّامِي قَدْ قَنَيْتُ فِي دُخَانٍ، وَعِظَامِي مِثْلُ وَقِيدٍ قَدْ
نَيْسَتْ." وأيضاً (يع ٤: ١٤) "لأنَّه مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إِنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلًا ثُمَّ يَضْمَحِلُّ."
^{٢٦٧} انظر (مز ١٠٣: ١٥): الْإِنْسَانُ مِثْلُ الْعُشْبِ أَيَّامُهُ. كَزَهْرِ الْحَقْلِ كَذَلِكَ يُزْهِرُ.
كَذَلِكَ (يع ١: ١٠) وَأَمَّا الْعَنِيُّ فَيَبْتَاعُهُ، لِأَنَّهُ كَزَهْرِ الْعُشْبِ يَزُولُ.

^{٢٦٨} أم ٢٠: ٦ بحسب الترجمة السبعينية.

إِلَى الْهَيْكَلِ، وَمَاذَا قِيلَ: "دَخَلَ إِلَيَّ قَدْسِ الْأَقْدَاسِ
وَقَالَ أُرِيدُ أَنْ أَبْخَرَ"^{٢٦٩} فَبَيْنَمَا كَانَ مَلِكًا أَرَادَ أَنْ
يَعْتَصِبَ سُلْطَةَ الْكَهَنُوتِ، فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَبْخَرَ،
لَأَنْتِي بَارٌّ. لَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَلْزَمَ خُدُودَكَ، فَتُوجَدُ خُدُودُ
لِلْمَلِكِ وَخُدُودُ أُخْرَى لِلْكَهَنُوتِ، وَلَكِنَّ الْكَهَنُوتَ أَعْلَى
مِنَ الْمَلِكِ، لِأَنَّ الْمَلِكَ لَا يَظْهَرُ مِنْ مَظْهَرِهِ
(الْخَارِجِيِّ)، وَلَا مِنَ الْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ الْمُرَصَّعَةِ
عَلَيْهِ أَوْ الذَّهَبِ الَّذِي يَرْتَدِّيهِ يُمَكِّنُ أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْهِ،
لَأَنَّهُ اخْتِيرَ كَمَا يَعْتَنِي بِالْأُمُورِ الْأَرْضِيَّةِ بَيْنَمَا مَكَانَةُ
الْكَهَنُوتِ تَتَعَلَّقُ بِالْأُمُورِ الْعُلُويَّةِ، "كُلُّ مَا تَرِبُّطُهُ
عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ."^{٢٧٠}
الْمَلِكُ لَهُ مَسْئُولِيَّةٌ هُنَا (عَلَى الْأُمُورِ الْأَرْضِيَّةِ)، أَمَّا
أَنَا فَمَسْئُولٌ عَنِ الْأُمُورِ السَّمَاوِيَّةِ، وَعِنْدَمَا أَقُولُ "أَنَا"
فَلَأَنِّي أَتَخَذُ مِنَ الْكَاهِنِ. فَلَا تُشَوِّهِ إِذَنْ سُمْعَةً
الْكَهَنُوتِ عِنْدَمَا تَرَى كَاهِنًا غَيْرَ مُسْتَحَقٍّ لِأَنَّهُ يَجِبُ

^{٢٦٩} راجع ٢: ٢٦.

^{٢٧٠} مت ١٦: ١٩.

أَلَا تُدِينِ الْوَظِيفَةَ ذَاتَهَا بَلْ مَنْ يَسَى اسْتِخْدَامَ
الصَّلَاحِ الَّذِي فِيهَا. لِأَنَّ يَهُوذَا قَدْ صَارَ خَائِنًا وَلَكِنَّ
إِدَانَّتَهُ لَا تُمَثِّلُ إِدَانَةَ لِلرَّسُولِيَّةِ بَلْ لِأَفْكَارِهِ الْخَاصَّةِ،
فَالْإِدَانَةُ لَا تَسِيءُ لِلْكَهَنُوتِ بَلْ لِلْفِكْرِ الشَّرِيرِ.

لَا يَنْبَغِي الْإِسَاءَةُ لِلْكَهَنُوتِ بِسَبَبِ نَفَرٍ مِنَ الْكَهَنَةِ.

٥- وَأَنْتِ أَيْضًا لَا تُشَوِّهُ سُمْعَةَ الْكَهَنُوتِ بِلِ
الْكَاهِنِ الَّذِي يَسِيءُ اسْتِخْدَامَ الصَّلَاحِ الْمَوْجُودِ فِي
هَذَا الْكَهَنُوتِ، لِأَنَّهُ عِنْدَمَا يَتَخَذْتُ مَعَكَ وَاحِدٌ وَيَقُولُ
لَكَ: هَلْ تَرَى ذَلِكَ الْمَسِيحِي؟ فَقُلْ لَهُ: أَنَا لَا أَتَخَذْتُ
مَعَكَ عَنْ أَشْخَاصٍ بَلْ عَنْ أَشْيَاءٍ، لِأَنَّهُ كَمْ مِنَ
الْأَطِبَّاءِ قَدْ صَارُوا كَالْمُمْرِضِينَ الشَّعْبِيِّينَ^{٢٧١}
وَأَعْطُوا سَمُومًا بَدَلًا مِنَ الْأَدْوِيَةِ؟ غَيْرَ أَنَّنِي لَا أُدِينُ
مِهْنَةَ الطِّبِّ بَلْ مَنْ يُمَارِسُونَهَا بِطَرِيقَةٍ خَاطِئَةٍ. كَمْ

^{٢٧١} الْكَلِمَةُ الْيُونَانِيَّةُ δῆμιος لَهَا عِدَّةُ مَعَانٍ مِنْهَا جَلَادٌ الْعَامَّةِ أَوْ مُنْذِرٌ حُكْمِ الْمَوْتِ،
وَأَحَدُ مَعَانِيهَا أَيْضًا: طَبِيبٌ شَعْبِيٌّ، وَفِي التَّرْجُمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ تُرْجِمَتْ "جَلَادِينَ" بَيْنَمَا فِي
التَّرْجُمَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ تُرْجِمَتْ "تَجَالِينَ"، وَاصِلُ الْكَلِمَةِ يَعْني مَا يَخْصُ عَامَّةَ النَّاسِ، وَفِي
ظَنَّنَا أَنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَطِبَّاءِ قَدْ صَارُوا مِثْلَ الْعَوَامِ الْجَهْلَةِ الَّذِينَ يَقْتُولُونَ فِي الطِّبِّ
بِلَا مَعْرِفَةٍ.

مَنْ الْبَحَارَةَ قَدْ أَغْرَقُوا سَفُنًا؟ غَيْرَ أَنَّ مَهْنَةَ الْبَحْرِيَّةِ
لَيْسَتْ هِيَ الَّتِي أَغْرَقْنَاهَا بَلْ إِرَادَتُهُمُ الشَّرِيرَةُ، لِذَلِكَ
فَإِنْ رَأَيْتَ مَسِيحِيًّا شَرِيرًا فَلَا تُدِنْ عَقِيدَتَهُ
(الْمَسِيحِيَّةَ) أَوِ الْكَهَنُوتَ، بَلْ لَتَيْنِ مَنْ يَسِيءُ
إِسْتِخْدَامَ الصَّلَاحِ الَّذِي فِيهِمَا، فَالْمَلِكُ يُوْتَمَنُّ عَلَى
الْأَجْسَادِ، بَيْنَمَا الْكَاهِنُ يُوْتَمَنُّ عَلَى النُّفُوسِ، الْمَلِكُ
يَعْفِي عَنْ رِصِيدِ الدِّينِ الْمُتَبَقِّي، بَيْنَمَا الْكَاهِنُ عَنْ
رِصِيدِ الْخَطَايَا، هَذَا يُجْبَرُ أَمَّا ذَاكَ فَإِنَّهُ يَحُثُّ، فَهَذَا
بِالْقَهْرِ وَأَمَّا ذَاكَ فَبِالنَّصِيحَةِ، هَذَا بِالْأَسْلِحَةِ الْمَادِيَّةِ
وَأَمَّا ذَاكَ فَبِالْأَسْلِحَةِ الرُّوحِيَّةِ، هَذَا يُحَارِبُ الْبَرَبَرَ
أَمَّا أَنَا فَأَحَارِبُ الشَّيَاطِينَ، وَهَذَا السُّلْطَانُ هُوَ
الْأَعْلَى، لِذَلِكَ يَضَعُ الْمَلِكُ رَأْسَهُ تَحْتَ يَدِ الْكَاهِنِ،
وَفِي مَوْضِعٍ مَا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ نَجَدُ الْكَهَنَةَ يَمَسُخُونَ
الْمُلُوكَ. وَلَكِنَّ ذَلِكَ الْمَلِكَ (عُزِّيًّا) قَدْ تَجَاوَزَ حُدُودَهُ
وَتَعَدَّى حَدَ الْمَلِكِ، وَشَرَعَ يُضَيِّفُ إِلَى نَفْسِهِ سُلْطَانًا
فَدَخَلَ الْهَيْكَلَ بِالْقُوَّةِ مُرِيدًا أَنْ يُبْخَرَ.

الكَهَنَةُ يُقَاوِمُونَ غُزِّيًّا بِشَجَاعَةٍ

فَمَاذَا فَعَلَ الْكَهَنَةُ: "لَا يَحِقُّ لَكَ يَا غُزِّيَّا أَنْ تُبَخَّرَ" فَأَنْظَرَ الصَّرَاحَةَ، وَتَصَرَّفَ الْأَحْرَارِ، وَاللَّهَجَةُ الَّتِي تَصِلُ لَعْنَانِ السَّمَاءِ، وَالْحُرِيَّةُ الَّتِي لَا تُهْزَمُ، فَهُوَ بِجَسَدِهِ إِنْسَانٌ أَمَّا بِحُسْنِ تَصَرُّفِهِ فَهُوَ مَلَكٌ^{٢٧٢} يَسِيرُ عَلَى الْأَرْضِ وَلِكُلِّ مَعِيشَتِهِ فِي السَّمَاءِ، الَّذِي رَأَى الْمَلِكَ وَلَمْ يَسِرِ الْأَرْجُوانَ (الَّذِي يَرْتَدِّيهِ)، رَأَى الْمَلِكَ وَلَمْ يَرِ النَّاجَ، فَلَا تُحَدِّثُنِي عَنِ الْمُلِكِ طَالَمَا كَانَتْ هُنَاكَ مُخَالَفَةٌ لِلشَّرِيعَةِ. "لَا يَحِقُّ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْ تُبَخَّرَ فِي قُدْسِ الْأَقْدَاسِ"^{٢٧٣} فَقَدْ تَجَاوَزْتَ حُدُودَكَ، وَرَغِبْتَ فِيمَا لَا يَحِقُّ لَكَ، لِذَلِكَ فَسَوْفَ يُنَزَّعُ مِنْكَ مَا قَدْ اكْتَسَبْتَهُ. "لَا يَحِقُّ لَكَ أَنْ تُبَخَّرَ بَلْ لِلْكَهَنَةِ" فَهَذَا لَيْسَ عَمَلُكَ بَلْ هُوَ مَنْ إِيْتِصَاصِي. فَهَلْ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَسْلِبَكَ (ثِيَابَ مُلْكِكَ) الْأَرْجُوانِي؟ فَلَا تَسْلِبْنِي الْكَهَنُوتَ، "لَا يَحِقُّ لَكَ أَنْ

^{٢٧٢} التعبير باليونانية:

άνθρώπου το σῶμα καὶ ἀγγέλου το φρόνημα.

^{٢٧٣} راجع ٢٢ مل ٢٦: ١٨

تُبَخَّرَ بَلْ فَقَطْ يَحِقُّ لَلْكَهَنَةِ مَنْ أَبْنَاءِ هَارُونَ" قَبَعَدَ
زَمِنْ طَوِيلٍ مَنْ بَعِدِ مَوْتِ هَارُونَ قَدْ صَارَ مَثَلُ هَذَا
الْأَمْرِ^{٢٧٤}، وَلِمَاذَا لِمِ يَقْلُ فَقَطْ "لَلْكَهَنَةِ" بَلْ يُشِيرُ
أَيْضًا لَلْأَبِ (هَارُونَ)؟ لَأَنَّ مَا حَدَثَ فِي أَيَّامِهِ تِلْكَ
قَدْ صَارَ مِثْلَهُ الْآنَ.

مُحَاوَلَةُ دَاثَانَ وَقُورَحَ وَأَبِيرَامَ اغْتِصَابِ الْكَهَنُوتِ.

لَقَدْ تَمَرَّدَ كُلٌّ مِنْ دَاثَانَ وَقُورَحَ وَأَبِيرَامَ،
ضِدَّ هَارُونَ، فَانْفَقَتِ الْأَرْضُ وَابْتَلَعَتْهُمْ، وَأَتَتْ نَارٌ
مِنَ السَّمَاءِ وَأَحْرَقَتْهُمْ^{٢٧٥}، فَأَرَادَ (الْكَاهِنُ) أَنْ يُذَكِّرَهُ
بِهَذِهِ الْحَادِثَةِ، فَعِنْدَمَا أَرَادُوا أَنْ يَهْدُّوا الْكَهَنُوتَ
فَسَلُّوا، بَلْ إِنَّ الْجَمْعَ تَطَاوَلُ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَصَدَّى لَهُمْ.
"لَا يَحِقُّ لَكَ أَنْ تُبَخَّرَ بَلْ فَقَطْ يَحِقُّ لَلْكَهَنَةِ مِنْ أَبْنَاءِ
هَارُونَ" فَلَمْ يَقْلُ لَهُ: تَذَكَّرْ مَاذَا قَدْ حَدَثَ لِأُولَئِكَ
الَّذِينَ قَدْ فَعَلُوا نَفْسَ الْأَمْرِ، تَذَكَّرْ أُولَئِكَ الَّذِينَ
اخْتَرِفُوا لِمَا تَمَرَّدُوا، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ هَارُونَ الَّذِي انْتَقَمَ،

^{٢٧٤} أي مُحَاوَلَةُ اغْتِصَابِ الْكَهَنُوتِ.

^{٢٧٥} راجع عد ١٦: ١-٣٥، مز ١٠٦: ١٦-١٨.

فَجَعَلَهُ يَتَذَكَّرُ هَذِهِ الْقِصَّةَ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: لَا
تَتَجَاسَرُ أَنْ تَرْكَتِبَ فِعْلَةً دَائِمًا، لَنَلَّا يُصِيبُكَ مَا حَدَثَ
فِي أَيَّامِ هَارُونَ.

اللَّهُ يَضْرِبُ غُزْيًا بِالْبَرَصِ.

غَيْرَ أَنَّ غُزْيَا الْمَلِكِ لَمْ يُنْضَبِطْ، فَدَخَلَ
الْهَيْكَلَ وَهُوَ مُنْتَفِخٌ مِنَ الْكِبْرِيَاءِ، وَفَتَحَ حِجَابَ قُدْسِ
الْأَقْدَاسِ، رَاغِبًا أَنْ يُبْخِرَ، فَمَاذَا فَعَلَ اللَّهُ إِذْنِ؟ بِسَبَبِ
أَنَّهُ اخْتَقَرَ الْكَاهِنَ بِشَكْلِ سَيِّئٍ وَازْدَرَى بَكَلَامِ
الْكَهَنُوتِ، فَمَا كَانَ بِإِمْكَانِ الْكَاهِنِ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا
آخَرَ، لِأَنَّ عَمَلَ الْكَاهِنِ هُوَ أَنْ يُبَكِّتَ وَيُظَهِّرَ (الْحَقَّ)
جَهَارًا، وَلَيْسَ أَنْ يُشْهِرَ السَّلَاحَ، أَوْ أَنْ يَحْمِلَ الدِرْعَ
أَوْ أَنْ يَشْدَ قَوْسَهُ، أَوْ أَنْ يَرْمِيَ الرُّمْحَ، بَلْ أَنْ يُوَبِّخَ
وَيَتَصَرَّفَ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ. وَلِأَنَّ الْكَاهِنَ قَدْ وَبَّخَ بَيْنَمَا
الْمَلِكُ لَمْ يَتَرَجَّعْ، بَلْ أَشْهَرَ السَّلَاحَ، وَدَرَّوَعَهُ
وَرِمَاحَهُ، وَاسْتَخَذَمَ تَفَوُّقَهُ، فَقَالَ الْكَاهِنُ: أَنَا أَقْوَمُ
بَوَاجِبِي، وَلَا اسْتَطِيعُ فِعْلَ شَيْءٍ آخَرَ أَرِيدُ مِنْ ذَلِكَ،
فَأَنْقِذُ الْكَهَنُوتَ الَّذِي يُنْتَهَكُ، وَالشَّرَائِعَ الَّتِي يُعْتَدَى

عَلَيْهَا، وَالنُّظْمَ الَّتِي تَمَّ الْإِنْقِلَابُ عَلَيْهَا. فَمَاذَا فَعَلَ
إِذْنُ مُحِبِّ الْبَشَرِ؟ لَقَدْ عَاقَبَ الْمُتَطَاوِلَ. فَحَالاً
"خَرَجَ بَرَصٌ فِي جَبْهَتِهِ"^{٢٧٦}، فَحَيْثُمَا تُوْجَدُ الْوَقَاحَةُ
يُوجَدُ الْعَقَابُ.

عِقَابُ اللَّهِ التَّزْبُوي

أَرَأَيْتَ مَحَبَّةَ اللَّهِ لِلْبَشَرِ (حَتَّى) فِي عِقَابِهِ؟
فَلَمْ يُلْقِ بَرْقًا وَلَمْ يُزَلِّزِ الْأَرْضَ، وَلَمْ يَهْزِ السَّمَاءَ،
بَلْ أَصَابَهُ بِالْبَرَصِ، وَلَيْسَ فِي مَكَانٍ آخَرَ سِوَى
جَبْهَتِهِ، حَتَّى يَحْمِلَ كَأْسَ الْعِقَابِ^{٢٧٧}، حَتَّى تَكُونُ
كَمِثْلِ كِتَابَةٍ أَوْ نَقْشٍ عَلَى عَمُودٍ، وَهَذَا لَمْ يَحْدُثْ
لِأَجْلِهِ، بَلْ لِأَجْلِ مَنْ سَوْفَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِهِ، لِأَنَّهُ إِنْ
كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْرِضَ عُقُوبَةً مُسْتَحَقَّةً، فَإِنَّهُ لَمْ
يَفْرِضْهَا بَلْ كَانَ الْأَمْرُ كَمِثْلِ مَرْسُومٍ وَقَدْ رُفِعَ فِي
مَكَانٍ مُمَيَّزٍ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا تَفْعَلْ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ

^{٢٧٦} ٢مل ٢٦: ١٩

^{٢٧٧} حسب النص المحقق SC: ἵνα τῆς κολάσεως τὸ τρόπαιον φορῇ

حَتَّى لَا تُعَانِي مِنْ ذَاتِ الْعُقُوبَةِ، مَعْلَنَا قَانُونًا حَيًّا،
وَجَبْهَةً قَدْ أَخْرَجَتْ صَوْتًا أَكْثَرَ قُوَّةً مِنَ الْبُوقِ. لَقَدْ
كَانَتْ كِتَابَةً مَنْقُوشَةً عَلَى الْجَبْهَةِ، نَفْسًا لَا يُمَكِّنُ
مَخَوُّهُ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِجَبْرِ حَتَّى يُمَحَى، بَلْ أَنَّ
الْبَرَصَ مِنْ طَبِيعَتِهِ أَنَّهُ يَجْعَلُ الْمَرْءَ لِلتَّوْ نَجِسًا،
وَبِالتَّالِي فِي الْأَخْرُونَ (غَيْرُ الْمُصَابِينَ بِهِ يُحْسَبُونَ)
أَطْهَارًا، كِمَثَلِ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِمْ، عِنْدَمَا يَأْخُذُونَهُمْ
بِالْحَبَالِ يَقُودُونَهُمْ وَهُمْ مُقَيَّدُونَ بِهَا، هَكَذَا ذَلِكَ
(عُزِّيًّا) بَدَلًا مِنَ الْحَبَالِ أَصَابَهُ الْبَرَصُ فِي جَبْهَتِهِ،
وَهَكَذَا قِيْدَ إِلَى خَارِجِ (الْهَيْكَلِ). لِأَنَّهُ أَهْلَانِ
الْكَهَنُوتِ، وَهَذَا أَقُولُهُ لَا لِكَيِّ أُدِينِ الْمُلُوكَ بَلْ أَوْلَاكَ
السُّكَّارَى بِالْعَطْرِسَةِ وَالْحِنَقِ، حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ الْكَهَنُوتَ
أَعْظَمَ مِنَ الْمُلْكِ.

الله يُعَاقِبُ الْجَسَدَ عِنْدَمَا تُخْطِئِ النَّفْسُ.

٦- إِنَّ اللَّهَ دَوْمًا مَا يُعَاقِبُ الْجَسَدَ عِنْدَمَا
تُخْطِئِ النَّفْسُ، هَكَذَا فَعَلَ مَعَ قَائِمِينَ، فَعِنْدَمَا أَخْطَأَتِ
النَّفْسُ مُرْتَكِبَةً (جَرِيْمَةً) الْقَتْلِ، فَقَدْ شُلَّ جَسَدُهُ، كَيْفَ

هَذَا؟ فَاسْمَعْ، مَا يَقُولُهُ (الْكِتَابُ) : "تَنْنُ وَتَرْتَعِدُ
وَأَنْتِ عَلَى الْأَرْضِ"^{٢٧٨}، فَقَائِبِينَ كَانَ يَتَجَوَّلُ مُحَدِّثًا
الْجَمِيعَ مُضْطَرِّبًا أَصَوَاتًا بِصَمْتِهِ. مُعَلِّمًا بِصَوْتٍ لَا
يُنْطَقُ بِهِ، فَاللسانُ صَامِتٌ، وَالْأَعْضَاءُ تَصْرُخُ،
وَكَانَ يُحَدِّثُ الْجَمِيعَ لَمَّاذَا هُوَ فِي أَيْنٍ وَلَمَّاذَا يَرْتَعِدُ:
لَقَدْ قَتَلْتُ أَخِي، ارْتَكَبْتُ (جَرِيْمَةً) الْقَتْلِ. وَمُوسَى
فِيمَا بَعْدَ قَدْ قَالَ فِيمَا كُتِبَ، أَنَّ ذَلِكَ مَن خِلَالَ أَفْعَالِهِ
يَتَجَوَّلُ وَيَقُولُ لِلْجَمِيعِ "لَا تَقْتُلْ"^{٢٧٩} فَهَلِ رَأَيْتَ فَمَا
صَامِتًا وَوَاقِعًا يَصْرُخُ؟ هَلِ رَأَيْتَ نَامُوسًا حَيًّا
يَتَدَاوِلُ؟ هَلِ رَأَيْتَ نَصَبًا يَتَجَوَّلُ؟! أَرَأَيْتَ قُودَانَ
السُّمْعَةِ كَعُقُوبَةٍ؟^{٢٨٠} هَلِ رَأَيْتَ عِقَابًا قَدْ جُعِلَ بِهِ دِفْ
النَّعْلِيمِ؟! هَلِ رَأَيْتَ النَّفْسَ تُخْطِيءُ وَالْجَسَدُ هُوَ

^{٢٧٨} تك ٤ : ١٢ بحسب الترجمة السبعينية.

^{٢٧٩} راجع خر ٢٠ : ١٣

^{٢٨٠} العبارة في اليونانية غامضة: "أَرَأَيْتَ عُقُوبَةً رَفَعَتِ السُّمْعَةَ (الْكِرَامَةَ، تَقْدِيرًا)؟" !

εἶδες τιμωρίαν τιμήσεως ἀναίρεσιν

فِي التَّرْجُمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ يُحَاوِلُ الْمُرْجِمُ تَكْمِلَةَ الْجُمْلَةِ لِإِزَالَةِ الْعُمُوضِ فَيَقُولُ: " أَرَأَيْتَ

عُقُوبَةً هِيَ تَسْوِيَةُ السُّمْعَةِ؟" فِي التَّرْجُمَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ "أَرَأَيْتَ غِيَابَ الْعِقَابِ؟".

الَّذِي يُعَاقِبُ؟! وَهَذَا بِكُلِّ تَأْكِيدٍ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ. وَهَكَذَا
كَانَتْ الْحَالُ فِي قِصَّةِ يُوَحْنَا (المَعْمَدَانِ) ^{٢٨١}، فَالنَّفْسُ
أَخْطَأَتْ غَيْرَ أَنَّ اللِّسَانَ هُوَ الَّذِي انْعَقَدَ، لِأَنَّهُ أَصْبَحَ
عُضْوًا عَدِيمَ الْفَائِدَةِ فَزَكَرِيَّا ذَاكَ الشَّخْصُ الَّذِي
صَدَرَ عَنْهُ الصَّوْتُ قَدْ عُوِقِبَ هَكَذَا. وَهَكَذَا الْحَالُ
عِنْدَ عَزْرِيَّا، فَقَدْ ضُرِبَ بِالْبَرَصِ فِي جَبْهَتِهِ، عِنْدَمَا
أَخْطَأَ حَتَّى يَتَعَطَّ ذَاكَ ^{٢٨٢}، وَخَرَجَ الْمَلِكُ وَقَدْ صَارَ
عَبْرَةً لِلْجَمِيعِ، وَقَدْ طَهَّرُوا الْهَيْكَلَ بِطَرْدِهِ مِنْهُ، دُونَ
أَنْ يَدْفَعَهُ أَحَدٌ، فَقَدْ أَرَادَ اغْتِصَابَ الْكَهَنُوتِ فَخَسِرَ
مَا كَانَ فِيهِ، وَقَدِيمًا كَانَ هُنَاكَ نَامُوسٌ أَنَّ أَيَّ أَبْرَصٍ
يَجِبُ أَنْ يُطْرَدَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، غَيْرَ أَنَّ الْآنَ لَمْ يَعْدِ
الْأَمْرُ هَكَذَا. لِمَاذَا؟ لِأَنَّ اللَّهَ كَانَ يُشْرِعُ لَهُمْ
كَالْأَطْفَالِ. أُنْذِاكَ كَانَ الْبَرَصُ مَرَضًا لِلْجَسَدِ، أَمَّا
الْآنَ فَالْمَسْأَلَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِبَرَصِ النَّفْسِ.

^{٢٨١} هَكَذَا النَّصُّ الْمَخْفُوقُ فِي SC وَلَكِنْ فِي النَّصِّ التَّقْلِيدِيِّ PG : زَكَرِيَّا وَلَيْسَ يُوَحْنَا،
حَيْثُ أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ زَكَرِيَّا الْكَاهِنُ كَمَا سَوْفَ يُذَكَّرُ بَعْدَ ذَلِكَ.

^{٢٨٢} الْمَقْصُودُ زَكَرِيَّا أَيْ أَصِيبَ عَزْرِيَّا بِالْبَرَصِ حَتَّى يَتَعَطَّ زَكَرِيَّا فِيمَا بَعْدَ.

امْتِنَاعُ النُّبُوَّةِ بِسَبَبِ تَسَاهُلِ الشَّعْبِ مَعَ عُزِّيَّا.

خَرَجَ الْمَلِكُ إِذْنٌ مِنَ الْهَيْكَلِ وَلَمْ يُخْرِجُوهُ
مِنَ الْمَدِينَةِ احْتِرَامًا لِمَكَانَتِهِ وَلِمُلْكِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ بَقِيَ
عَلَى حَالِهِ كَمُخَالَفِ النَّامُوسِ.

فَمَاذَا فَعَلَ اللَّهُ حِينَئِذٍ؟ لَقَدْ كَانَ غَاضَبًا مِنَ
الْيَهُودِ فَأَوْقَفَ النُّبُوَّةَ. وَ(حَدِيثِي) هَذَا كُلُّهُ بِسَبَبِ
عِبَارَةِ النَّبِيِّ (عِنْدَ وَفَاةِ عُزِّيَّا ...)، حَتَّى أَوْفِي
بَتَّعْهَدِي لَكُمْ. وَلَكِنَّ هَيَّا بِنَا نَعُودُ إِلَى مَوْضُوعِنَا.
خَرَجَ الْمَلِكُ مِنَ الْهَيْكَلِ وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يُخْرِجُوهُ مِنَ
الْمَدِينَةِ حَسَبِ الْعَادَةِ، كَوْنَهُ نَجَسًا، فَالشَّعْبُ اخْتَمَلَ
بَقَاءَهُ (فِي الْمَدِينَةِ)، وَلَمْ يَفْعَلِ الشَّعْبُ شَيْئًا مِمَّا يَجِبُ
سِوَاءَ كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا، فَلَمْ يُجَاهَرْ بِكَلِمَةٍ (بِالْإِغْتِرَاضِ
عَلَى بَقَاءِ الْمَلِكِ فِي الْمَدِينَةِ). وَلِأَنَّ الشَّعْبَ تَرَكَهُ فَقَدْ
تَحَوَّلَ عَنْهُمْ اللَّهُ بِأَنْ أَوْقَفَ عَنْهُمْ هِبَةَ النُّبُوَّةِ، بِالطَّبِيعِ
لِأَنَّ الشَّعْبَ خَالَفَ النَّامُوسَ، وَامْتِنَعَ عَنْ أَنْ يُخْرِجَ
شَخْصًا نَجَسًا (خَارَجَ الْمَدِينَةَ) فَتَوَقَّفَتْ هِبَةُ

النَّبِوءَةُ.^{٢٨٣} "وَكَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ عَزِيزَةً"^{٢٨٤} وَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ كَلِمَةُ نُبُوءَةٍ^{٢٨٥}. هَذَا يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ مَا كَانَ يُحَدِّثُهُمْ مِنْ خَلَالِ الْأَنْبِيَاءِ، لِأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَعْدُ يُوحِي إِلَيْهِمْ بِمَا كَانُوا يَنْطَفُونَ بِهِ، طَالَمَا كَانَ فِي وَسْطِهِمْ نَجَسٌ. لِأَنَّ نِعْمَةَ الرُّوحِ لَا تَعْمَلُ فِي غَيْرِ الْأَطْهَارِ. لَذَلِكَ مَا كَانَ (الرُّوحُ الْقُدُسُ) حَاضِرًا وَمَا كَانَ يَظْهَرُ لِلْأَنْبِيَاءِ، بَلْ كَانَ صَامِتًا وَمُخْتَجِبًا^{٢٨٦}. وَلَكِي يَكُونُ حَدِيثُنَا وَاضِحًا فَسَوْفَ أَقْدِمُ مَثَلًا لِلإِضْحَاحِ. كَمَثَلِ إِنْسَانٍ يَحْضُرُ قُدَّامَ شَخْصٍ مَا بَاشَتْيَاقٍ شَدِيدٍ، وَعِنْدَمَا يُخْرِزُهُ هَذَا الشَّخْصُ بِحِمَاقَةٍ لِأَمْرِ مَا، فَإِنَّهُ يَقُولُ لَهُ لَا أَرِيدُ أَنْ أَرَكَ ثَانِيَةً فَيَمَّا

^{٢٨٣} τὸ προφητικὸν χάρισμα. التَّعْبِيرُ بِالنِّيُونَانِيَّةِ.

^{٢٨٤} هَكَذَا فِي النِّصْبِ التَّقْلِيدِيِّ PG أَمَّا فِي النِّصْبِ الْمُحَقَّقِ SC: "لَمْ تَكُنْ كَلِمَةُ الرَّبِّ مُكْرَمَةً، وَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ نُبُوءَةً".

^{٢٨٥} رَاجِعْ ٢ ص ٣: ١

^{٢٨٦} التَّعْبِيرُ بِالنِّيُونَانِيَّةِ : σιγή καὶ κρύπτει ، وَاجْتِنَابُ الرُّوحِ هُوَ مَوْضُوعُ كَثِيرٍ مَا يَتَحَدَّثُ عَنْهُ الْآبَاءُ النَّسَّاكُ بِمَعْنَى وَجُودِ الرُّوحِ وَلَكِنْ عَدَمَ تَدَخُّلِهِ لِفَتْرَةٍ، حَتَّى يَسْتَطِيعَ النَّاسُكَ إِذْرَاكَ نِعْمَةِ الرُّوحِ عِنْدَمَا يَحْرَمُ مِنْهَا لِفَتْرَةٍ.

بَعْدُ، لَا أُرِيدُ أَنْ أَحَدِّثَكَ "هَكَذَا قَدْ فَعَلَ اللَّهُ، لِأَنَّهُمْ
أَغْضَبُوهُ عِنْدَمَا امْتَنَعُوا عَنْ إِخْرَاجِ غُزِّيَّا (مِنْ
الْمَدِينَةِ)، (وَكَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَهُمْ): "لَنْ أَحَدِّثَكُمْ بَعْدُ مَنْ
خِلَالِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَنْ أُرْسَلَ بَعْدُ نِعْمَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ"،
فَانْتَبِهْ إِنَّهَا عُقُوبَةٌ مُمَثِّلَةٌ دَمَاشَّةً وَرِفْقًا^{٢٨٧}، فَلَمْ يَلِقْ
عَلَيْهِمْ بَرْقًا وَلَمْ يُزَلِّزِ الْمَدِينَةَ مِنْ أُسَاسَاتِهَا، فَيَقُولُ
لَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصْنَعُوا مَرْضَاتِي، فَلَنْ أَحَدِّثَكُمْ، فَهَلْ
تَظُنُّونَ أَنَّنِي غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ أُخْرِجَهُ، لَكِنِّي تَرَكْتُ
الْبَاقِي لَكُمْ، أَفَلَا تُرِيدُونَ؟ وَأَنَا أَيْضًا لَنْ أَحَدِّثَكُمْ وَلَنْ
أَحْرِكَ رُوحَ الْأَنْبِيَاءِ.

عَوْدَةُ النُّبُوَّةِ بِوَفَاةِ غُزِّيَّا.

نِعْمَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ لَمْ تَكُنْ تَعْمَلُ، فَقَدْ كَانَ
هُنَاكَ صَمْتُ، وَعَدَاوَةٌ بَيْنَ الْبَشَرِ وَاللَّهِ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا
مَاتَ ذَاكَ (أَيُّ غُزِّيَّا) زَالَ سَبَبُ النِّجَاسَةِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ
كَانَ لَهُ زَمَانٌ طَوِيلٌ لَمْ يَكُنْ يَتَنَبَّأُ، وَعِنْدَمَا تَوَقَّفَ
غَضَبُ اللَّهِ عَادَتْ هَبَّةُ النُّبُوَّةِ وَمِنْ ثَمَّ فَلِإِنَّ النَّبِيَّ

^{٢٨٧} التعبير باليونانية: κόλασιν ήμερότητας γέμουσαν

بِالضَّرُورَةِ قَدْ آرَخَ زَمَنَ (عَوْدَةِ النُّبُوَّةِ) قَائِلًا:
 «وَحَدَّثَ فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ
 جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ»^{٢٨٨} فَعِنْدَمَا مَاتَ
 حِينُنِيذٍ رَأَيْتُ الرَّبَّ، لِأَنَّهُ فِي السَّابِقِ لَمْ أَكُنْ أَرَى اللَّهَ،
 لِأَنَّهُ كَانَ غَاضِبًا، وَلَكِنْ قَدْ مَاتَ النِّجْسُ وَزَالَ
 غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْنَا، لِذَلِكَ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ دَائِمًا مَا
 يَذْكُرُ حَيَاةَ الْمُلُوكِ، فَهَذَا يَذْكُرُ وَفَاةَ عُزِّيَا، فَيَقُولُ:
 «وَحَدَّثَ فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ
 جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ»^{٢٨٩} وَلَكِنْ هُنَا
 يُمَكِّنُنَا أَنْ نَرَى أَيْضًا مَحَبَّةَ اللَّهِ لِلبَشَرِ، مَاتَ النِّجْسُ
 وَتَصَالَحَ اللَّهُ مَعَ الْبَشَرِ، فَلَمَّاذَا حَدَّثَتِ الْمُصَالِحَةُ وَلَمْ
 تَكُنْ هُنَاكَ أَعْمَالُ تَقْوَى، فَقَطِ بِمَوْتِهِ (كَانَتْ
 الْمُصَالِحَةُ)؟ لِأَنَّهُ مُحِبُّ الْبَشَرِ وَيَتَسَامَحُ، شَيْئًا وَاحِدًا
 قَدْ طَلَبَهُ اللَّهُ مُحِبُّ الْبَشَرِ الصَّالِحِ وَهُوَ أَنْ يَخْرُجَ
 النَّجْسُ مِنَ الْمَدِينَةِ.

^{٢٨٨} أش ٦ : ١

^{٢٨٩} أش ٦ : ١

العظة الرابعة

فَلَنَعْرِفْ هَذَا إِذَنْ، فَلَنَطْرَحَ عَنْا الْكَبْرِيَاءَ،
وَلَنَعْتَبِقِ الْاِثْضَاعَ، وَلَنَرْسَلِ لِلْأَعَالِي دَائِمًا التَّمَجِيدَ
الْمُعْتَادَ، لِأَبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، الْآنَ وَكُلَّ
أَوَانٍ وَإِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ.
